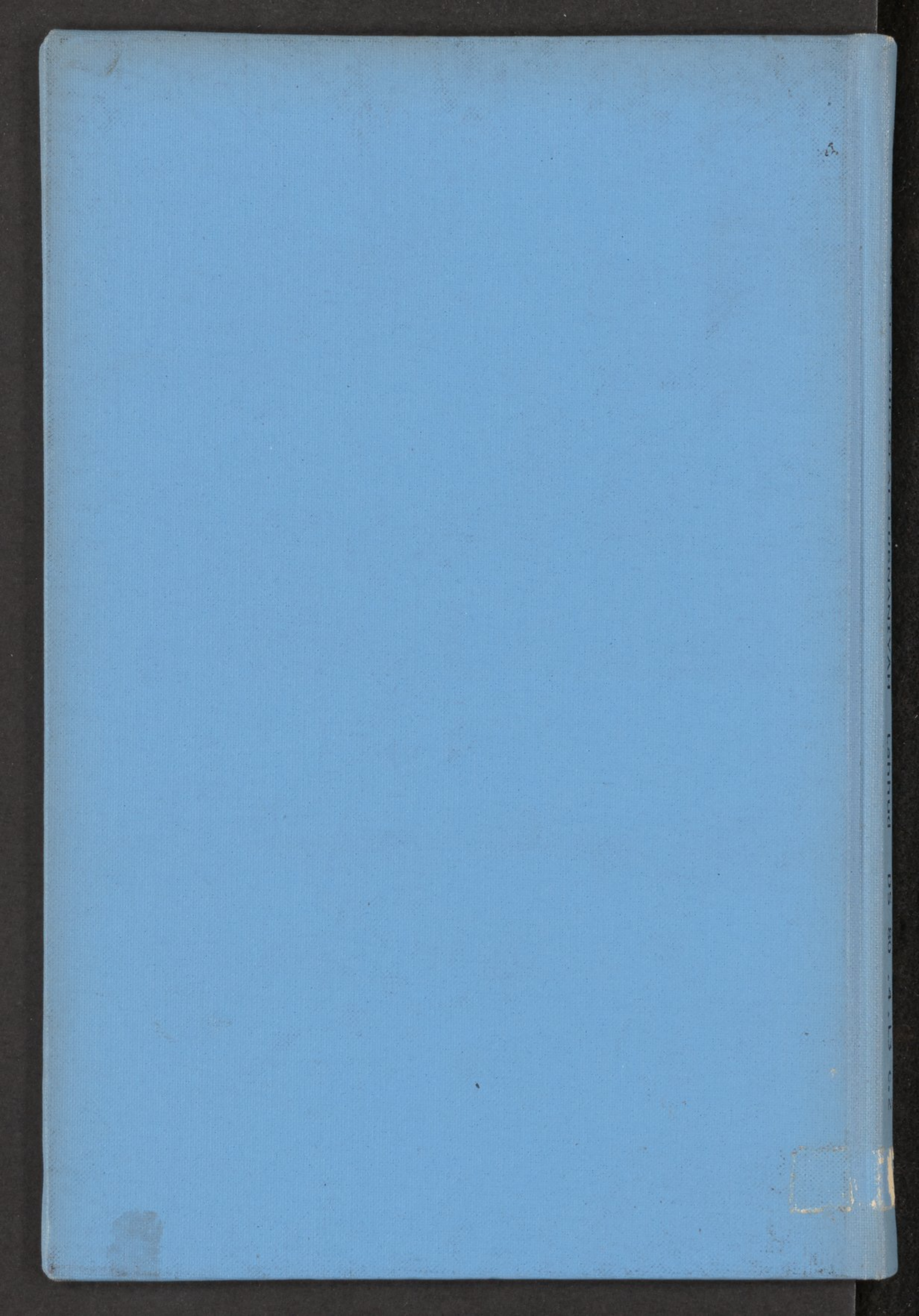
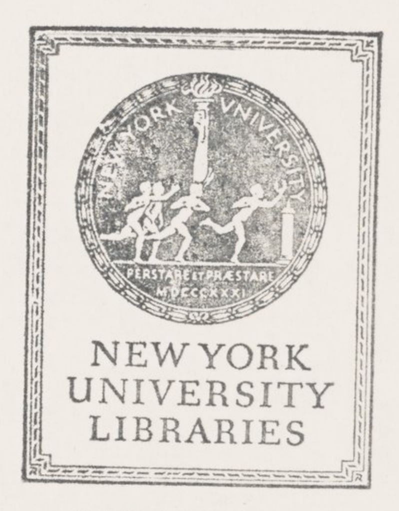
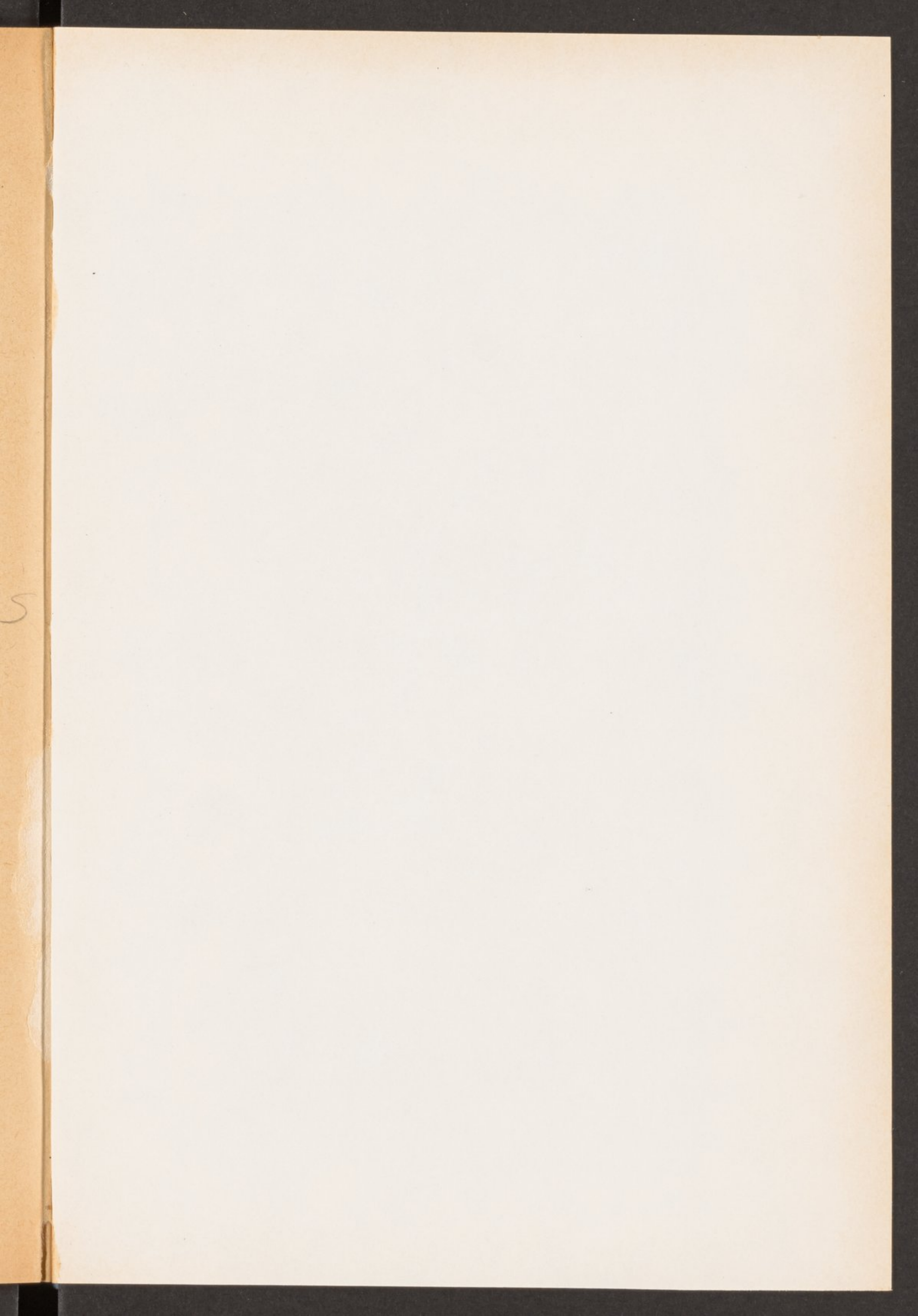



BOBST LIBRARY
3 1142 02824 1522


NEW YORK UNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES



العادات والاخلاق اللبنانية

أديب لحّود

العَادَات والأُخلاق اللبنانيّة

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٣/١٤٣

ديباجة الكتاب

لما كانت شعوب لبنان وعمائره وفصائله وعشائره وطبقـات سكانه من أمراء ومشايخ ومقدمين واعيان وكانت مذاهب اهله ورهطه من دروز ومسلمين ونصارى متغايرة في المبادىء، وجامعتهم الوطنية تتنازعها عوامل التشيّع والتحزّبات والتفريق والتشتيت، ظهر ووضح في افرادها الاختلاف والتفاوت في الاخلاق، وشاع بينهم التبـاين في عاداتهم وآداب سلوكهم وطرق معيشتهم .

وما الاخلاق هذه سوى مجموعة عادات تصير بالتكرار ملـكات وبالتالي طباعاً مغروسة في العقول تنزع الى خطتها النفوس وتتقيد بسلاسلها الافكار.

ولما كانت مباحث هذا الكتاب تشتمل على اخلاق وعادات اللبنانيين ومعاملاتهم وعاداتهم في افراحهم واحزانهم ومجتمعهم وشؤونهم الدينيـة والدنيوية حتى اواسط القرن التاسع عشر قبـل انتشار العادات الافرنجية بيننا التي غيّرت الكثير من عاداتنا الا بعض عادات الدروز، وكان اللبناني في اجتماعاته مقيداً بنواميس الآداب التي تعصمه من ان يسيء الى اخوانه ومواطنيه ويفسد عليهم معشرهم، سمّيته «آداب الاجتماع او الاخلاق والعادات اللبنانية» وقد تبسطت في الكلام عنها ما امكن ليطلع عليهـا كل واحد

من ابناء البلاد فيختار المستحسن منها ويتمشى عليـــه ويترك المستهجن ويقلع عنه .

ولقـد ذكرت بجانبها بعض عادات الشعوب القديمة كاليونان والرومان والاوروبيين والمصريين والعـبرانيين والوثنيين والعرب ليقابَل بينها وبين عاداتنا الحاضرة، وتتبّعت الانسان في اطوار حياتهِ من حين ما يبصر النور الى ان يتوارى في ظلمات القبور مبيناً كل العادات المألوفة التي يتعاطاهـا ويتبادلها مع اخوانه ، والخرافات التي يعتقد صحتها ويتجنب وقوعها في كل فترةٍ متحرياً بذلك خدمة الآداب وحسن المنهج. لان عادات الامم عنوان فخرها وميزان ما وصلت اليه من رقي وحضارة .

فلعل للقارىء الكريم رادعاً يهديه صراط الآداب القويم وينهاه عن التشبث بالعادات التي يستسمجها الطبع وينبذها الخاطر .

الادب ودستوره

الادب في اللغة الظرف وحسن التناول او التعليم والتهذيب . وفي الاصطلاح هو محبة الانسان لخالقه بخضوعهِ لقضائهِ وشرائعهِ . ومحبة الانسان لاهلهِ ومعاملتهم باللطف والانصاف . ولمعاشريهِ بالبشاشة واخلاص الصداقة . وبكلمة اعم هو معرفة ما يوصل المرء الى تجنب الزلل في اعمالهِ واقوالهِ . وهو قسمان : ادب النفس وهو الادب الطبيعي ، وادب الدرس وهو الادب الاكتسابي .

فادب النفس هو ما فطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة والمزايا النبيلة كالجود والشجاعة والكرم والحلم وغيرها .

وادب الدرس وهو ما يحصلهُ المرء بالدراسة والمطالعة والمزاولة والنظر في الاكوان . فالادب اذاً هو دستور المعاملة والمعاشرة . وبه يُعصم المرءُ من ان يغيظ الغير او يسيء اليهم . ويمتاز الاديب بلين القلب والشفقة على بني جنسهِ ، وبصفحهِ عن اساءة قريبهِ ، وبحلمه وكرمهِ وسلامة ذوقهِ . فهو يسود بالفضل والادب لا بالاصل والنسب . قالت العرب : ما ورّث الآباء الابناءَ خيراً من الادب لانهم بهِ يكسبون المال وبالجهل يتلفونهُ .

والآداب متوقفة على العادات ، فمن اعتاد امراً صار فيه ملكةً وصار يفعلهُ بلا تروٍّ وعن غير قصد . قال الشاعر :

تعوّدْ فعال الخير دأباً فكل ما   تعوّدَهُ الانسان كان لهُ طبعا

والعادة في اولها ضعيفة ولكن متى تملّكتْ في الانسان قيّدتهُ بسلاسل حديدية ونزعت حريتهُ، ولذلك وضع الفلاسفة لانفسهم دستوراً او قواعد ادبيّة لا يتعدونها في سلوكهم ومعيشتهم كالاعتدال في الطعام والزام الصمت والترتيب والثبات والاقتصاد والاجتهاد والاخلاص والحلم والقناعة والنظافة والرزانة. فمن اتبع هذه القواعد في سيرهِ كان كامل الصفات محبباً الى معارفهِ مقبولاً عند ربهِ .

ولا مشاحة في القول ان الرجل المهذب هو الذي يحترم الناس كما يريد هو ان يحترموهُ . والذي يتقن ضروب المسايرة والملاطفة مع جليسهِ وعشيرهِ دون ان يتخطّى حدود العادات والتقاليد والقواعد المرسومة . وجل ما يتطلبه الرجل الاديب هو التهذيب الذي يسير غالباً والثقافة جنباً الى جنب . ويندر ان تجد رجلاً اميّاً كامل التهذيب اذ يحول جهلهُ القراءة دون اطلاعه على ما دوّن في بطون الكتب او نشر في المجلات والصحف بشأن آداب السلوك والمعاشرة وتطوّر المجتمع وتقاليده .

والخلاصة ان دستور الآداب وكل ما سنّهُ لها البشر من القوانين والشرائع يمكن حصرها بالآية الذهبية وهي : كما تريد ان يفعل الناس بك افعل انت ايضاً بهم . وقال الشاعر :

لا تعامل ما عشتَ غيرك الا   بالذي ترتضيهِ انت لنفسك
ذاك عينُ الكمال فالزمه فيما   تبتغيهِ في كل ابناء جنسك

تمهيد

في اخلاق اللبنانيين وعاداتهم الشخصية والاهلية ومعاملة الاعيان والعامة بعضهم لبعض

اخلاق اهل لبنان الشخصية

نشأ اللبنانيون في اقليمٍ معتدلٍ جيد قد اعدّته لهم الطبيعة بمناعته وعظمته. فصفت اذهانهم صفاء جوه، وقويت اجسامهم وعقولهم قوة صخوره، وكبرت همتهم كبر رعانه وهضابه، فتميزوا بالانفة والحمية والشجاعة وتجشم الاسفار وتذليل الصعاب. وشبوا وترعرعوا على حب العمل والسعي. فبعد ان كان اللبناني عائشاً العيشة القروية الطبيعية بمسكنه ومطعمه وملبسه وعاداته واخلاقه بعيداً عما في المدن من دواعي الفساد والكسل والمطامع قد يجتاز سن الشيخوخة متمتعاً بصحة العقل والجسد، وقلما يتزوج قبل الثلاثين من عمره فيأخذ زوجته قريبة العمر منه فيلدان اولاداً اصحاء ويكون سياج عفتهما الحياء والادب لان المرأة القروية حييّة خَفِرة شغّيلة لا تترك اعمالها بمساعدتها لزوجها في ابرتها ومغزالها ونولها، وبالفلاحة والحصاد وتربية القز واستخراج الخمور والزيت وما شاكل من نتاج بلادهما

ومفيد صناعتهما ، دبّ التحاسد والتحزب والخصام بين عشائرهِ وبلادهِ فاستفزّته الاهواء والاغراض فانضمّ الى عصبيّتـهِ وجاهر بتشيعهِ وحمل السلاح يدافع عن حوزتهِ وغرضهِ فاضرم نيران الحروب الداخليـة في موطنهِ ومزق شمل سعادته . واضطره فقر الحال الى ان يهاجر الى البلدان البعيدة الراقية فحمل من هذه الاخلاق والعادات ما كمن في صدرهِ الى ان صادف بيئةً تناسبه فظهر في مظهرهِ الوطني .

وامتزج بعض اللبنانيين بالامم الراقية في اخلاقهم واعمالهم واكتسبوا من آدابهم ما زادوا به شهرةً ونجاحـاً فأنشأوا المخازن الكبيرة في امهات العواصم العظيمة وجاروا اعظم التجار ووفّروا ثروتهم . واذا بفريق آخر يرتكب المحرّمات والمنكرات فيعود الى وطنـهِ بجسمٍ نهكته الشهوات وقتلته الامراض العضالة كالسل والزهري واشباههما ، او باموال اكتسبها من طرق غير مشروعـة ، او يرجع صفر الكف خالي الوطاب فيكون عبئاً على الوطن .

وعـــاد كثير باموالهم التي حصلوها بالكدّ والطرق المشروعة لكنهم ينفقونها جُزافاً او يبنون بها ما سبب الخراب وجلب الويل .

فكانت التحزبات والفقر والمهاجرة من اكبر العوامل في تغيير اخـلاق اللبنانيين وتنشئتهم متملّقين متذلّلين ينزعون الى الاسفـار والاستخدام . وكذلك قل عن المدارس المختلفة التي تثقفوا فيها وهي غير منتظمة . فاللبناني اذاً محتاج الى المدارس الكاملة النظام والتربية الصحيحة التي تنزع من عقله بذور التحزب والتملق والتذلل فتظهر سلامة قلبه وطهارة ضميره بمظهرها الطبيعي.

استنتاج : يستنتج مما تقدم ان الاخلاق اللبنانية تقسم الى نوعين : فاخلاق القسم الجنوبي من لبنان اشبه باخلاق العرب المتحضرين يكثر فيها المسلمون والدروز والنصارى الحوارنة فهم يحرصون على الجوار ويكافئون على الجميل ويحافظون على العهود والوفاء والكرم وعدم الصبر على الضيم . وفيهم حدة المزاج غالباً والعناد والاباء والتحزب .

وأخلاق القسم الشمالي يكثر فيها لين الاخلاق وخفض الجناح مع الحرص والاقتصاد والتساهل مما يدل على اخلاق الاراميين الذين نشأ منهم الموارنة غير ان اخلاق اهل الجرود في هذا القسم لا تخلو ايضاً من حـــدة المزاج والعناد والتحزب .

الاسر اللبنانية

تقسم الاسر اللبنانية الى طبقات وعشائر .

اولهم الامراء وهم اعلى مرتبة من غيرهم . وكان الحكم بيدهم والاعتبار الاول لهم .

وثانيهم المقدمون وهم بعد الامراء .

وثالثهم المشايخ .

فالامراء الذين حكموا لبنـان هم المرَدة والشهابيون واللمعيُّون من النصارى .

والمعنيُّون والعسافيُّون التركمان والسيفيُّون الاكراد من المسلمين .

والتنوخيون القيسيون وآل علم الدين اليمنيون والارسلانيون من الدروز .

أما المقدمون فهم مقدمو بشري وجبيل والبترون وضواحيها من النصارى.

وبنو الشاعر من المسلمين السنيّين .

وبنو علي الصغير من الشيعيين .

وبنو صوّان وبنو مزهر من الدروز .

والمشايخ هم بنو الخازن وحبيش والدحداح والضاهر والخوري صالح وابي صعب وبليبل والجميّل من الموارنة .

وبنو العازار من الارثوذكس .

وبنو اليازجي من الكاثوليك .

وبنو جنبلاط والعماد وابي نكد وتلحوق وعبد الملك وحماده « في بعقلين » من الدروز .

وبنو حماده « في جبيل » من الشيعيين .

وهناك طبقات أخرى من الامراء والمشايخ مثل امراء آل الحسن وآل مخيبر الايوبيين في الكورة والمشايخ بني حمدان وشمس وابي هرموش وابي حمزة وحصن الدين والشنيف وعطا الله والعقيلي وابي علوان والقاضي ونفاع وزينيه وامان الدين وابي مصلح والشيخ علي ، ذلك فضلاً عما هنالك من طبقات الاعيان ممن كان بعضهم يداني هذه الطبقات في الوجاهة والمنزلة. ولكن الاعتبار لِما رُتّب عند الحكام والامراء والاقطاعيين . فكل اسرة حريصة على مبادئها وانسابها واصهارها وانسبائها حتى انهم كثيراً ما حصروا الزواج وامتنعوا عن تزويج من ليس من طبقتهم في اعتبارهم، وذلك مرعيّ عند جميع طوائف لبنان . فالامراء لا يتزوجون الا من طبقتهم وهكذا من

يليهم حتى بعض الاسر من العوام جرت على هذه القاعدة . ولكنّ اضرارها ظهرت في الأعقاب بضعف النسل وتوارُث بعض الامراض من اخصها الجنون . ولهم اصطلاحات في جميع معاملاتهم نذكر بعضها :

معاملات الاعيان

ان للامراء والمقدمين والمشايخ امتيازات ، منها ان لا يُقتل احدهم ولا يسجن ولا يضرب . ولكن يصادر بالمال او باتلاف العقار او النفي . واذا دخل المذنب منهم على الحاكم قابلهُ على عادته بالتحية والسلام ولا يهينهُ . واذا كتب اليه كتاب الغضب لم يغير شيئاً من القابهِ وكراماتهِ كما انهُ لا يثبت عبارات الولاء ويضع ختمه في اعلى وجه الصحيفة . فاذا كان كتاب رضىً وضع ختمهُ على ظاهرها . وتلك عادتهُ مع الرعية ايضا .

والاقطاعيون يتصرفون في مقاطعاتهم نهياً وامراً . ويجبون الاموال المفروضة على الاعناق والعقارات والضرائب والمكوس فيرسلون منها الى الحاكم ما فرضهُ هو عليهم او ما تعهدوا هم بهِ والباقي يُصرف في نفقاتهم . واذا رفع احد الرعايا دعوى فالى الاقطاعي، واذا لم ينصف المتخاصمين ترفع الدعوى الى الحاكم الاعلى فيفاوض الاقطاعي لفصلها بما يريد . فاذا لم تقضَ يسوغ ان ترفع اليه الشكوى اكثر من مرة فيرسل سفيراً او مباشراً من قبله لفصلها ولا يكون للاقطاعي عتب عليه . واذا حدث خصام بين الاقطاعيين والاهلين او بين سكان مقاطعتين يكتب الحاكم اليهم باصلاح ذات بينهم فاذا لم يرعووا ارسل مباشراً من خاصتهِ تكون نفقاته ونفقات

جواده مدة ما يبقى لفصلها من المدعى عليه ، ولا ينصرف من عنده الا بأمر مولاه بعد ان يفرض لهُ على ذلك الرجل المدعى عليه مالاً يأخذهُ منه تغريماً ما لم تكن الدعوى بدَين فيفرض لهُ شيئاً على المدعي ايضاً وهذا الفرض في غير الدين استحساناً واما في الدين فخمسة من المائة المقبوضة .

ويؤذن للاقطاعيين ان يحكموا بالسجن والضرب ولكن العقاب على الكبائر لا يؤذن به الا للحاكم العام . واما اجراء المواد المهمة كالقتل وقطع اليد مثلاً فلا بد ان يكون بمعرفة العمال المنصوبين من قبل الحاكم. وللعامل ان يولي في كل مقاطعة مديراً من سكانها. وجميع انسبائه يكونون تحت حكمه وادارته نظير جميع الاهلين .

اما دير القمر والقرى الملحقة بها وهي عين داره وبتلون ونيحا وعين ماطور اي القرى الخمس الخاصة التي تتبع الحاكم رأساً فيجري فيها حكم الحاكم يولي فيها من يشاء ويعزل من يشاء .

الاصطلاحات في كتاباتهم

وكان لهم في كتاباتهم اصطلاحات ، فيكتب الحاكم الى كلٍّ من اصحاب الرتب المار ذكرها « الاخ العزيز » وكان كل من كتب اليه هذه العبارة صار شيخاً . والامراء يكتب اليهم حسب طبقاتهم وهي هكذا : الشهابيون واللمعيون والارسلانيون والمقدمون . اما المشايخ فمنهم من يكتب اليهم كالامراء وهم الحماديون فانهم بمنزلة اللمعيين . ثم تأتي طبقاتهم على هذا الترتيب وهو : الجنبلاطيون والعماديون والتلحوقيون والملكيون

وبنو العيد الخ .

والورق كان يكتب فيه على نصف طبق (طلحية) الى الامراء الشهابيين واللمعيين والمشايخ الحماديين والباقون يكتب اليهم في ربع طبق فقط . ويوقّع (يمضي) في كتب الامراء الشهابيين فوق اسمه كلمة «اخ» وفي كتب غيرهم عبارة «محب مخلص» ولا يكتب الشهابيون لقبهم في تواقيعهم بل يضعون تحت الاسم ثلاث نقط متصلة وتحتها نقطتين متصلتين اشارة الى شين شهاب وبائه . ثم يكتبون الى باقي العشائر بألقاب متفاوتة مثل حضرة عزيزنا او عزيزنا او اعز المحبين ويوقع لهم جميعهم «الفقير» مشوشة فلا يهتدى الى قراءتها وتسمى «الطره» لكن حضرة عزيزنا لا تكون الا في ربع طبق من الورق . واعز المحبين تكون في ثمن طبق . وعزيزنا تكون فيهما جميعاً. واذا كان المخاطَب من اللمعيين كتب اليه في صدر الرسالة هكذا : جناب حضرة الاخ العزيز الامير «فلان» المكرّم حفظه الله تعالى . ابدي اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم في كل خير وثانياً كذا وكذا، وجعل الكتاب على نصف طبق . ويكتب مثل هذا للارسلانيين ولكن على ربع طبق . ولا يذكر قوله (وثانياً) والتوقيع «اخ ومحب مخلص». ويخاطب المشايخ مثلاً مثل مخاطبة الارسلانيين بعد حذف لفظ جناب هكذا «حضرة الاخ العزيز الشيخ ...» ويكتب الى جميع اعيان الجبل «حضرة عزيزنا» ويبدل عبارة «حفظه الله» بعبارة «سلمه الله» وكلمة مشاهدتكم بكلمة «رؤيتكم» .

اما الكتابة الى الحاكم فالجميع يدعونه سيداً ولكن الامير بشير الشهابي يدعو نفسه ولداً له او ابن عمه حسب عمره . واللمعي يدعو نفسه «محباً

داعياً » والباقون يدعون انفسهم «عبيداً » ولا يذكر له اسم ولا لقب ولا كنية بل يدعى بالامير لا غير .

اما هيئة الصحيفة المكتوبة فان منها ما يطوى مستطيلاً ويكتب الشطر الواحد منها ويترك الآخر ابيض لا يكتب فيه الا اذا طال الكلام حتى لا يستغرقه الشطر الاول ويقال له « القائمة » وهذا يكتب الى المقربين الذين يفاوضهم احياناً بما لا يريد ان يقف عليه غيرهم . ومنها ما يكتب مبسوطاً ويقال له « المفتوح » وهذا يكتب الى الاجانب الذين لا ينتهي اليهم ما يصان عن الناس ولذلك تدرج الصحيفة ادراجاً بسيطاً غير ملصقة ولا معنونة لذكر الاسم في باطنها .

واما الكتابة الى رؤساء الدين من كل طائفة ففيها تكريم زائد بكبر الورق واعطاء الالقاب والخضوع مما لا يزال جارياً عند بعض العامة . فالمُسلمون يكتبون فضيلة الشيخ او السيد. وكذلك الدروز فضيلة الشيخ .والنصارى غبطة البطريرك وسيادة المطران ، والموارنة يضعون قدام اسمه كلمة مار السريانية والارثوذكس والكاثوليك كلمة كيريوس كيريوس للبطريرك وهي يونانية و كيريوس كير للاسقف وكلها بمعنى السيد .

مقابلاتهم

كان اذا دخل على الحاكم احد المناصب الشهابيين نهض اليه عند دخولهِ ونزل عن بساطهِ واقفاً حتى يصل اليه فيسلم عليه مقبّلاً كتفهُ . وان كان من غير الشهابيين لم ينهض حتى يبدأ بالتحية. فان كان من اللمعيين قبّل

عضده او من الارسلانيين فزنده وان مقدماً او شيخاً فحرف راحته مما يلي الابهام . واما مَن دونهم من الرعايا فمنهم من ينهض له ولكن عندما يهوي على يده ليقبلها . فمنهم من يقبل رسغها ومنهم من يقبل الاصابع ومنهم من لا ينهض له ولا يمكنه من تقبيل يده . ومنهم من لا يأذن له بالدخول عليه . واذا اقام في داره احد المناصب اياماً فان كان من الشهابيين ينهض له عند دخوله في كل يوم ابتداءً فان خرج ثم عاد لا ينهض له .

وان كان مقدماً او شيخاً فلا ينهض له الا عند الوداع ما لم يكن قد تولى القضاء فان القاضي عنده في رتبة الامير بخلاف رئيس الشرطة فانه في رتبة العامة حتى اذا كان من المشايخ لم يعامله في المقابلة والكتابة على عادته قبل ذلك. واما مقابلات الرؤساء الدينيين والكهنة فبالركوع امامهم عند النصارى ليباركوهم ويصلوا على رؤوسهم ويلثمون هم ايديهم . واما عند غيرهم فيلثمون ايديهم ويحترمونهم مقدمين لهم كل خضوع ومتممين اوامرهم بطاعة ورضىً للتبرك .

معاملات العامة

من اهم معاملات العامة بعضهم لبعض آدابهم في مجالسهم ، فانهم يصدّرون بها كبراءهم في الرتبة والسن ويتأدبون امامهم ، ويسلم الداخل على الجالسين والماشي على من يمرُّ به والراكب على الماشي . ومما يرضي شيوخهم في التحيات قول العامة لهم «صبحكم بالخير» وقد يكون قولهم «نهاركم سعيد» مغضبا لهم . ويقدمون لزوارهم القهوة والخمر والتبغ مفضلين الرجال على النساء ، ولا

يقاطع احدهم حديث الآخر حتى يستأذنه. ويرحبون كثيراً بزوارهم ويحتفون بهم ولا يكدرونهم بشيء بل مهما كان المضيف حزبياً لا يظهر شيئاً امام ضيفه. ويلحون بالدعوة للطعام وغيره. ويراعون شؤون الدعوات باصطلاحات قلّما انتبه اليها غيرهم فلا يقولون عن القهوة او الطعام « دائمة » في الاعراس بل « ان شاء الله بيتهنا » وكذلك في المآتم يقولون « مخلوفة بالفرح » او « الله يرحمه » لما ينتج من المحظور عن كلمة دائمة بتكرار الفرح والحزن مما يأباه المضيف ويخالف الذوق. وكذلك لا يذكرون ما تأنف منه النفوس ولا سيما عند الاكل ونحوه.

« عن كتاب لبنان لجماعة من الادباء »

الباب الاول

تقاليد اللبنانيين وعاداتهم
في اطوار حياتهم

الفصل الاول

العيلة اللبنانية

يطلق اسم العيلة على الزوجين واولادهما . او على مجموعة من الاقارب والانسباء يرجعون الى اصل واحد . ويقسم الاصـل الى فروع يعرف كل منها (بالجبّ) . وللعيلة اللبنانية تقاليد وعادات منها تفضيل المتزوج على العازب في مجتمعاتهم والولاء بين الزوجين اللذين يعيشان في الغالب متحابين متعاضدين على القيام بنفقة المنزل .

واجبات الزوج نحو زوجته

الزوج اللبناني شديد الغيرة على زوجته عظيم العناية بهـا يبذل جهده في تقديم كل ما تحتاج اليه من مأكل وملبس وزينة . واذا مرضت زوجته خدمها بنفسه ولهُ معهـا عادات وطرق مرعية لا يتجاوزها منها : انه يتقدم عليها في الطريق ويدخل امامها الى المجالس ويجلسها الى يساره في قاعة الاستقبال او المائدة . وقد يتزوج اذا ماتت بامرأة غيرها تسمّى (بديلة) واولادهُ يسمونها خالة . ويندر ان يكون للخالة قلب الام وحنانها . فقد تسيء احياناً معاملتهم فيكون زواج والدهم شؤماً عليهم فضلاً عن انكسار قلبهم بمشاهدتهم

والدهم مع امرأة غريبة عنهم . والارمل يتم زواجه دون ما ابهة ولا طنطنة ويكون اكثر رغبةً بالزواج من الاعزب ولذلك قيل في امثالهم : « اعزب دهر ولا أرمل شهر » . بخلاف ما عند الطوائف الاسلامية فان الزوج يتخذ عدة نساء ولا سيما اذا توفرت له شروط الكفاية لهنّ جميعاً .

واجباته نحو اولاده

يعاملهم بشدة وصرامة متى كانوا صغاراً او رأى فيهم اعوجاجاً قومهُ بعنف و كثيراً ما يضربهم وينتهرهم تأديباً . فاذا شبوا عمد الى ارشادهم بالحسنى عملاً بما يقال في ذلك « ابنك وهو صغير ربيه واذا كبر خاويه » . ولا ينفك الاب عن الانفاق على اولادهِ حناناً عليهم حتى ولو كبروا وتزوجوا .

واجبات الزوجة نحو زوجها

من اهم واجبات الزوجة اللبنانية احترام زوجها وامانتها لعهوده ، وهي في الغالب ذات عفاف وآداب وحياء تدعوه تاج رأسها وسياجها وعزها فتطيع اوامره وتكرم اهلهُ فضلاً عن مساعدتها له في اشغالهِ اليومية ترعى الماشية وتجمع الحطب وتحصد الزرع وتربي دود القز وتستخرج الحمور وتجمع الزيتون وتطحن الحبوب وتبيع الحليب وتنقل الماء من الينابيع والآبار لا سيما اذا كانت من نساء العملة والفلاحين .

اما زوجات ذوي الثروة فيقصرن اعمالهنّ على الاشغال المنزلية واعمال

الابرة والغزل ونسج الجوارب والتنانير والعراقيات وخياطة الملابس. ومن الزوجات من لا تتأفف من العيش مع أهل زوجها من والدين واخوة عزاب تدعوهم اسلافها بل تقوم بخدمتهم جميعاً فتعدّ طعامهم وتغسل ثيابهم. واذا جاء زوجها غريب او كان من طائفة غير طائفته توارت بعد التحية الى حيث تعدّ الضيافات ولا تظهر الاّ حين تدعى لقضاء خدمة .

واجباتها نحو اولادها

عرفت الام اللبنانية بحنانها الشديد على اولادها ، فاذا رأت الاب يقتص منهم على ذنبٍ اقترفوه هبت كاللبؤة الفاقدة اشبالها الى الدفاع عنهم والانتصار لهم مستسلمة الى عاطفتها الوالدية .

الجدّان

يحدث في العيلة ان يتزوج الشاب ويرزق البنين ويبقى مقيماً في كنف والديه حتى اذا عجزا عن العمل قدم لهما حاجاتهما واقام مع زوجته وبنيهِ على خدمتهما وتكريمهما . وهما يساعدان اولادهما في المنزل والحقل ويحتاطانهم بعطفهما الخاص اذ «لا اعز من الولد الا ولد الولد». وقد ينشب بين الحماة وبين كنتها خلاف تصعب ازالته . ولعل السبب في ذلك رؤية الحماة سلطانها في المنزل يزول ويحل محلهُ سلطان الكنة بما لها من نفوذ الكلمة في قلب زوجها لكن ذلك لا يذكر في جنب ما في الطبائع من البر بالوالدين واحترامهما وتكريم اعضاء الاسرة .

البنون

هم رباط العائلة الحريز يتعلمون احترام جديهم ووالديهم فيقبلون يديهم لدى رجوعهم من المدرسة. واذا شبُّوا يتهيبون مجلسهم ولا يدخنون بحضرتهم ولا يشربون مسكراً ولا يتلفظون بشتيمة او كلمة بذيئة ويشاورونهم في اعمالهم وسائر تصرفاتهم طالبين رضاهم ويقولون « رضا الوالدين من رضا الرب » وقد يكبرون ويتزوجون ويولد لهم بنات وبنون فيحتشدون في بيت واحد من جدود وجدات وآباء وامهات وإخوة وأخوات واولاد وكنات واطفال يقيمون فيه وينامون على فرش يبسطونها على الحضيض متدثرين بلحاف واحد او اثنين مفاخرين بكثرتهم ووفاقهم قائلين: نحن كذا وكذا نفساً نأكل جميعاً على مائدة واحدة نتقاسم شظف العيش ورفاهه لا يفضل الواحد منا الآخر ولا نقسم الا ما حرّمه الله. ويخص البنون والبنات الام بحبهم فيقولون: الدنيا ام، ويتخذونها مودعاً لاسرارهم مستعينين بها على والدهم في كل ما يرغبون الحصول عليه. وللولد البكر ميزة بين إخوته. يميزه والده كما ميّز العبرانيون ابكارهم حتى انه قد يخصه بالقسم الافضل من ميراثه اكثر من إخوته بخلاف ما يجري عليه الاوروبيون من ترك الولد في مقتبل عمره لتحنكه الايام وتكسبه التجارب خبرةً فيترعرع على العمل والاستقلال الشخصي. واذا مات الوالد ناب عنه ولده البكر في ادارة المنزل وتدريب العائلة. وقد يموت اخ عن زوجة واولاد فيعتني اخوته الاحياء بمعيشة زوجتهِ واولاده ويهتمون بتربيتهم وتعليمهم كما لو كانوا ابناءهم.

الفصل الثاني

النسل – الحبل والعقم – الوحام –
ملابس الطفل – سريره – دق الريحان

النسل

لا يوجد شعب في الدنيا يحب كثرة الاولاد والذرية كالشعب اللبناني فهو شديد العناية بالاسرة والاهل حاسباً ان كبر العيلة بركة او هبة علوية يقابلها دائماً بالحمد . وقد رغّبهم في خصب النسل والتوالد تشيّعهم منـــذ القديم لتكبير الحزن وتكثير عـدد الانصار الذين يؤازرونهم ويقوى بهم ساعدهم في الخصومات والمنازعات الشائعة بينهم . لذلك تراهم يحافظون على انسابهم واعوانهم محافظتهم على نفوسهم .

الحبل والعقم

يدعو الاهل والاصحاب للعازب ليفرحوا منه بزواجه من عروس طبق مرامه . ولكن اذا طالت عزوبة احدهم اكثروا من لومه وحضوه على الزواج وارشدوهُ الى من يوافقه التزوج بها . وسهّلوا امامهُ العقبات والمصاعب وساعدوه بالمال والهدايا . ومتى تزوج اخذوا يدعون لهُ ولعروسه بان يروا

لهما مولوداً. وكثيراً ما يطالعون كتب التبريج لا سيما كتاب دانيال فيحسبون الابراج ويستنطقون الكواكب ليكشفوا المستقبل ويعلموا اذا كانت امرأته عاقراً ام ولوداً حاملاً بذكر ام بانثى. لكن اذا تأخرت الزوجة عن الحمل دب الاضطراب في الاسرة لا سيما الام والحماة. وقلقت افكار ذوي قرباها وذوي قربى زوجها. وبادروا الى استعمال الذرائع الكافلة المطلوب مستشيرين في ذلك العجائز والقوابل والاطباء مجربين مختلف الادوية والعقاقير ناذرين النذور للاولياء والاديار واضعين في عنقها التعاويذ. اما اذا حملت شعرت بالغبطة وسرّ بها زوجها وذووها.

الوحام

ومتى دخلت في طور الوحام تدللت على زوجها وأهلها بطلب كل غريب من الاطعمة والمآكل. واحتملوا تدللها بالعطف والرضى والمسرّة. ويؤتى اليها بما اشتهت مهما كان ثمنه. وذلك لاعتقادهم انها اذا اشتهت شيئاً لم تنوّله ومسّت ابان ذلك مكاناً من جسمها انطبع رسمه في مثل ذلك الموضع الذي مسّته من جسم مولودها ويسمونه « شهوة ».

ومن عقائدهم ان المرأة اذا رأت في عهد وحامها ما أثر فيها منظره من جميل او قبيح تعرضت لان يجيء مولودها شبيهاً به. ولذلك يحاذرون ان يقع نظر الوحمى الا على المناظر الحسنة. ويستحضرون لها رسوماً وصوراً جميلة لتحدق بها فيأتي مولودها جميلاً. وهذا التأثير قلما يخطىء وقد ايدته الادلة والشواهد واثبته العلماء الاختصاصيون في مختبراتهم العديدة.

وقد يحدث للحامل في بعض الاحيان ما ينذر بالاجهاض (الاسقاط) فيضعون في رقبتها الماسكة وهي عوذة تمنع باعتقادهم الاسقاط ويحمصون لها القمح ونحوه من الوسائط البسيطة .

اما العاقر فكثيراً ما تتكدر لعدم حملها وتلبث حياتها حزينة فتستهدف لإعراض زوجها عنها ولتعيير عواذلها وجاراتها . فيطلبون لها الاولاد حيثما اجتمعوا بها . وتعمل للحمل الوسائط العديدة من عقاقير وغيرها رغبـة في تحقيق طلباتها والحصول على ولد يجبر قلبها الكسير .

ملابس الطفل

تعدُّ الام قبل الولادة ما يلزم لطفلها المقبل من كسوة وفراش. فتشتري الاقمشة اللازمة (وقد تحصل احياناً هدايا من الاهل والاصحاب) ويُعين يوم لتفصيلها بحضور والدة الحامل وعماتها وخالاتها وشقيقاتها وقريبات زوجها ليشتركنَ في ذلك، ويشاطرنَ فرحها حتى اذا تمَّ العمل أُعدَّ لهنَّ النقـل والضيافات .

ويخيطون هذه الملابس انواعاً اخصهـا القمصان والاردية والعراقيات (القبعات) والاقمطة او الكافوليات. ومنهم من يعرضونها بعد شغلها في خزانة او على منضدة فيراها الزائرون ويباركون فيها ويدعون لصاحبها فتقدم لهم ايضاً الحلويات والفواكه والنقل مما هو من مقدور كل اسرة .

مزاعمهم في تفصيلها

تكثر تكهنات الزائرات عند تفصيل ملابس الطفل عن جنس المولود أذكراً يكون ام انثى من عدة طرق منها :

١ – رمي القطع المفصلة في الهواء فاذا وقعت عمودياً على الحضيض قلنَ ان المولود سيكون ذكراً . وان وقعت افقياً قلنَ انهُ سيكون انثى .

٢ – تُعدُّ ملابس الطفل فرادى لا ازواجاً لاعتقادهنّ ان التي تعدُّ ملابس طفلها فرادى يأتي مولودها ذكراً والتي تعدّها ازواجاً يجيء انثى .

٣ – يلاحظ اول قادم الى المنزل بعد الشروع في التفصيل فاذا كان ذكراً اعتقدوا ان المولود سيكون ذكراً ، وان كان القادم انثى كان المولود كذلك .

سرير الطفل

اما ارجوحة قماش واما خشب بسيط محدب مصبوغ . اما الاسرّة الحديدية فلم تكن تعرف الا مؤخراً . ويعلقون في السرير التعاويذ والايقونات والصلبان والخرز الازرق وقطع الشب وعيدان الميس وقرون الحية وما شاكل منعاً للعين والقرينة . اما فرشة الطفل فتحشى بالقش او الصوف او القطن او الريش . وتكون مؤلفة من فراش ولحاف وخديديات (وسائد) ومقرمات (شراشف) وغطاء من صوف (خرام) او من قماش ناعم كلة (او ناموسية) ويثقب الفراش للاصيص (المستعملة او

الخدّامة او الارضية) وفي داخلها قسطل يسمونه (السيبك) تتناول بهما افرازات الطفل فيظل الفراش نظيفاً .

دق الريحان

الريحان نبات عطري مطهر . يباشر دقـــه ونخله اقارب الزوجين واصدقاؤهما وجيرانهما متطوعين . تمرخ به جسوم الاطفال بعد لتّهِ بالزيت لتطهير الجلد وتقويته على احتمال الاحتكاكات وابعاد الالتهابات عنه . وقد جاء في امثالهم : فلان لم يتعب في دق ريحانك . اي ليس ممن يهمهم امرك وليس من ذوي قرباك ولا من اصدقائك .

الفصل الثالث

الولادة والعناية بالام ودخولها الكنيسة

الولادة او الوضع

عندما تحسُّ الحامل بالمخاض اي قرب ساعة الوضع تستدعي امها او حماتها وجاراتها وصديقاتها فيستقدمنَ لها القابلة (الداية) التي تهيء لها الكرسي ومعدات الراحة . وهنَّ يقوينها ويلهينها بالاحاديث عند صراخها وشكوى آلام الوضع ويساعدن القابلة في شأنها، ولكن اذا استعصى الوضع اتينها بالذخائر والعوذ ونذرن عنها النذور ووصفن لها مختلف الوصفات مما توارثنهُ عن العجائز . واكثرهُ خرافات ينكرهُ العلم ويأبى قبوله العقل . من ذلك انهنَّ يلبسنَ منْ يتصعّب وضعها طربوش زوجها او يطلبنَ اليه ان يدحل السطح او يركض عليه او يقفز فوقـهُ او يجلس وراء زوجته ويضمها اليه ويسقيها شراباً براحتهِ زاعمات ان ذلك يسهل الوضع ويعجله . وتُمنعُ من الدخول على الواضعة الحامل والحائض خوفاً من ان تضراها وتزيدا وضعها تعقيداً .

وعندما تضع الحامل طفلها تتتالعُ الاعناق لمعرفة جنس المولود أذكرٌ هو ام انثى . فان كان ذكراً قالت الداية عند النصارى محبة بالمسيح وان

انثى قالت محبة بالعذراء « وعند غيرهم تقول عبارة اخرى » فيفهم الحاضرات قولها ويتلقينَ بشرى الذكر بالتهاليل والزغاريد وتركض منهنّ من تحمل البشرى الى والدهِ فيقدم هذا للسابقة (الحلوان) نقوداً او شيئاً آخر من ثوب او حلية وما شاكل . وقد يندفع بعض اقارب الزوجين الى اطلاق العيارات النارية استبشاراً مقابلين ذلك بالحداء والتراويد واضرام النيران زينةً في الليل ، ويتوافد الاهل والاصدقاء والمعارف الى بيت الوالد لاداء التهاني فتقدم لهم الضيافات من شرابٍ ونقل . ومنهم من يقدم لضيوفه المغلي المصنوع من مسحوق الارز او من السميذ يُلت بالسكر ويُطيَّب بالافاويه ويُرش عليه قلوب الجوز واللوز والصنوبر . ويوزع على الاولاد الحلوان (البخشيش) ويكون في الغالب ملبساً او زبيباً او قضامة . وكان يُقدم لهم ايضاً القمح المسلوق مع زبيب وتين وجوز وخلافه او فاكهة او دراهم ويسمى ذلك (شوفة الخاطر) فيقال شاف خاطرهُ اي اهدى اليه شيئاً يطيب به قلبهُ .

ثم يحمل المهنئون الهدايا او النقوط الى بيت المولود . وتكون عادةً قوالب سكر ودجاجاً وقففاً من الارز والبن ، وقد تكون مبلغاً من المال يضعونه على اطباق النقل التي تقدم لهم . والغاية من هذه الهدايا في الاصل مساعدة اهل المولود على ما يكابدونه بسببهِ من نفقة لا سيما الوليمة المعروفة (بلقمة الخلاص) او العلفة وتسمّى الخرسَ عند العرب . والعادة ان يبسط الطعام في غرفة الوالدة على اثر الوضع وفيها يدعى للمولود بالحياة السعيدة والمستقبل الرغيد . ومن اخص عبارات التهنئة بالصبي قولهم

« مبارك ما اجاكم ! انشاء الله يعيش بدلالكم ! ويكون من ابناء السلامة ويكبر ويهزّ لاخوتهِ ! » ويقولون للام « انتِ جبتِ وانتِ تربي الحمد لله على سلامتك » اما الانثى فلا يُبشّر بها . وتقابل ولادتها بالسكوت والتغامز وقلب الشفاه . الا اذا كانت بكر والديها او جاءت بعد عدة اخوة ذكور . واذا كانت الام مئناثاً أُخفي عنها امرها الى ان تستعيد قواها وحينئذٍ تخاطب بالاقوال المعزية الباعثة على الرجاء والانتعاش مثل قولهم لها : « اللي تجيب البنت تجيب الصبي الله يخلي لها والدها والبنت خلقة الله مثل ما الصبي خلقة الله » وان كانت البنت فاتحة رحم قيل لامها « هنيئاً لك جاءتك بنت تخدمكِ . ومن اسعدها زمانها جاءت بناتها قبل صبيانها » .

واللبنانيون يفضلون الصبي على البنت لانه يحمل اسم ابيهِ ويحفظ من بعدهِ ذكرهُ وذكر عيلتهِ وعقاراته وامواله . لانهُ عندهم عصب بخلاف البنت فانها متى تزوجت صارت لزوجها تحمل اسمهُ واسم عيلتهِ وتترك اسم والديها وتنقل ميراثها الى عيلةٍ اخرى . وقد تكون غير ذات كفاءة بعيلة ابيها . فضلاً عن ان البنت تشغل بال والديها لما تضطرهما اليه من السهر على سلوكها لئلا يلحقهما عار بسبب شذوذها . واللبنانيُ غيور على العرض يقسم بهِ كما يقسم بالله وقديسيهِ قائلاً وحياة عرضي كما يقول وحياة ربي الخ ...

ومن مات منهم ولهُ بنات اعتبر كأنهُ مات بدون عقب . ويقولون في امثالهم « العتبة تحزن اربعين يوماً عند ولادة البنت . والبنات همهنّ للممات . والبنت ان خلصت من الف عار تجيب العدو لباب الدار » .

مولد الذكر والانثى عند اليابان

مقام المرأة في اليابان لا يتوطد ما لم تكن اماً . كذلك كانت المرأة لعهدٍ سلف يوم كان العقم واحداً من الاسباب المؤذنة بالطلاق .

ومولد الذكر في اليابان يفضل الانثى وهو بالاجمال مبعث سرور للعائلة اياً كان جنس الولد . ولا يكاد الطفل يبصر النور حتى تحمل البشرى الى الاهل والاصدقاء فيقبلون لتهنئة الوالدين حاملين الهدايا على انواعها للطفل الجديد . وبعد الولادة بسبعة ايام يطلق الوالد اسماً على وليدهِ فاذا كان ذكراً سمي باسم ابيه مضافاً اليه ما يميزهُ . وقد يطلق عليه احياناً اسم احد اجدادهِ . واذا كان المولود انثى يطلق عليها من الاسماء ما هو رمز للفضائل التي يمكنها الحصول عليها . واكثر اسماء النساء رواجاً عندهم « ما تسي » « وهو رمز الثبات » و « تيك » وهو ما يشير الى حسن الطالع و « تاما » وهو يترجم بالحُلى .

العناية بالام

بعد ان تلد الام تُعدُّ لها المشروبات الحارة وتمنع من تناول الماء البارد. فتقدم لها المآكل المغذية المقوية واخصها الدجاج طعام النفساء التقليدي المفضل على سواه ، قصد إنهاضها وتعويضها ما خسرتهُ من القوى في آلام الولادة . وتُسقى « القينر » وهو مغلي اليانسون الحار والكمون .

والتقليد يوجب علـــى النفساء ان تعتني بصحتها ملازمة فراشها اربعين

يوماً . فلا يجوز عيادتها قبل ان يأذن لها الطبيب او تأنس هي من نفسها المقدرة على تحمل الزيارات . ويجب عليهـــا التحفظ من البرد والحذر من كثرة الحركة ومن طول الزيارات لان ذلك كلهُ مزعج لها ومؤثر بصحتها ولذلك قالوا ان قبر النفساء يبقى مفتوحاً طوال الاربعين يوماً . اي انهـا اذا لم تثابر على الحذر والحماية كانت معرضة للموت . ولكن نساء لبنان ولاسيما القرويات منهنَّ قويات الاجسام قلَّ من تبـالي منهن بمثل هذه التقاليد. فمنهنَّ من يغادرن الفراش بعد يومين او ثلاثة من وضعهنَّ ثم يعدنَ لمزاولة اعمالهنَّ دون ان يصبنَ بضرر. وفي اثناء الاربعين يوماً تكون غرفتها بمنزلة حرم لا يدخلها العازبون او العازبات الاَّ عندما تسقط سرة الولد بعد ثمانية ايام . اما الطوامث فيُمنعنَ من الدخول الى نهاية الاربعين يومـاً لانهم يتخوفون كثيراً من اضرارهنَّ ويقولون عن الطامث « انهـا اذا ركبت دابةً قتلتها واذا مست شجرة او زهرة ايبستها وان وضعت يدها في عجينٍ او مطعمٍ او مشربٍ افسدتهُ». ولعلَّ هذه العادة تعود في اصلها الى مـا كان مفروضاً من عزل امثال هؤلاء عند الشعب الاسرائيلي[1]. وعلى كل حال فان منع الاجتماعات في غرفة الواضعة يوفر لها اسباب الراحة .

وبعد نهاية الاربعين يوماً تدخل الواضعة الحمّام . وفي بعض الجهـات تدخلهُ بحفلةٍ حافلة تدعى اليها القريبات والصواحب ويقدم لهنَّ فيها الضيافات .

---

١ ويعتقدون ان اباحة الدخول على الواضعة تعرضها للكبسة فينضب حليبها او يهزل طفلها او تصاب بمكروه من مرض ونحوهِ

وتُعدُّ للمستحمة دجاجة تأكلها بعد الاستحمام وتنام . وبعد نهوضها تعود الى سابق معيشتها .

دخولها الى الكنيسة

ثم تقصد الكنيسة عند النصارى وتقف عند بابها طالبة الى الكاهن ان يُدخلها اليها فيأتيها بشمعة مضاءة ويتلو على رأسها صلوات طقسية معروفة ثم يدخلها الى الكنيسة . وهذه الرتبة مأخوذة عن اليهود . فان الامهات عند الاسرائيليين كنَّ لا يدخلنَ الهيكل الاَّ اذا استوفين طهارتهنَّ بعد الوضع . وقد جرت العادة ان تؤدي الامهات الى الكاهن شيئاً من المال لقاءِ هذه الرتبة .

الفصل الرابع

العناية بالطفل – الرضاعة والفطام
ظهور اسنانه – الكبسة

العناية بالطفل

بعد ولادة الطفل تراقبه القابلة ليصرخ صرختهُ الاولى. فان ابطأ نفخت في وجههِ وانفهِ او لوّحت له برغيفٍ من الخبز او بلوح كرتون او مروحة فينتعش ويصرخ ومن ثم تقطع سرتهُ وتربطها بخيطٍ لين من قطن ثخين وتغسله بالماء الحار المملّح لتطيب رائحتهُ ولئلا يسمط وتدهنهُ لاول مرة بالريحان ملتوتاً بالزيت . وبعد ان تشدهُ فوق السرّة بمنطقة ناعمة تلبسهُ الملابس الفضفاضة الرقيقة وتدرجهُ بالاقمطة وهي الفاكولة (الكافولية) وتعصب رأسهُ فوق قبعة واسعة وتحشوها بالقطن او بصوف جمل لئلا يبرد يافوخهُ فيناله الزكام، وقد رؤي اليوم ان الافضل ترك الرأس حراً مكشوفاً دون ما عصبة ولا قبعة كما هي العادة في الغرب لان عصب الرأس يسبب اعوجاجاً في شكلهِ فيشب الولد ناتىء الجبين غائر الصدغين مستوي القذال، ثم يربط وسطهُ بالزنار فيدرج بالاثواب كأنهُ في اكفان وتخرج بهِ الداية الى النور وتقدمه الى جدهِ او والدهِ او احد اقاربهِ الادنين الموجودين اذ

ذاك ليروا وجههُ ويفرحوا به وتنال منهم الحلوان اذا كان ذكراً (وهذا يذكرنا بطواف اليونان والرومان القدماء حول النار بأولادهم في اليوم العاشر من ولادتهم) ثم تضعهُ بجانب والدتهِ الى ان يتعود التقاط الثدي ومباشرة الرضاعة فتوسدهُ فراشهُ في سريرهِ مستلقياً على قفاهُ وتشده برباط يسمونهُ « الفسقية » وهي لفظة سريانية . وتظلُّ القابلة تهتم بالام وطفلها بضعة ايام فتغسلهُ بالملح وتريحنهُ وتحنكهُ وتطبّع اعضاءهُ (وتشيل لهُ كتفهُ) . والتحنيك اي توسيع الحنك يكون بمد سبابتها المبللة بمحلول الملح الى فمهِ وتديرها في سقف حنكهِ وتحت لسانهِ ضاغطة على لوزتيهِ لتسهيل تنفسهِ . ثم تنظف انفهُ وتقوّم شكل جبهته . واما تطبيعهُ فيتم بترويض اعضائهِ على الحركة وذلك بان تضم اطرافه الى صدرهِ ثم تبسطها فتحركها رفعاً وخفضاً والى الوراء وتباعد بينها ثم تقارب معيدة لهُ هذه الحركات يومياً مرة او مرتين حتى تقوى اعضاؤهُ وتشتد حركاتهُ . والمفهوم بشيل الكتف هو ان تحكم القابلة رد المفصل الذي يجمع اعلى العضد والكتف الى مركزهِ اذا رأتهُ زائغاً عنه . فيقولون شالت الداية كتفهُ او رفشه اي اصلحت مفصل ابطه، لان الرفش كلمة سريانية معناها الابط .

وبعد ولادة الطفل بيومين او ثلاثة يدعى الكاهن للصلاة على باب الغرفة التي ولد فيها فيصلي ويبارك الماء ويرش البيت والدار ومن حضر الولادة بالماء المبارك دفعاً لقوات الجحيم . ويدفع له مبلغ من المال ويدعى لتناول الطعام في بيت المولود .

وبعد ثمانية ايام تقع سرة الطفل المربوطة فتحفظ فوق عتبة الدار حتى لا

تُفشخ فيكبس الولد وينشأ متقلباً لا يثبت في عمل ، وقد يؤذن للعازب والعازبة الدخول الى غرفة الوالدة ويؤتى اليه بالطفل الى الباب فيحمله على ذراعيه وهو يبسمل عليه ويدعو له فلا يبقى حينئذٍ عليه من محذور .

الرضاعة والفطام

ترضع اللبنانيات اطفالهن بانفسهن ولا يتخذن ظئراً (مرضعاً) الا اذا كن من الكثيرات الغنى واليسار او ممن قل حليبهن . ومدة الرضاعة للذكر عامان وقد تزاد عن ذلك لاعتقاد بعضهم ان الطفل كلما طالت مدة رضاعتهِ زاد نمو جسمهِ واشتدت عضلاته ولذلك يقولون فلان شبعان من حليب امهِ اي انه ذو بأس وقوة ممتازة . اما البنات فلا ترضعهن امهاتهن اكثر من سنة ، ويعتقد اللبنانيون ان لحليب الامهات تأثيراً بالغاً في اخلاق اولادهن لذلك يقولون عن الرجل الحسن الخلق انه طاهر الحليب وعن السيء الخلق فاسد الحليب ، ويوجبون على الام المرضع ان تتجنب المآكل الحريفة لئلا تؤثر في حليبها وتسبب لطفلها الضرر . وتتجنب الارضاع حين تكون تعبة او غضبى او نائمة . واذا اصاب الام مرض منعها من الارضاع تبرعت صواحبها المرضعات بارضاع طفلها مناوبةً الى ان تشفى .

اما الفطام

فيكون بابعاد الرضيع الى بيت جدهِ او الى بيت احد الاقارب حيث

ينسى الثدي ويعتاد المآكل . ومن الامهات من تضع على حلمة ثدييها مادة لزجة او تطليها بطلاء اسود لتنفير طفلها من الرضاع فيترك الثدي. وتحاذر ايضاً من ان يكون الفطام في زمن شديد الحر وقاية لمعدة الرضيع . او اذا كانت حاملًا فطمته ُ حالاً لئلا يرضع حليب الغيل فينهك صحته ُ ويوقع الضرر بمعدته ولذلك يقولون : « حليب الغيل يهدّ الحيل . »

قصّ اظافره

تُقصُّ اظافر الطفل متى بلغ الشهر السادس من عمره ِ. وقد جرت العادة في قص اظافر الطفل ان تدعو الام قريباتها وجاراتها ليشهدنَ حفلة القص ويعاونّها فيها . وبعد ذلك تقدم لهنّ النقل والقهوة والتبغ فيدعين لطفلها بالعمر الطويل .

الخروج به من المنزل

لدى خروجهِ من البيت لاول مرة يطاف به على دور الجيران فيستقبلونه بالفرح والبسملات ويضعون في كمهِ قليلًا من الملح شارة الامانة والوفاء عند اللبنانيين لاعتقادهم ان ذلك يجعله ُ ينشأ اميناً لبيت والده وفياً لجيرانه واصحاب اسرته ، او يعطونه ُ شيئاً من الدقيق او الخبز فيعيش سعيداً ويطول عمره ُ .

مزاعم وخرافات اللبنانيين في الاطفال

عندما يخرج الطفل لاول مرة من منزله كانوا يركبونه على كتف ابنة عذراء ويفضل ان تكون خالته . او على ظهر فرس كحيلة تفاؤلاً بالخير . ويهرع المهنئون والاولاد لاكل الحلوان خشية ان ينشأ الطفل مشوهاً .

لا يجوز هزّ السرير او الارجوحة اذا كان الولد خارجهما لئلا يصاب بوجع الظهر . ويعلق للطفل التمائم والتعاويذ او خرزة زرقاء للوقاية من اصابة العين . وكثيراً ما يعتقدون ان الاولاد الذين يولدون متعاقبين اي بعضهم على رؤوس بعض يتخاصمون ويسمونهم « روسيّة » .

ظهور اسنانه

متى ظهرت اسنان الطفل يشمل الفرح العائلة وخصوصا امهُ فتتغنى بالانشودة المشهورة «طلع سنه فرحت امه حزن بيّه على الخبزات» وحينئذٍ تصنع السنينيّة وهي عبارة عن قمح مسلوق ترش عليه القلوبات ويمزج بالسكر والملبس او حب الرمان ويقدم للمهنئين . وربما دعوا خصيصاً للاجتماع في وقت معين تقدم لهم فيهِ السنينية . وان تأخر احدهم عن الحضور بعثوا اليهِ بشيءٍ منها .

ومن ذرائعهم الخرافية انهُ اذا تأخرت اسنان الطفل عن الظهور بحثوا عن خلد واتوا باسنانهِ وعلقوها في عنق الولد اعتقاداً منهم انها تعجّل في ظهورها .

الامراض والعوارض الطارئة عليه

من عاداتهم القديمة ان يعالجوا الطفل اذا كان مريضاً بوصفات توارثوها وجروا عليها، منها: اذا اصيب الطفل بعوارض صدرية او مغص عملوا على تدفئة بطنهِ وصدرهِ برفائد من صوف حارة وتمريخها بالزيت الساخن. واذا ابتلي الطفل باضطرابات معدية يعطى مـاء الورد مع السكر. واذا اصيب بأرق يجرعونه ملعقة صغيرة من النبيذ اللبناني الحلو المشهور بطيب نكهتـهِ وحسن تحضيره. واذا رأوهُ يبكي من غير جوع تأكدوا اصابته بانحراف صحي يسبب لهُ وجعاً وذلك عملاً بما اعتادوا التمثيل بهِ كلما سمعوهُ يبكي وهو قولهم: «لا يبكي طفل الا اذا كان جائعاً او موجوعاً.»

الكبسة

ومن تقاليدهم واعتقاداتهم الخرافية انه اذا دخل الحوامـل والحوائض والاعزاب على المولود الحديث الى اربعين يوماً من ولادتهِ يتعرض (للكبسة) وهي سريانية بمعنى الضغط. ومن اعراضها عندهم هزال الطفل من غير علة ظاهرة. وقد تكون هناك علة يجهلونها فينسبونها للكبسة. واذا كبست الام نضب حليبها او اصابها تيبس او خدر في اعضائهـا. وعلاج كبسة الحليب ان تأخذ الام قليـلاً من حليب ثديها على ظفرها وترمي بهِ الى مـا وراء ظهرها. او يؤخذ من الحليب شيء ويرمى في البحر. وعلاج كبسة الاعصاب ان تتبخر الام بدخان اثر من الكابس اذا عرف. او بدخان سبع قشات

من الحصيرة اذا لم يعرف . ويكبس الطفل اذا (فشخ) احدٌ فوق ملابسه وتمتنع الكبسة اذا عاود (فشختـهُ) اي اذا فشخ ثانيـة فوق الملبوس . وهناك نساء مـــا زلنَ حتى اليوم يطلبن ممن يخطو سهواً فوق قطعـة من ملابس اطفالهنّ ان يعيد خطوتهُ ثانيةً فوقها لاعتقادهنّ ان المحذور ينتفي بذلك . وتعالج كبسة الاطفال بغسلهم بمـاء البحر او بماء ينبوع مبـارك بجوار الاديار والكنائس . او بغسلهم في مغارة (الباطية) بصربا -- جونية على الشاطىء يدخلها ماء البحر وتسمى مغارة الخضر، او بامرارهم تحت شلش تين او توت ، او بادخالهم الى معبد ثلاث مرات من نافذتهِ ، الى غير ذلك مما لا يؤيد اعتقادهم .

الفصل الخامس

اصابة العين – القرينة – التسمية

اصابة العين

عقيدة اصابة العين كثيرة الشيوع في الشرق ، وهي قديمة العهد تعود الى ايام الرومان . وقد اتخذ اللبنانيون لمكافحتها ذرائع خرافية لا يقبلها العقل ومع ذلك تراهم عموماً يعتقدون بها . وهذه الاصابة تحصل بوقوع عين العائن على المعيون من شخص او حيوان او شيء وكثيراً ما يصاب بها الاطفال الجميلو الطلعة والمحيا . و (العَيُونُ) اي الشديد الاصابة بالعين لا يعرف كيف ومتى تصدر منه وربما وقعت على من هم خاصته كأولادهِ واحفادهِ وذوي قرباه هذا اذا لم يبسمل ويدعُ باسم الله وقديسيه . اما اذا فعل فتمتنع . لذلك اذا وقعت عيون اللبنانيين على ما يستجملون من الاشخاص او الحيوانات او الاشياء يبادرون الى ترداد الدعوات والبسملات من مثل قولهم : باسم الله وبارك الله . والله يخزي العين وما شاء الله . او باسم الصليب والعذرا ومار انطونيوس ومار شليطا . او باسم النبي وما شاكل . وخوفهم من العين يعود لاعتقادهم انها اصل كل بلاء . وهي السبب الوحيد في كل ما يعتري اولادهم من مرض او

ينال مواسمهم واثمارهم وزروعهم وماشيتهم ومنازلهم من ضرر . ويقولون في العين الشريرة انها اذا اصابت صرحاً هدمته او وقعت على حجرٍ فلقته .

واغلب ما ينسبون الاصابة بالعين الى النساء العجائز والى كل اجرد من الرجال مخنث لا شعر ولا رجولة فيه وخصوصاً لصاحب العيون الزرق والاسنان الفرق .

ولعلّ هذا التشاؤم من العيون الزرق منتقل اليهم عن العرب المعروفين بنفورهم من كل ذي عين زرقاء ، وبندرة الزرقة في عيونهم وغلبة السواد عليها . ولذلك تراهم يؤثرون العيون السود ويكتحلون بالاثمد تجملاً . ويمدحون سواد العيون مدحاً جزيلاً ويهجون العيون الزرق ويحذرون من اذاها ويشبهونها بعيون القطط والبوم .

ذُكر عن اعرابي أنه اراد ذم البحر فخاطبه قائلاً : « انت يا ابا العين الزرقاء لا تُستأمن على احد فالداخل اليك مفقود والخارج منك مولود . »

وللوقاية من العين يعلقون برقاب اطفالهم العوذ والتمائم والحجب . ويعلقون في قلانسهم الاهلّة والمثلثات والخرز الازرق ، وقطعاً من الشب وصدف البحر ونيوب الذئب وقرون الحية ، ويضعون في رقاب حيواناتهم قلائد من ودع في اطرافها الجلاجل والاجراس وعيدان من شجر الميس بشكل اهلّة تحتها شراريب مختلفة الالوان ، ويربطون في اغصان اشجارهم ودوالي كرومهم المثقلة بالاثمار الخرق او قشور البيض ويرفعون عليها الرايات الزاهية الالوان .

ويستشفون من العين بذرائع عديدة منها الالتجاء الى السحرة والرقائين

واكثر ما يكون هؤلاء عادةً شيوخاً او عجائز من طوائف معروفة فيتلون بعض الآيات والرقى على خرقة ملتوتة بالزيت يدهن بها المصاب ، او على قطعة سكر يأكلها او قليل من الماء يشربه او على حزام يشد به وسطه.
وقد وجدت صورة رقية للعين يتلوها الراقي في شفاء المعيون نثبت نصها بالحرف : « اولاً باسم الله . ثانياً باسم الله . ثالثاً لا حول ولا قوة الا بالله . حوطتُـك بالله من عيون خلق الله . من عين امك . من عين ابوك . من عين الذين يحبوك . من عين للجار احدّ من النار. من عينٍ للضيف احدّ من السيف. من العين الزرقاء. من السن الفرقاء. من زلمة الكوسى الاجرودي. من المرأة المشعرانية .

طلعت الشقة من الحجر التقت بسليمان بن داود . قال لها الى اين رايحة يا لعينة يا ملعونة . قالت له رايحة اهدم التنور واخرب الدور واكثّر القبور وآخذ الطفل من سريره والعريس من اكليله والعروس من جلوتها والعنزة من حلبتها والدجاجة من بيضتها والفدان من نيره والجمل من حداجته والحمار من جلاله .

يا حيص يا بيص ما تعلمين شيئاً يرضي الناس لاضعنك في بحر من القرطاس واسكب عليكِ الف حمل رصاص فلا يعود لكِ ملجا ولا مناص . راح الشر وانتشر على البراري والشجر مع القضاء والقدر تنزل مع الفنفونة . »
تتلى ٣ مرات او ٥ مرات او ٧ مرات .

ويعالجون العين ايضاً بان يأخذوا قطعة من ثوب العائن اذا عرفوه من غير ان يدعوه يعرف بالامر فيحرقونها ويبخرون المعيون بدخانها او ينشقونه رائحتها.

واذا لم يُعرف العائن يؤخذ قليل من الرصاص فيذاب ويصب في وعاء ملآن ماء فوق رأس المصاب فيجمد الرصاص ويتمثل فيه شكل العائن فيعرف ويؤخذ من اثرهِ ما يُحرق ويبخر بدخانه او تستنشق رائحته.

وان لم يدل الرصاص المسبوك على العائن جمعت سبع قشات عن سبع طرق واربع قشات من اربع زوايا حصيرة وتحرق كلها في غرفة المصاب ويبخر بدخانها .

ولاتقاء شر العائن يقال له عند الالتقاء بهِ « عينك برجلك » واذا زار بيتاً يفتحون بقربهِ مقصاً او يقرعون بحضرتهِ على خشب من مائدة او نحوه فيلتهي بذلك ويتقى شر عينهِ .

القرينة

يعتقد اللبنانيون ان لكل طفل عدوة روحية غير منظورة على مثال الجنيّة تسمّى باصطلاحهم « قرينة » وهي بمعنى العشيرة والمصاحبة والمرافقة .

ويزعمون ان القرينة تهاجم الاطفال في اثناء الليل وتضايقهم كثيراً فيصرخون ويرتعدون كأنهم يرون احلاماً تروعهم . وقد يستفيق الطفل احياناً من نومهِ وبعض انامله او عضو من اعضائهِ مصابٌ باحمرار سبّبه ضغط او طفح فيقولون : « حنّته المطرودة او التي لا تسمّى » وذلك لانهم يكرهونها ويخافونها الى حد الامتناع عن تسميتها باسمها لما يعلمون لهذا الاسم من سيء الوقع على الاسماع .

وتعالج القرينة بان يناط برقاب الصغار بعض التعاويذ والآيات او

بانارة شمعة فوق رأس المصاب او بحرق البخور او بوضع سكين في فراشه او بآيات من الكتاب المقدس يستكتبها الرهبان والكهنـــة والحبساء او بصلوات تنسب الى مار انطونيوس ومار قبريانوس تجعل مثلثات مغلفة بجلد او قماش او باطواق من فضة او نحاس تتدلى منها سلاسل تناط بها الصلبان والايقونات والاهلّة وتعلق كلها في اعناق الصغار .

ومنهم من يحمل طفلهُ الى الكنيسـة فيحضر القداس حتى اذا حانت دورة الكاهن بالكأس المقدسة تقـدم بهِ من المذبح فيمس الكاهن رأسهُ بها مباركاً اياهُ بشكل صليب .

ومنهم من ينذر اذا هاجمت طفلهُ القرينة او ألمَّ بهِ داء ان يلبسهُ ثوب احدى الرهبانيات لزمنٍ محدود، الى غير ذلك من الذرائع التي يمزجون فيها العبادات الصحيحة بالاوهام والخرافات التي ينكرها الدين ولا يسلم بها العقل .

التسمية

درج اللبنانيون في الغالب على تسمية صغارهم باسماء من توفوا من آبائهم وافراد اسرتهم إحياءً لذكرهم . ولا يسمون باسمـاء الاحياء من افراد الاسرة الا قليلًا جـداً . وقد اعتادوا الاكتناء في اسمائهم فيكتني الرجل باسم ولدهِ البكر والمرأة كذلك مثل ابي يوسف وام انطون . وقد تغلب الكنية على الاسم . وربمـا كنوا من لا ولد لهُ على سبيل التفاؤل . وقد يكنون باسماء بناتهم كأبي سعدى للأمير بشير .

ومن عاداتهم تسمية ابكارهم باسماء اصبحت بحكم العادة متلائمة مع اسمائهم،

فضاهر مثلًا يسمي بكرهُ (مراداً) والياس يسمي (نصيفاً) وجرجس (عسافاً) وحسن (يوسفَ) وداود (سليمانَ) .

وقد اعتاد المسيحيون ان يطلقوا على الولد اسمين احدهما للعماد والآخر للنداء . والاسم المختار للعماد يكون من اسماء الاولياء والقديسين تبركاً . اما اسم النداء (المطلق) فلهم الخيرة في انتقائه على هواهم وذوقهم .

اما الاسماء الدينية فمتعددة لتعدد الطوائف عندهم . فمما يسمي به اليهود موسى واسحق وصموئيل وشمعون وساره ورفقة ويهوديت وراحيل . والمسيحيون انطونيوس ونقولا ومارون ومريم وبرباره وتقلا . والمسلمون محمد واحمد وعلي وفاطمة وخديجة وحليمة وامينة . وذلك لاتخاذ كل طائفة منهم اسماء انبيائها ومشاهير دينها .

ومنهم من يسمي اولاده باسم الموسم او العيد او الحالة التي ولد فيها كأن يسمى المولود في يوم عيد (عيداً) وفي الصوم (صوما) وفي عيد الشعنينة (شعنا) ويوم عيد الميلاد (ميلاداً) ويوم ذكرى بشارة العذراء (بشاره) او في زمن الحرب (حرباً) او لدى عقد الصلح (صلحاً) او ساعة شروق الشمس (مشرقاً) او يوم موت ابيه (لعازر) او يوم عيد الغطاس (غطاساً) او يوم زواج احد افراد الاسرة (فرحاً) او على اثر صعوبة في الوضع (صعباً) . وهكذا البنات فاذا ولدت احداهن يوم ثلج سميت (ثليجة) او في يوم من ايام ايار شهر الورد (وردة) او يوم سبت النور (نوراً) . ومن كانت له بنات عديدات سمى المولودة الاخيرة (منتهى) او حاجة او كفى او تماماً اشارة الى انهُ يتمنى ان لا تعقب

باخرى من الاثاث وقد كثرنَ في بيتهِ .

واعتادوا ايضاً تسمية بعض اولادهم باسماء حيوانات اذا كانوا قد فقدوا من رزقوا منهم اعتقاداً منهم ان ذلك يكون سبباً في وقايتهم المكاره من مثل سبع ونمر واسد وذئب . وربما جمعوا الذكر والانثى في مسمى واحد يطلق على الجنسين من مثل بهجة وفرحة وجودة ونخلة .

واكثر الاسماء التباساً تلك المأخوذة من الصناعات ونحوها كابن النجار والحداد والاسكاف والسيوفي والقهوجي والبواب والسروجي والطوبجي . ويأتي بعدها الانتساب الى المدن كالشرتوني والبحمدوني والبشعلاني الخ ..

والاسماء اللبنانية بعضها عربي وبعضها اعجمي واكثرها من اللغة الارامية لغة البلاد الاصليَّة قبل شيوع اللغة العربيـة فيها من مثل نهرا وروحانا وشمعون . وهناك اسماء رومانية اخذت عن الرومانيين ، هـذا عدا بعض اسماء تركية ويونانية وفرنسية وانكليزية اخذوها من مختلف الشعوب التي خالطوها ولكثرة من غزاها من الدول القوية قبل المسيح وبعده .

الفصل السادس

اغاني الام لطفلها – الطفل في اول مشيه – الطفل في اول حكيه

اغاني الام لطفلها

اشتهرت الام اللبنانية بكثرة حنانها . وهذا الحنان يتجلى فيها بابهى مظاهره في موقفين : الاول في توجيهها النعوت الرقيقة الى طفلها عند مناداتها إياه ، فتدعوه روحها وعيونها ورزقها وقلبها وحشاشتها وفلذة كبدها ومعاشها الخ . والثاني في ما تُسمعه من الاغاني الشجية لفظاً ومعنى عند تنويمه ، او لدى مداعبته ، لما في ذلك من تعريف نفسية المرأة اللبنانية ورقة شعورها وما تحدثه من تأثير في مخيلة الطفل . من ذلك انها تغريه على النوم بالوعود حتى اذا نام جاء في ختام غنائها ما يكذب تلك الوعود كما يتحصل ذلك من الاغنية التالية :

نام يا ابـني نام   لاذبحلك الوزي وطير الحمام
رح يا حمام لا تصدق   بضحك عـلى ابني لينام

ومنها ما يدل على تقواها وشدة ايمانها بالله وذلك بما تنوه به من الدعوات

لحفظ ابنها ونشوئه محباً للصلاة والصوم كما في الابيات التالية :

يا الله ينام ابني يا الله يجيه النوم
يا الله يحب الصلاة يا الله يحب الصوم
يا الله تجيه العوا في كل يوم بيوم

ومنها :

يا الله يا دايم تحفظ عبـــدك النايم
وتحفظ عبدك وتجيره وتخلي النايم بسريره

ومنها :

نمْ لله يا عيـــني بعمرك ما تشوف هموم
ربي يجعلك زينـــه وفايق على البشر عموم

ومنها ما تنادي به الام الجمّال على مثال شعراء العرب الذين يخاطبون في اشعارهم «سائق الاظعان» و «حادي العيس» وذلك بلسان ابنها فتقول :

يا جمّال يا عمي ما بريدك بريد امي
بريد امي توضعني تحط البز في تمي
يا جمّال ابو الجمله هات النوم بالعجله
هات النوم للعينين هات الحسن للخدين

فيتحصل من هذه الالفاظ ان قوام الجَمال الصحة، وقوام الصحة النوم

الهني . والام تحب ان يطول عمر ابنها ويبلغ كمال الرجولة فتموت في ايامه ويعنى هو بجنازتها ودفنها كما يتبين ذلك من الاغاني الآتية :

تقبرني تقبر تقبر تنزل على التربه تحفر

تقبرني وتحل الشاش تبكيني بدموع رشاش

تقبرني وتناديني تزرع عاقبري تينه

تقبرني يا شريك قلبي تقبرني جوا التربه

ومن الآباء من يخافون كثرة النسل لما يحملهم ذلك من النفقات فتنشد المرأة لهم في أغاني طفلها ما يسري عنهم هذا الخوف ويدعوهم الى الاتكال على الله في اعالة اولادهم كما يظهر ذلك في كلام الاغنية التالية :

نام يا ابني نام لاغنيلك على الكمون

والصيف عاقل والشتا مجنون

يا بو الوليدات لا تكون مغبون

معاش الوليدات عند رب السما مضمون

وغير ذلك كثير من الاغاني التي تنشدها الامهات لاطفالهن لما فيها من جزالة المعاني وما لها من شديد الوقع على من يسمعها لا سيما اذا كانت الام المنشدة ذات صوت رخيم واقبلت على الانشاد في سكون الليل وهدأة الطبيعة مما لم يفت سماعه احداً من اللبنانيين ويكاد لا يقع في اسماعهم حتى يعيد لهم ذكريات طفولتهم ايام كانت امهاتهم تغنيهم مثل هذا الانشاد .

الطفل في اول مشيه

متى اخذ الطفل يحبو قبل ان يقف على قدميه يعودونه ان يخطو اولاً بعض خطوات مستنداً الى كرسي او مقعد او جدار . ولكي يقوى جيداً على المشي يأخذه والده او أمه او احد اعضاء الاسرة ويسير به ذهاباً او اياباً مرددين له في أثناء ذلك الأغنية الآتية الشائعة كثيراً بينهم ، منها :

الدادي الله الله ! الدادي رز محلى !
الدادي يا قُرين الفول ! الدادي يسلم هالطول !
الدادي يوقع ويقوم ! الدادي ينشا كل يوم !

ثم يؤتى له بكراجة خشب ذات ثلاث دعائم مرتبطة بعوارض في اسفلها ثلاث بكرات تجري وفي اعلاها خشبة معترضة شبه عكاز يستند اليها في سيره دافعاً بالكراجة امامه . فعلى هذا النحو يقوى على السير وحده دون ما حاجة الى من يعاونه او يأخذ بيده .

ومنهم من يأتي بشبه قفص مربع الشكل بطول قامة او اطول قليلاً فيوضع الطفل في داخله واقفاً ، فيباشر المشي مستنداً الى عوارض ذلك القفص . وعلى هذا فلا يمر به مدة حتى يتمرن على السير دون ان يخشى عليه من سقطة تؤذيه .

ومن عاداتهم متى بدأ الولد يخطو وحده خطواته الاولى ان يأدبوا وليمة يدعون اليها الاهل والاصدقاء ايذاناً بفرحه . وقد جرت العادة في أول هذه الوليمة أن يأتي والد الطفل برغيف من الخبز يقسمه الى كسر صغيرة

ويوزعها على المدعوين الذين يهنئونه ويدعون لولده بطول العمر .

ومن اعتقاداتهم الباطلة ان الطفل عندما يدخل في طور النهوض ويبدأ يخطو تأتي امه بمقص وتأخذ تشغله فتحاً وغلقاً في الفضاء بين ساقيه كأنها تقص شيئاً موجوداً تسميه (الشركال) معتقدة ان قص الشركال هذا يقويه على السير ويحميه من العين .

الطفل في اول حكيه

اول ما يتعلم الطفل من الالفاظ « بابا » « ماما » ومن ثم يتدرج الى غير ذلك . وقد اصطلح اللبنانيون على لغة خاصة بالاطفال يتألف منها عندهم « قاموس الطفولة » وهي تشتمل على كلمات مركبة من مقطع واحد او من مقطعين متشابهين سهلة المأخذ على الطفل يعبر بها عن مطالبه .

فالطعام في قاموس الطفل « نن » والشرب « نبو » والنوم « قوقو » والمشي « دادي » والخروج للنزهة « تش تش » والسكوت « دو » والوجع « واوا » والشيء الجميل « دح » والشيء القبيح « كخ » ومن ذلك قولهم: كل الورى كخ في عيني وشخصك دح . والهرة « نو » والكلب « هب هب » والخروف والمعزاة والبقرة « مع » والضرب « ددّه » ويخوفونه من « الكوكو والبعبع » وابو همندر وابو زنبيلـه وشيخ التبن وعبد البئر (ليبتعد عن البئر المكشوفة الفم لئلا يسقط فيها) والهمّ الى غير ذلك مما يدور حول اشخاص وهميين تصورهم الوالدة بشكل الفقراء بملابسهم الرثة .

وكثيراً ما تؤلف الام اساطير تثبت لطفلها هولهـا فتخبره مثلاً ان للبعبع

قامة جبارة برأس كبير ويدين كالمداري واسنان محددة كالسهام يأكل بها
الاطفال ويطحن عظامهم وانه اكل مرة عشرين طفلاً في غدائه وثلاثين
في عشائه وانه حمل آخرين في ذيل ردائه وادخلهم في اذنه ، الى غير ذلك
من الاكاذيب التي يجب الاقلاع عنها لانها من اسوإ الاساليب في التربية
فضلاً عن انها تدخل الخوف في قلب الطفل فيشب جباناً يخاف من كل شيء .

الفصل السابع

التنصير – طريقة العماد – التطهير

التنصير

يحتفل المسيحيون بالتنصير (العماد) كما يحتفل اليهود والمسلمون بالختان (التطهير) .

والتنصير هو الحفلة التي يمنح فيها الولد سر العمـاد فيصبح نصرانياً . ويكون العماد في الكنيسة او في البيت بحال الخطر. فالموارنة يعمدون بالماء رشاً والارثوذكس والكاثوليك تغطيساً . ويقام للمعمَّد سواءً كان ذكراً ام انثى عرّابان هما كفيلا المعتمد ويجاوبانِ الـكاهن باسمهِ عن رغبته في قبول السر والايمان بالله والكفر بالشيطان . والعراب لفظة سريانية بمعنى الكفيل . ويسمى الولد فليونـاً للعراب « وهي ايطاليـة بمعنى مكفول . وفرنسية Filleul » ويتعهد العرابان فليونهما من حينٍ الى آخر ببعض الهدايا . واذا مات والداه عنيا بامرهِ وسهرا على تربيتهِ .

ويقيم اهل الولد على شرف تنصيرهِ وليمة يدعون اليها العرابين والاهل والاصدقاء يترأسها في الغالب الكاهن المعمد وتسمّى عند العرب (الاعذار) .

واجبات العرابين

من اخص واجباتهما العناية بالولد ومراقبة تصرفاته ونهيه عند الخلل وتوجيه نظره الى ممدوح الاعمال . ومن العادات المرعية ان ينقط العرابان المعمود اي يهديا اليه مالاً او ثوباً او حلية .

ويقوم العراب في بعض الجهات بنفقات الحفلة من اجرة الكاهن وثمن الشمع والبخور للكنيسة والحلوان لسدنتها وواهفها « اي المتولين عليها وخادمها » وتأتي العرابة الى الكاهن بلوح من الصابون ليغسل به يديه بعد القيام بالسر فتتركه له ايضاً هدية .

واذا حدث ان تعرض الطفل فجأةً لخطر الموت او نذر الوالدان تعميد ابنهما في مكانٍ لا يمكن الوصول اليه الاّ بعد زمنٍ طويل (رشم) الكاهن الولد اي عمده بدون احتفال وأُجلت الحفلة ريثما يزول الخطر . وقد جرت العادة ان يرسل شعر الطفل المنذور على ان يُقص في الحفلة عند ايفاء النذر . واكثر ما يكون النذر اداء ثقل الشعر المقصوص ذهباً او فضةً .

ومن الاوهام الموروثة عندهم والعادات القديمة التي ابطلت اليوم ان حفلة العماد لا يجوز ان يحضرها الوالدان بل احدهما والاّ ألمّ بالمعمود مكروه . وان المعمود اذا بكى حين منحه السر طال عمرهُ، لذلك تتعمّد العرابة في الحفلة استفزاز الطفل للبكاء بالقرص والنخس ان لم يبكِ من تلقاء نفسه . وكذلك كانوا اذا مات الاولاد على رأس احدهم يأخذون اخت الولد الحي فيحلفونها بمار الياس الحي ثلاثاً انها لا تأكل القوائم

والرأس من (الغمّة) الاّ بعد ان يصير اخوها قادراً على ذبح الكرّاز (تيس المعزى) ثم يدلونها بسلّ ٍ ثلاثاً عن السطح الى الارض ويعطونها ما تطلبه اذ ذاك من حلى وملابس وغيرها . ومنهم من يدلونها في بئر مار الياس الراس الكائن فوق عينطورة الذوق .

طريقة العماد

في غياب الكاهن ، اذا كان الطفل بحالة خطر وكان الكاهن غائباً ، يتوجب على الطبيب او القابلة تعميده فيلفظ صورة التعميد بنفسه وهو يضع الماء في وقتٍ واحد على رأس المعتمد . والصورة الصالحة دون سواها هي : « انا اعمدك يا فلان باسم الآب . ويصب حفنة ماء . والابن . ويصب حفنة ماء ثانية . والروح القدس . ويصب حفنة ماء ثالثةً » واما قول البعض انا ارشمك الخ ففاسد التعميد به .

مدة العماد

ان اقصر الفرص عند الكاثوليك لتعميد الطفل ثمانية ايام واطولها اربعون يوماً ما لم تدعُ الى التعجيل او التأجيل دواعٍ غير اعتيادية .

واجبات الولد المعمد

ان يحب ويحترم عرابيه مدى الحياة وان يستشيرهما في مشكلات حياته ويأخذ رأيهما المصيب فيها .

التطهير

يراد بـه حفلة الختان . وهو فرض ديني عند المسلمين . فمنهم من يحتفل به بعد مولد الولد بسبعة ايام . ومنهم من يترك الولد حتى يبلـغ السنة السابعة او العاشرة او الخامسة عشرة من عمره . اما الاحتفال بتطهير الولد فيجري على الطريقة الآتية : يدعى الاهل والاصدقاء ويؤتى بالمغنين والمغنيـات ومعهم آلات الطرب . ثم يُحنـّا الولد ويُزين بالورود والتمائم ويركبونه على فرس عليه الحلى والجِلال المتقن يحفُّ به الاولاد بالثياب الجديدة ويتقدمه المطبلون والمزمرون ومعهم المزين او المطهر ، فيطاف به في الشوارع وتدوي امامـه (العراضات) . ويجري لعب الخيل ولعب السيف والترس . وكلما مرّ الموكب بدار من دور اهل الفضل والوجاهة وقفوا لقراءة الفاتحة ، والناس ترمي عليهم القضامة والزبيب وترشهم بالعطور وترشقهم بالزهور . ثم يتوجهون الى الجامع الذي يكون مناراً لهذه الغاية . ومنه يرجعون الى بيت الاهل .

والعادة ان يذهبوا من طريق ويعودوا من آخر . وعند وصولهم الى البيت يبادر الختّـان الى اعداد ادواته . وحينئذٍ تأخذ الوالدة الغلام وتجرده من لباس الزينة وتخلع عليه قميصاً ابيض او قفطاناً ، فيبدأ المطهّر بختان الولد الذي كان يخفي صراخه ضجيج الاوائل وزغردة النساء .

وكانت العادة عند العرب ان يأتوا بابنة بكر ، فيلبسوها اجمل الملابس ويزينوها بالحلى والجواهر ويوقفوها على سطح المنزل فوق باب الغرفة التي يجري فيها التطهير . فتستمر واقفة ويدها على رأسهـا الى ان ينتهي المطهر

من ختن جميع الاولاد الذين في الغرفة . وبعد ذلك تولم الولائم ويقدمون للمدعوين الحلوى من فالوذج (لزّاقات) وغيرها « وقد ابدل الفالوذج بعد ذلك باقراص المعمول والغريّبة والكنافة » وقبل الانصراف يؤخذ نقوط المختون بينما يكون الطبال والزمّار على الباب يحمل امامهم المغنيات والمغنون دفاً يضع المدعوون فيه شيئاً من النقوط . وتسمّى مأدبة الختان « العزيزة او الضيافة » ومنهم من يسبق يوم الختان بليالي فرح حسب حالة اهل المختون يدعون اليها الاصدقاء ويحضرون ارباب آلات الطرب ويقدمون الضيافات من قهوة ونارجيلة او غليون ومرطبات وحلوى . وينيرون حول المنزل المشاعل وقناديل الزيت ويقضون الوقت باللهو والمسرّات . ومنهم من كان يدعو لمثل هذه الحفلة (الكركوزاتي) فيقوم بضروب من العاب تلك الايام . وفي بعض الجهات يلعبون الدبكة والبنات والنساء يرقصن ويحسجن ويسترسلن في جميع مظاهر الفرح اياماً قد لا تقلُّ عن اسبوع والناس يتواردون فيها للتبريك والتهاني .

الفصل الثامن

تربية الاولاد – تعليمهم – مروضاتهم والعابهم

تربية الاولاد

يجب على الوالدين ان يراقبوا حركات اولادهم ولا يدعوهم يسرحون ويمرحون حفاة عراة وان ينهوهم عن التكلم بالكذب والالفاظ البذيئة وان يشربوهم روح الصدق والقناعة واللطف والرزانة وان لا يتلفظوا امامهم بكلام السوء ولا يؤدبوهم بالضرب والانتهار حتى ينشأوا ادباء بطبعهم تحلّيهم العفة والطاعة والاحترام وطيب القلب . وقد جرت العادة عند الكثيرين من النصارى ان يضربوا اولادهم ويخوفوهم بقولهم «رايح يجي لك الضبع والكوكو والبعبع» فيشبون على الجبانة بخلاف الدروز فانهم لا يضربون اولادهم ولا يخوفونهم بل يقوون الاخ على اخيه ويحرشونه على ابن عمهِ وما شاكل . وقد تتغنى بعض نسائهم لولدها بقولها « نم يا عيني رايح بيك يجيب لك بارودة تاتقوس عدوك » فيترعرعون على البسالة .

تعليمهم

قالت الامثال : العلم في الصغر كالنقش في الحجر . فبناءً عليه يجب ان

يلقن الوالدان ولدهما مبادىء الدين والآداب وعادات البـــلاد الحسنة .
فيُرسل الولد الى المدرسة ليتمم فيها ما ابتدأ به في مدرسة البيت والعائلة .
ولقد كانت التربية القديمـة ناقصة لان اساتذة المدارس في القرى كانوا غالباً
من ارباب العاهات والتشويه واكثرهم مقعدون او سطحاء فيقتنون قضيبـاً
« شبوقه » لضرب الاولاد اذا اذنبوا فلا يشب الاولاد على احترامهم اعتباراً
بل خوفاً من الضرب فضلاً عن ان التعليم كان ناقصاً كثيراً لا يتجاوز بعض
كلمات او صلوات تتمتم وتلاك بألسنة معوجّة ولفظ ألكن . اما اليوم فقد
كثرت المعاهد العلمية والمدارس الراقية في البـلاد واقبل الاهل على تعليم
اولادهم فيها ...

في اختيار الاستاذ

يجب ان يعنى ارباب المعاهد العلمية في اختيار اساتذة لمعاهدهم بهم الكفاءة
ولهم المقدرة على التعليم وعندهم حسن الاسلوب وسلامة الذوق والعقـل
والآداب والدين وحب السكينة والرصانة . وعـلى الاستاذ ان يظهر بين
تلاميذه بحشمة وترتيب لطيفاً بقوله نظيفاً باثوابه وان يجتنب امامهم التكلم
بالفاظ بذيئة يشعر منها بقلة الادب لان التلميذ يتخلق باخلاق استاذه . وعلى
التلميذ ان يكون طائعاً لاوامر استاذه مصغياً لارشاداته وشروحه حافظـاً
كرامتهُ ذاكراً حسناته ساتراً سيئاته معترفاً بجميله ومحترماً له وحده وامام
الغير لانه منه بمقام الرئيس والابوين . قال الشاعر :

افضّلُ استاذي على نفس والدي وان نالني من والدي الفضل والشرفْ

فذاك مربي الروح والروح جوهرٌ   وهذا مربي الجسم والجسم من صدفْ

مروضاتهم والعابهم

من الالعاب التي تروض جسم الولد وتقوي عضلاته « دحو الكعاب » والكلل والبلبل المستدير والخواتم والمقرعة والخوطية والطيارة « طائرة من ورق » .

(واللاقوط) وهي لعبة الرعاة بقذف الحصى وتلقفها .

(والحاح) وهي وضع عود على حجرين ورفعه بعصا طويلة واصابته بضربة . والربح بحسب ابعاد العود .

(والمنديرة) تحريف البنديرة وهي كلمة ايطالية للعَلَم لمشابهتها اياها برفعها على عود مثلها وربما كانت اولاً خرقة .

(والمعتوت) جمع معاتيت . وهو غرس اوتاد في الوحل وزحزحتها عن محلاتها بضرب اوتاد اخرى عليها غرزاً في الطين والمزحزح هو الغالب .

(والطابة) اي الكجة وهي انواع منها (طابة الرمي او الزت) تلقى الى الاعلى وتتلقف . (وطابة المحج) التي ترمى الى غرض او هدف لاصابته . (والمِلَق) وهي خشبة تضرب بها الطابة ولعلها محرّف المِلْقَف .

(والمرجوحة) او الارجوحة وهي تعليق حبل في شجرة والترجح عليه وتسمى ايضاً العنزوقة ويجرونها في بعض الاعياد كالعنصرة وغيرها عند النصارى .

(والطالعة والنازلة) وهي خشبة مستطيلة يركب على طرفيها ولدان

متقابلان وهي مركزة من وسطها على شيء عالٍ فيصعد احدهما وينزل الآخر وبالعكس . وتسمى القَيقزة والقِلقزينة والقيظومة . (ولعب القمز) او الجمز وتسمى لعبة الفشختين وقمزة وهي الخطو الى الامام بعددٍ معلوم ومن زادت خطواته ربح اللعبة .

(والدلك) وهي نوعان احدهما مهاجمـــة اللاعبين لولدٍ في وسطهم وضربـه بايديهم. ومحاولته امساك احدهم فمن امسكه جلس محله . والثاني ان يكون بيد كلٍّ من المهاجمين شيء يضرب به القـائم في الوسط . وهي لعبة قديمة يسميهـا الفرس الشَّـفَلقَـه تعريب شَبْنَنْك وتسمى بالتركية شيله ومعناها اللطمة .

(والغميضة او الطمّيش) وهي ان تشد عينا احدهم بعصابة ويتكىء على صدر احد رفاقه متناومـاً فيبدل اللاعبون ثيابهم ويسير كل الى زاوية فيلتحف ببساط ونحوه ويتناوم فيرفع الاول العصابة ويقصد رفقاءهُ ويدعو كلّاً باسمه فان عرفـه لاول مرة سلم وذهب المعروف محله ليعمل عمله والا حمله على ظهره حتى يوصله الى مكانه وينام ثانيةً، ويسميها الفرس (الصَّـدَّر) تحريف سرْدَرْ اي الرأس داخـل البساط . وتسمى بالتركية بكزي بوز اويوني .

(والجمّـال) وهي انحناء احد اللاعبين وقفز الآخرين فوقه ولا يزال يرتفع بقامته حتى يعجزهم فمن لم يطفر فوقه كان محله . وغيرها كثير من الالعاب المتنوعة التي تستعملها الاولاد .

اما ملاهي الرجال فهي (الصيد) واللبناني ماهر بـه ولا سيما صيد الحجال التي تكثر في صروده . وهو انواع امـا بالشرك او باليقلوم وهي

الفترة اي البيت الصغير يجلس فيه الصياد ويوش حبوباً يصطاد بها الحجال وهي لاتراه . وتسمى عند العامة (الستارة) او (السركة) وهي تحريف السلكة اي انثى الحجل تُصلى في قفصها او خارجه في ايام الربيع فتزقزق ويجتمع عليها الحجال. وقد يكون الصيد بالكلاب السلوقية والفهود والبزاة والصقور والشواهين المضرّاة . ويصطادون الايائل والغزلان والخنزير البري والضواري والطيور . وكانت القسي والنبال اسلحتهم القديمة ثم البنادق على انواعها ، ولامرائهم واعيانهم براعة واتقان لهذا الفن .

ومنها (لعب الميدان) او الفروسية ويبرع به الامراء والاعيان . وهو السباق على الخيل وله فروع كثيرة ، منها (اللعب بالرمح) على ظهر الجواد فيتناول الفارس رمحين بيديه ويلعب بهما العاباً غريبة فيرخي لفرسه التزكين « العنان » حتى يصير الرمحان بيديه شبه دولابين لا يُعرف اين طرفاهما لشدة ادارتهما . وفي آخر المشوار (الشوط) يوقف الجواد والعنان في فمه ثم يتكىء على الرمحين ويدقهما في الارض ويهمز الجواد فيقمز من تحته ويبقى هو مستنداً الى الرمحين فيترجل عليهما الى الارض . ومنها التقاط تفاحة ونحوها بسنان الرمح عن الارض والجواد يعدو . ومنها (نيشان البارود) وهو ان يطلق بندقيته على نيشان (غرض) فيصيبه ثم يرميها في الجو ويدور على فرسه ويتلقفها وهي منحدرة .

ومنها (اليَقلمة) وهي ان يهمز جواده في المضمار ثم يضرب الجريدة على الارض ثلاث مرات ويتلقفها والجواد يعدو باشد سرعته . ومنها (ضرب الجريد) عن ظهر الجواد او عن الارض حتى يصيب الغرض ولو كان

صغيراً مثل ريشة على رأس ولد ونحوه . ومنها (اصعاد الجواد واحداره) في سفح جبل شديد الانحدار وهو راكب عليه . وقد يصعد على شبه درج من ادراج اليوم . ومنها (لعب السيف) واهم انواعه وضع عصا صلبة بين كاسين اعنقين (طويلي العنق) من زجاج مملوءين ماءً وضرب العصا بالسيف وكسرها بضربة واحدة دون اراقة الماء او صدع الكاس . وكذلك لفّ قضيب فولاذي في لبدة (لبّاد) وقطعه بضربة واحدة بسيفٍ قاطع يسمى « شنتيان » باصطلاحهم . ووضع ورقة رقيقة على حشيّة « مخدة او نحوها » مملوءة بنخالة الحنطة او التبن وقطعها بضربة سيف ، او رمي قطعة حريرية ونحوها رقيقة وضربها به . ومن العابهم الرقص افراداً وقد يكون ازواجاً او بسيطاً او بالسكاكين والاكتحال بها بلباقة فائقة . او بوضع ابريق او اركيلة على الرأس او طبق عليه اقداح مملوءة ونحو ذلك وهو من رأس النساء غالباً .

(والدبكة) وهي الرقص والدبك بالرجلين ويكون باتحاد جماعة منظم ومرتب بطريقة تثير اعجاب الناظرين .

(والعراضة) وهي اطلاق البنادق في الاحتفالات والاعياد بطريقة خاصة يصطف فيها البندقيون بترتيب كأنهم جندٌ مدرّب .

(ولعب الحَكَم) او المثاقفة وهو اللعب بالسيف والترس . ولكلّ منها اصول وآداب يتعلمونها تلقيناً وتمرُّناً . ومن العابهم المروضة لعقولهم الشطرنج وورق اللعب والنرد « اي طاولة الزهر » والدامه والبلياردو والدريس والمنقلة والطاب .

ومن مكيّفاتهم تنـــاول انواع الشراب المسكر والتدخين بالغليون او اللفيفة اي السيكارة والاركيلة اي النارجيلة وشرب القهوة المطيبـة بحب الهال .

الشطرنج

هو لعبة مشهورة يلعب بها اثنان على رقعة مربعة ذات اربعـة وستين بيتاً ويكون لكل من اللاعبين ست عشرة قطعة مشابهة لقطع الآخر . ويسمى ايضاً لعب الملوك والبعض يدعونه لعب الفيل . وعند اهـــل اليمن (الكوبة) .

والشطرنج لفظة هندية هي شش رنك ومعناها ستة، ورنك لون، فكأنهم قالوا ستة الوان، فالشاه لون والفرزان لون والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون .

اختراعه : ان بيهوب احد امراء الهند الاحداث اهتضم الناس وقسا عليهم شديداً فحزن لذلك حكيمٌ من البراهمة اسمه (نصير) فاخذ ينظر في ما يزيل ظلم ذلك الامير فاخترع الشطرنج ليريه ان الملك لا قوة له بنفسه وان الملوك لا تقوم الا" برعاياها وبحماية السوقة اياها . فبلـغ نبأ ذلك الاختراع سمع الامير فدعا اليه الحكيم البرهمي وسأله ان يعلـّمه لعب مخترعه باعتبار انه من الملاهي الجديدة، فانتهز ذلك الحكيم الفرصة لتحذير الامير من عاقبة ظلمه وارشاده الى الحـكم النافع والسياسة الحسنة وتنبيهه الى ما يجب عليه للرعية فتسنّى له ما اراد .

سبب وضعه : يقال في سبب وضعه ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه اخرجه الى بعض الحروب فقُتل فيها فهاب الناس الملك ان يعلموه بموته فوضع لهم بعض حكمائهم الشطرنج وبين لهم فيه ما خفي عنهم من مكائد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبين فيه التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والقوة والشجاعة والجلد والبأس فمن عدم شيئاً من ذلك علم موضع تقصيره وامرهم ان يلعبوا به بين يدي الملك . فلما لُعب به قال الغالب للمغلوب شاه مات . ففطن الملك للمراد وامر ان يعزى بولده ثمرة الفؤاد .

وقيل ان واضع الشطرنج هو حصّة الهندي الحكيم ، وضعه لملك الهند شِهرام . وقيل ان الملك الذي وضع له الشطرنج هو بلهيت . وضربه مثلاً على ان الانسان قادر بسعيه واجتهاده ان يبلغ المراتب العالية ، وان هو اهملها صارت به من الخمول الى الحضيض . ومما جعله دليلاً على ذلك ان البيدق ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان في الرئاسة . وجعلها تماثيل على صورة الناطق والصامت . وجعلها درجات ومراتب . وجعل الشاه المدبر الرئيس. والفرس والفيل مركوبان له. والفرزان وزيره . والبيادق رعاياه . فكما ان الواحد من الرعية اذا اعطى الاجتهاد حقه في تهذيب نفسه وتأديبها كان ذلك عوناً له على ان ينال رتبة الفرزان ، كذلك الفرزان اذا علت همته وتمكنت قدرته طمحت نفسه الى نيل رتبة الشاه وكذلك ما يليها من القطع .

فلما عرضهُ على الملك وأراهُ طريقة اللعب بهِ واظهر لهُ مكنون سرهِ

اعجب الملك اعجاباً عظيماً فقال لهُ : اقترح ما تشتهي أُعطك. فقال نصير: اتمنى عليك ايها الملك ان توضع حبة قمحٍ في البيت الاول من بيوت الرقعة ويضاعف حبتين في الثاني واربعاً في الثالث وثماني في الرابـع ولا تزال تضعفها حتى البيت الرابع والستين فما بلغ تعطيني .

فاستخف الملك عقلهُ واحتقر طلبـه وقال : كنت اظن برجاحة عقلك وتوقُّد فكرك ان تطلب شيئاً نفيساً يغنيك ويرغد عيشك به ويعلو مقامك او غير ذلك مما يستحق ان تسألهُ الملوك. فقال: يا مولاي حسبي ان تهب لي ما سألتك . فأمر له الامير بان يعطوهُ القدر المطلوب من الاهراء، فاخذ ارباب الحساب يحسبون حتى لاح لهم نجم صدقهِ ولم يجدوا في بلاد الدنيـا من القمح ما يفي الحكيم مرادهُ . فلما بلغ الامير ذلك عجب من طلبـهِ اكثر مما عجب من اختراعهِ فقربهُ اليه وجعلهُ كبير وزرائهِ فحسنت احوال بلادهِ واستراح الناس من الظلم .

وقد حصرها بعض الحذاق بالاعداد الهندية ، ونظمها في هـــذا البيت من الشعر :

(ها واهط) وصفر بعده زجرٌ وثنٌ صفراً وقل (دد زو دد ها)

٠٩٥٥١٦١٥ ٧٣٧ ١٨٤٤٦٧٤٤

والعدد هو : ٦١٥ ، ٥٥١ ، ٧٠٩ ، ٠٧٣ ، ٤٤٠ ، ٤٦٧ ، ١٨٤ .

وقال السري الرفّاء يصف لعب الشطرنج :

وكَتيبتا زيجٍ وروم ٍاذكَيا حرباً يسيل بها الذكاءُ مناهلا
في معركٍ قسم النزالُ بقاعـهِ بين الكماة المُعلمين منـازلا

لم يسفحا فيهِ دماً وكأنما رشح الدماءُ اعاليا واسافلا
تبدي لعينك كلما عاينتَها قرنين جالا مَقدماً ومخاتلا
فكأنّ ذا صاحٍ يسيرُ مقدّماً وكأنّ ذا نشوانُ يخطرُ مائلا
فاعجبْ لها حرباً تثيرُ اذا التظتْ فضلَ الرجال ولا تثيرُ قساطلا

ورق اللعب

اخترع ورق اللعب او الشدة حوالى سنة ١٣٩٠ في فرنسا. اما الغاية من اختراعه فكانت لتسلية كارلوس السادس ملك فرنسا الذي كان مصاباً بداء السويداء .

النرد

النرد (طاولة اللعب) لعبة وضعها اردشير ملك الفرس ولذلك قيل له نردشير . وجعله مثلاً للدنيا واهلها . فرتّب الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة . والمهارك (القطع التي تنقل من بيت الى بيت) ثلاثين قطعة وهي بعدد ايام الشهر . والفصوص (اي الكعوب المعروفة بالزهر) مثل الافلاك وهي بيض وسود كالايام والليالي ومسدسة اشارة الى ان الجهات ست لا سابع لها ورميها مثل تقلبها ودورانها. والنقط فيها بعدد السموات وبعدد الكواكب السيارة السبعة عند الاقدمين وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .كل وجهين منها سبعة : الشش (اي الستة) ويقابله اليَك

(اي الواحد) والبنج (أي الخمسة) ويقابله الدّو (اي الاثنان) والجهار (اي الاربعة) ويقابلهُ السّه (اي الثلاثة) وجعل ما يأتي بهِ اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة لهُ وتارةً عليه وهو يصرف بهِ المهارك على ما جاءت به النقوش . لكنهُ اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأنّى وكيف يتحيّل على الغلبة وقهر خصمهِ مع الوقوف عند ما حكمت بهِ الفصوص .

الدامه

تسمّى هذه اللعبة في فرنسا دام وفي ايطاليا داما وفي المانيا دامن وبالعربية دامه .

وهي لعبة يلعب بها شخصان على لوح او ورقة مخططة كرقعة الشطرنج يكون في كلّ من جانبيها من ١٢ الى ٢٤ قطعة تسمى حجارة يلعب بها . ويبطل بعضها بعضاً بحركات معينة الى ان تنتهي اللعبة بخسارة احد اللاعبين جميع حجارتهِ او بان يبيت الباقي من حجارة احدهما في موقف لا تسمح لهُ اصول اللعب بنقلها منه .

معرفتها واسمها : ان اسمها مجهول وكذلك سائر اسمائها التي يظن انها منقولة عن الشرقيين ، وقد ثبت من صور الآثار المصرية انها كانت معروفة في ايام الفراعنة الاولين في مصر منذ اربعة آلاف سنة واما في اوروبا فلم تعرف الا منذ اربعة قرون او خمسة . وكانوا يلعبون بها بقطع متساوية بالشكل والحجم اذا كانت لرقعة واحدة . وكانت حجارة احد اللاعبين تمتاز عن حجارة الآخر باللون واحياناً بالشكل فتكون

بيضاء او حمراء او سوداء . او تكون رؤوس حجارة احدهما مستديرة والآخر مسطحة .

طريقة لعبها : تكون بوضع الرقعة امام يمين كلٍّ من اللاعبين . ويضع كلٌّ منهما حجارته على اقرب صفوف المربعات القريبة اليه . ومتى اجتاز حجر احد المربعات الاربعة في الصف المقابل يسمّى دامة . والدامة تتحرك من اليمين والشمال والامام والوراء دون معارض .

البليار — او البلياردو

كلمة افرنجية قيل انها مشتقة من بيل او بول ومعناها الكرة لان اللعب بها يكون بكُرات من عاج على مائدة خشب ثقيل ثابتة تجعل افقياً وعلوها الى الزنار وسطحها ملبس من جوخ اخضر ناعم الزغب ولها دائر منثنٍ الى الخارج ملبس ايضاً جوخاً . وعلى سطحها ستة ثقوب تنزل بها الكرة ايضاً . وتدفع الكرة بعصا من خشب مستدقة الرأس . وفي الثقوب نمر اذا سقطت الكرة في ثقب ربح صاحبها مقدار تلك النمرة . وطريقة لعبها مشهورة ومختلفة . وكانت هذه اللعبة معروفة قديماً في انكلترا حيث اخترعت على ما قيل . وادخلها الى فرنسا لويس الرابع عشر لما وصف لهُ الاطباء الرياضة بعد الغداء . فهي اذ ذاك لعبة مسلية مروّضة للبدن تفضل على لعب الورق وامثالهِ . وكان للعرب لعبة يقصد بها الرياضة وممارسة الرشاقة تُعرف بالكُرة والصولجان فهي قريبة من البلياردو بمقصدها وطريقتها ، الا ان لعبة الكرة والصولجان يُلعب بها على الخيل .

الدريس

لعبة قديمة معروفة عند الجميع يقال لها (لعبة التسعة) وهي عبارة عن خشبة او كرتونة مرسوم عليها ثلاثة صفوف مربعة بمقاطع ثلاثة في كل صف ينقل عليها الحصى .

اما طريقة اللعب بها فهي ان يأخذ كل لاعب تسع حبات او حصى بلونين مختلفين ، فيبتدىءُ بأن يضع حبةً في كل مقطع ويحاول ان يصبح لهُ ثلاث حبات على خط مستقيم ، وحينئذٍ يحق لهُ ان يربح حبة من رفيقهِ (وهذا ما يسمونه طَبَق الدريس) الى ان ينتهي الطابق بخسارة احدهما . اي انهُ لم يبقَ لهُ الا حبتان فقط فيخسر اللعب .

المنقلة

(وسميت بذلك لتنقيل حصاها من عينة لاخرى) . هي خشبة توضع بين لاعبين فيها من كل جهة سبع عينات او جور يوضع في كلٍّ منها سبع حصى فيكون مجموع الحصى ٩٨ حصاة .

فيبدأ اولاً احد اللاعبين بتوزيع حصى عينة من امامهِ على باقي العينات ثم يأخذ الثاني يوزع حصى احدى جورهِ على الباقي، وكل مرة وجد في الجور حصى مزدوجة يأخذها اللاعب، ويعمل رفيقهُ عملهُ الى ان تنفد الحصى كلها، فمن كان بيده حصى اكثر من رفيقه يربح اللعب .

ومن حزازيرهم في المنقلة قولهم : حرّة قاعدة بين اثنين لها اربعة عشر عين جابت ميه الاّ اثنين (اي ولّدت) ٩٨ . (وهي عدد حصى المنقلة)

الطاب

هو خشبة مستطيلة قليلة العرض ، فيها صفان بثمانٍ واربعين تربيعة صغيرة . فيلعب عليها اثنان ويكون امام كلٍّ منهما صف باربعٍ وعشرين تربيعة . ولها احجار بعدد التربيعات ذات لونين اسود وابيض . فيؤتى بقنينة وثلاثة شقوق قصب مدهون باطنها اسود . فيضرب احد اللاعبين بدورهِ القصبات على القنينة وكما يكون لونها تُنقل الاحجار في التربيعات الى ان تصير الحبلى على الرأس اي يبلغ حجر آخر تربيعة على رأس الخشبة فيربح اللاعب .

الفصل التاسع

عادات اللبنانيين في افراحهم
الخطبة – العرس – الطلاق
والهجر – مآدبهم – مسامراتهم

الخطبة

ان طريقة الخطبة قبل الزواج مستحسنة للاختبار والتمازج ولا سيما عند المسيحيين الذين يتعذر عليهم الطلاق والجمع بين اكثر من زوجة في بيتهم. لكنها غير مأنوسة اذا طالت مدتها حذراً من حدوث ضرر يمنع الاقتران .

ويحتفل بالخطبة باتفاق بين الفريقين على الوقت والمدعوين . ولا يدعى اليها عادة سوى الاقارب الادنين ، لكن اذا كان الخاطب رفيع الشأن ذا مكانة ونفوذ في قومهِ يدعو الى خطبتهِ من شاءَ من معارفهِ وانصارهِ .

الخطبة عند النصارى

يذهب اهل العريس الى بيت العروس ويتداولون بالخطبة فاذا تمت يضعون علامةً كخاتم ونحوهِ فيبارك الكاهن الخاتم (وقد تتم الخطبة ايضاً بدون كاهن) ويتقدم اهل العريس فيجعلونهُ في بنصر الخطيبة الايمن .

وتدفع في ذلك المجلس قيمة البائنة اي المهر المتفق عليها . ثم يتزاورون ويصير العريس كأنهُ من بيت العروس . ولكن تأدباً وحياءً يحظر على الخطيبة ان تزور بيت خطيبها قبل الزواج بل يعاب عليها ذلك . ويهاديها في المواسم والاعياد الى زمن الزيجة . ويجوز لهُ تركها اذا حدث ما يكدرهُ او اذا لم ترضهِ بطباعها وتصرُّفها . ولا يجوز عند الارثوذكس خطبة من كانت دون الدرجة السادسة في القرابة . وعند الكاثوليك دون الخامسة .

الخطبة عند الدروز

اما عند الدروز فالمحارم هم الاب والابن والاخ والعم والخال. وكيفية الخطبة ان يرسل اهل العريس الى اهل العروس رسولاً في ذلك، فاذا قبلوا طلبهُ يحضرون شيئاً من الحلوى كالزبيب ونحوهِ ويسمُّونه « النعمانيـــة » فاذا اكلوها مع رسولهِ كان ذلك تصريحاً منهم بعقد الخطبة حتى انهُ لا ينفكُّ بعدئذٍ .

ومن اساليبها الرمزية : ان الامير محمداً الشهابي نزل مع والدهِ على الامير يونس المعني سنة ١١٧٥ م فخطب ابنتهُ « طيِّبة » هكذا وهو انهُ كان معهُ في حديقة جميلة فقال والده: المياه عذبة. وقال محمد: والارض طيبة. فقال الامير يونس : وانت طيب يا محمد. فقال الامير محمد : الطيبات للطيبين .

فاذا تمت الخطبة يرسل العريس الى قوم العروس من يكتب الكتاب على صَداقٍ معلومٍ فتصير زوجةً لهُ يحضرها متى شاء ويتزوجها ، فان وافقتهُ بقيت والاَّ طلقهـا وتزوج بغيرها . اما المهر فيراوح بين ثلاثمائة

ليرة الى خمسماية قرش يدفعهُ الرجل للمرأة . ويمتنع على العريس ان يرى خطيبتهُ اثناء الخطبة الا" في العيال الممتازة . ويكون العقد بشرطٍ يكتبه الشيخ مشهوداً بهِ .

عند المسلمين

اما عند المسلمين فالخطبة تتم في البيت . وينوب عن الفتاة وكيل وقد ينوب عن الشاب وكيل ايضاً . ويشهدها الشيخ ويكتب الكتاب .

عند العرب

كان اذا اعلن احدهم عزمه على الزواج يرسل عجوزاً خبيرة لتختار لهُ زوجة من العيال المعتبرة . فبعد ان تصف لهُ تقاطيع الابنة وجمالها وآدابها وتعجبهُ يرسل من يخطبها رسمياً فيتداولون مع اهلها على الدوطة (البائنة او المهر) الذي يتعهد الشاب بهِ للابنة . وبعد الانتهاء من ذلك يرجع الشاب مع اصحابهِ الى بيت العروس حيث يكون والدها بانتظارهِ مع الشيخ والشهود وكاتب صك الزواج . وبعد منطوق نص" الزواج يقدم الكاتب صورة من صك الزواج وينتهي العمل .

عند اليونان الاقدمين

كانت عاداتهم تقضي بان يأخذ الرجل جارية او رفيقة حرّة غير زوجتهِ .

وكانوا في عهد هوميروس يقدمون لأبي الابنة هدايا يعرف منها انهم اشتروا الابنة ، ثم يقدمون هدايا للخطيبة نفسها، ثم يعقدون الزواج في بيت الزوج بالغناء والرقص واجتماع الخلان .

وشروط الزواج الشرعي الاساسية عندهم هي ان يكون الخطيبان من بلدة واحدة . والشريعة لا تحد العمر في الزواج ، لان الزواج هو معاهدة او عقد بين اهل المتزوجَين .

اما الاحتفال بالزواج فهو تقديم ضحايا لآلهات الزواج (زاييس) (هيرا) (اوتيميس) (ابولون) ثم الضحية الكبرى هي وليمة ابي الخطيبة التي كانت تحضر متحجبة ومكللة. ثم تنقل الخطيبة الى بيت العريس على عربة تكون غالباً مصحوبة بموسيقى وغناء عرسي. وكان الخطيب يحضر ايضاً الى بيتهِ على عربة خاصة وامهُ تنتظر الخطيبة على الباب .

وليمة الخطبة

طعام الخطبة عند العرب يسمّى (المِلاك) وشروطه عند الحضر ان يكون عائلياً بحتاً من دون تأنق فيهِ . وملابس الخطيبين تكون بسيطة مفرحة . فيجلس الخطيبان الواحد جنب الآخر في وسط المائدة . وازاءهما يجلس والداهما فيجلس عادةً ابو العريس جنب ام العروس وامهُ جنب ابيها ويجلس جنب الخطيبين باقي المدعوين من الاهل . وفي نهاية الطعام عند تقديم الفاكهة يعلن ابو الخطيبة او من ينوب منابهُ امر الخطبة ، فيدعو الجميع للخطيبين بالتوفيق والهناء .

اما عنـــد المسلمين فلا اختلاط بين الرجال والنساء أكانت ولائم او لم تكن .

بعد الخطبة

يجمل بآباء الخطيبـين اذا لم يدعوا الاقارب والاصدقاء وقت الحفلة ان لا يتأخروا عن اعلامهم بما تمّ بينهم .

ما بين الخطبة والزواج

في خلال هذه المدة يليق بوالدي الخطيبين اعـلان زواج ولديهما . وعلى الخطيبة تقليل الزيارات والمبالغة بالاحتشام ومراعاة شروط التهذيب امام الجميع . ويجوز للخطيبين التنزه معاً . واذا كان الخطيب من غير بلدة الخطيبة ان يأتي لزيارتها ولا بأس ان اكل عندها . ويسوغ للخطيبة مكاتبة خطيبها اذا كان بعيد المقام او غاب او طال غيابه .

العرس

حفلات اللبنانيين في اعراسهم كثيرة متنوعة حسب الظروف التي تقتضيها انظمـة الطقوس وآداب المكان والمقام . وقبل ان نتبسط في الكلام عن حفلة الاكليل او العقد لا بد من ذكر مـا يسبق ذلك من دعوات وجهاز وملابس .

بطاقات الدعوة

ترسل بطاقات الدعوة للاصحاب والخلان لحضور حفلة الزواج قبل الوقت باسبوع . ومنهم من يرسل بطاقة دعوة الى حفلة الاكليل ومأدبة الوليمة معاً ، وتكون قبل الوقت بنصف شهر على الاقل . ومن ادب العروسين دعوة كل من لهُ معهما علاقة شخصية او عملية . ومن لم يُدعَ من الاصحاب لحضور حفلة الزواج ترسل اليه بطاقة إخبار خلال ثمانية ايام بعد الاكليل .

في الجهاز

عادات الناس في الجهاز اليوم مختلفة ، فمنهم من يكثر من انواع الملابس والبياض فيُعرض بعضه على طاولات وبعضه يُنشر على حبل في غرفة خصوصية تسمّى غرفة الجهاز ليشاهده المدعوون قبل الحفلة . ومنهم من يقلل منه وهو الاصوب نظراً لكثرة الازياء في هذا العصر . غير انهُ من الذوق ان يُكتب حرف من اسم العريس وحرف من اسم العروس على بياض البيت .

في الملابس

جرت العادة في القديم ان يستعيروا طاقم العرس للرجل والمرأة من عند الغني في القرية الذي يقتنيه وكذلك الادوات اللازمة . وقد يخلع

الامير او الشيخ على العروسين ثياباً يلبسانها في العرس ثم تُقدم لهُ فيلبسها بمساعدة الاشبين الذي يقوم بكل الواجبات . اما اليوم فقد تطورت الحالة . وبعد ان كانت ملابس العريس في القديم الكوبران والسروال الاسكندراني من جوخ او صوف والطربوش المغربي اصبحت اليوم : ساكو وبنطلون اسود وعقدة رقبة بيضاء وقفاز ابيض وحذاء لمّاع . واصبحت ملابس العروس عادية وهي بيضاء اياً كان نوعها بأكمام طويلة تدل على البتولية وغطاء ابيض شفاف وحلاها خاتم الخطبة فقط . اما بقية النساء الحاضرات الحفلة فلهنّ ان يلبسنَ حليهنّ .

هدايا العرس

ان ما يهدى الى الخطيبين من الاقارب والاصدقاء يكون غالباً قبل الاكليل . ومن ادب المهدي ان يعلق بهديته بطاقة باسمه . ومن ادب العروسين ان يشكرا على الهدايا باسمهما . والهدايا ما خلا باقات الزهور الواجبة للعرس تكون إما اثاثاً للبيوت او ملابس او دراهم . وقد تقدم هذه الهدايا بعد الاكليل عند النصارى . وقد قيل « الهدايا من مقدار مهديها » لذلك قد يهدي غنيٌّ مثرٍ هدية ثمينة لعروسين فقيرين . ويهدي فقيرٌ هديةً حقيرة لعروسين غنيين . فمن ادب العروسين قبول الهدية بالشكر وضمها الى سواها من الهدايا كيفما كان امرها .

انواع الهدايا

تهدي العروس عادةً الى اهل عريسها بعض اثواب. ويهدي العريس الى شقيقة عروسهِ قطعة حلى ثمينة . اما هديتهُ الى عروسهِ قبل الاكليل فعقد من حجارة كريمة او بعض حلى ثمينة يرسلها لها ضمن علبة متقنة الصنعة فيها جميع ادوات الزينة والروائح والطيوب تكون بمثابة (المَشْبَنَة) التي كانت تُعرف عند العرب بعلبة العروس .

اما الهدية من شاب عازب صديق للخطيبين فتكون آنية للمائدة او ثريا او قنديلا او تحفة لردهة الاستقبال او خلافه . ومن المستحسن ان يتفاهم اصحاب الهدايا قبل ابتياعها فلا يكون اكثر من هدية من نوعٍ واحد .

ولقد جرت العادة عند اليونان القدماء ان يقدم الاقارب والاصحاب الهدايا للعروس في ثاني يوم من عرسها .

ليلة العرس

بعد ان يوزع الفريقان الدعوات (اي العزائم) يذهب اهل العريس الى بيت العروس للمشاورة اي المداولة (ويحكوا) موعد العرس واعداد الحاجات .

عند العروس

وفي اليوم الثاني يحضر انسباء العريس فتغسّل العذارى العروس حاملات

معهن ّ الصابون والطيوب والثياب الطويلة وكامل جهازها . ثم ترتبها الماشطة (ويعرف ذلك بالبَرْزة وهي كلمة فارسية بمعنى جلاء العروس ليظهر جمالها) ثم تلبسها خفاً عالياً مطعماً بالعاج ويدورنَ بها في الغرفة منشدات الاناشيد (الجلـّيوات) المعروفة :

يا ماشطة مشـّطيها وهويدلك لا توجعيها

وعروسنا بنت الاكابر والدلال ظاهر عليها

وبعد احياء قسطٍ من السهرة في الغناء والمسرات يرجع كل ٌّ الى بيتهِ منتظرين صباح العرس الذي يتم فيه الزفاف وحفلة الاكليل .

عند العريس

في الليلة السابقة الزواج يجتمع الشبـّان عند العريس فيحيون الليل في القصف والرقص والغناء وانشاد الزجل (المعنـّى) والضرب على الطنبورة او الربابة ونقر الدف او الدربكـّة والعزف بالصلـّوب او المجوز (نوع من القصب المجوّف المثقوب) والمنجيرة (الشبـّابة) ونحو ذلك . ثم تدار اطباق الزبيب والتين المجفـّف (المطبّع) وترتفع اصوات التراويد والزلاغيط ونحوها . ولا يسوغ لهم ان يناموا لاعتقادهم ان المتزوجين يخطفون عريسهم لانهُ صار احدهم .

وفي منتصف الليل تأتي ام العريس بقصعة من الحنـّاء المجبولة بالماء فيتحنـّون هم والعريس . وترسل بعضها الى بيت العروس والى الاصحاب

ممن لم يحضروا السهرة . وقد يتكحلون ايضا في بعض القرى . واذا شاء الشبان ان يناموا يمكنهم ان يفتدوا العريس بخلعة ثمينة يرضون بها المتزوجين فلا يخشون بأساً على عريسهم .

قبل حفلة الاكليل

اذا ما تنفس صباح يوم العرس اقبل الاهل والمدعوون فحلقوا للعريس مناوبةً. وجرت العادة ان يأخذ البولاد كل واحد من الحضور ويحلق جانباً من ذقن العريس ثم ترقص احدى النساء بثياب العريس . او يقدمون الثياب عند النصارى للكاهن على طبق فيباركها ويرتلون الترانيم الدينية . ومتى ارتفعت اصوات التهاليل والزراغيد (التراويد) وكثر القصف وجاء المهنئون حان موعد جلب العروس . فاذا كانت العروس خارج البلدة ارسلوا (الفرّاشة) وهم رسل يخبرون بقدومهم . ثم يذهب العرّاسة مع والدي العريس بموكب حافل الى بيت العروس وهناك تجري بعض مناقشات بشأن تردد العروس عن المجيء معهم فيقترحون عليهم ان يصيبوا النيشان بالرصاص ويشيلوا القَيْمة ، وفي ذلك تعجيز لا يخفى . وبما انهم عرفوا العادة تراهم يحضرون معهم شباناً بارعين باطلاق الرصاص والاصابة بهِ ، وآخرين اقوياء العضل لرفع القَيْمة وتكون غالباً جرن كبّة في وسطه خشبة يُقبض بها ويُرفع الى ما فوق الكتف واليد ممدودة بهِ . وقد يبلغ وزنهُ ثلاثين رطلاً . والقيمات من العابهم في القديم فيتمرنون عليها وتسمّى الشيلة في بعض المواضع . واذا لم يتمكنوا من رفع القيمة واصابة الهدف

استرضوا العذارى اللواتي مع العروس بخلعة او هدية . وفي اثناء ذلك يُنقل جهاز العروس الى بيت العريس مكشوفاً من مثل فرشة كاملة وطراحة او دوشك وصندوق وبقج ثياب وبلاس او سجادة وبعض اوانٍ مطبخية واشغال يدوية .

ثم عندما تخرج العروس تقف امام البيت.وتصير حفلة النقوط وهي دفع كل من ابويها واخوتها وانسبائها شيئاً من الدراهم . وهناك رجل يسمّى المشوْبش يثني على كل منقّط ويجمع الدراهم . (عادة التنقيط قديمة وكأني بها مساعدة للعريس يفيها مقسطة اذ ينقط كل من نقطوه باوقاته)

حفلة الاكليل او الزفاف

يصير الاكليل عند النصارى عادةً في النهار . وانسب وقت يكون قبل القداس فتتمّ حفلتا الاكليل والقداس معاً . فيسير الموكب ومع العروس اشبينتها، وهي كفيلتها واللفظة سريانية، وبعض نسيباتها الى الكنيسة لتكليلها من يد الكهنة على عريسها . وقد يجري ذلك في بيت العريس او العروس . ومتى تم الاكليل خرجوا بها من الكنيسة هي والعريس ومرّوا بهما في البلدة والناس ترشّهم بالقماقم المملوءة ماء الزهر وترمي الزهور او الحلويات . وغالباً تكون العروس راكبة على دابة ويداها مرفوعتان بمنديلين تحيي بهما الناس . ولا يجوز الرجوع بها من الطريق الذي ذهبوا به اولاً لجلبها لاعتقاد انها تعود الى اهلها . وكذلك يتطيرون من جلبها يوم الاثنين للسبب ذاته . فتقف امام البيت وتلاقيها حماتها بالبخور والقمقم

والخلعة . ثم تضرب العريس ثلاث ضربات ببرتقالة او رمانـة وتنثر النقل على الجمهور وقـد تنثر الدراهم على الفقراء . ثم تلصق الخميرة فوق الباب بيدها ثم تدخل وتجلس على مرتبتها العالية المعروفة (بالصمدة) فترفع يديها بالمنديلين تحيي بهما الجمهور واضعة يدها على رأسها وهي خرسـاء لا تتكلم الا بعد اسبوع . والاشبينة تجاوب عنها . ويكون العريس على مرتبـة واطئة قبالة عروسهِ فيـأتي المباركون (المهنئون) بالتراويد والتهاليل ويحيون العريس حاملين الهدايا وقد ينقطون على اطباق النقل. وهكذا يبقى العرس من اسبوع الى شهر او اكثر تدار فيـه اطباق الحلوى و كؤوس البيرة (الجعة) والخمر فترفع الاسرار وتشرب الانخـاب وتكثر التهاني والتبجيلات ثم تبسط موائد الطعام للمدعوين حسب مراتبهم .

اما عند غير النصارى فتتم حفلة الزفاف هكذا : تقاد العروس محجبـة اولاً الى الحمام مع جماعة من صويحباتها واهلها يقرعون أمامها الطبول وآلات الطرب ثم يرجعون الى البيت حيث تقام لهم حفلة غداء تسمّى (الوليمة) .

وفي اليوم الثاني تزف العروس لعريسها على الصورة الآتية :

ترسل محجبة ومحاطة باتباعها يتقدمهم المغنون والهازجون والراقصون الى بيت عريسها الذي يكون مزداناً بكل انواع الزينـــة ومهيأ لاستقبالها، فيكلف قاضي الشرع احـد مشايخ الدين ليكتب كتاب الزواج، وتستنيب الخطيبة وكيلاً عنها لانهُ لا يجوز ان تحضر بنفسها ، فيسأل الشيخ الوكيل عما يريد فيجيبـــه: اريد ان اعقد زواجاً مع فلان نيابةً عن فلانة وقد تم الاتفاق على مهر كذا مقدم و كذا مؤخر . حينئذٍ يلتفت الشيخ الى الخطيب

ويسأله ، فان اظهر رضاه كتب له الكتاب فيشكر العريس للشيخ ويدعو له الحضور بالتوفيق .

اما الزواج عند اليهود فيرافق العروس الى الكنيس على الاقل ابوها او من يقوم مقامه منها ليسلمها الى عريسها بعد اتمام العقد الذي يتم بان يقدس الحاخام خمراً ويشرب ويسقي العروسين . ويكتبون مهراً مؤخراً حتى اذا حدث ما يوجب الطلاق يدفع للعروس .

اما ردّة الرجل فهي ان يذهب العريس بعروسته لزيارة بيت حميه وهناك يُستقبل مع موكبه بالترحيب ويجلس هو وعروسته على مرتبتين ثم يجري القصف واللعب . وهناك عادة غريبة وهي تعليق العريس برجله فتفتديه حماته باكلة او خلعة ونحوها ومنها سميت (ردة الرجل) ، وقبلها تكون الصباحية وهي اخذ هدايا وزيارة العريس من قبل اهل عروسه فتصير ردة الرجل كأنها ردّ الزيارة .

اما ما يجري من سرقة بعض اثاث البيت او المائدة او المطبخ في ردة الرجل بداعي ارجاعها بعد ذلك فهذه عادة سيئة يجب الاقلاع عنها . ومثلها تقديم ثريا من سبع شمعات مغروزة في صحن عجين يضعونها امام الاشبين ليفتدي عريسه بغرز ليرات في العجين وقدر ما يغرز منها يكون مقام عريسه ثم يرجعونها له بعد رفع الثريا .

ومن العادات غير المنطبقة على التهذيب والذوق عادة (الشليفة او الخطيفة) المشهورة عند العموم لا سيما اذا كانت من طبقة لا ترضى بطبقتهم ان تصاهرها . وعادة تقبين العريس بعد عقد الزواج (اي رفعه عن الارض

مرات) فهذه العادات ينفر منها المجتمع .

الزيارات بعد العقد

بعد الفراغ من مهام العقد واداء الواجبات المعتادة يباشر العروسان رد الزيارات للاهل والاصحاب ولا يلبسان فيها اثواب الاكليل بل ملابس عادية . وزيارة اصحاب الهدايا واجبة قبل سواهم . وكانت العادة ان يدعو العروسين كلٌّ من حضر الاكليل لكنها انتسخت اليوم واقتصرت على وليمة الاشبينين وبعض الاقارب .

اكليل الارامل

من واجبات الارملة اذا تزوجت ثانيةً ان تحافظ على خاتم العقد لانهُ دلالة على احترام زوجها الاول. وكذلك لا يليق بالارمل ان يلبس زوجته الثانية ثياب وحلى زوجتهِ الاولى ولا سيما مع البنين لان الذوق واللياقة يقتضيان ان تحفظ هذه الاشياء كذكر من والدتهم . ولا يليق بالارملة ان تلبس الحداد في حفلة العقد ولا ما يكون شديد اللمعان من اللباس .

الطلاق والهجر

ليس في الدين الكاثوليكي طلاق الا في النادر ولموانع مبطلة. واما عند غير الكاثوليك فشائع لاسباب مشروعة . انما يصير عند المسيحيين الهجر دون

ان يسمح لاحد الطالقين ان يتزوج بحياة الآخر . فان كان الهجر بذنب المرأة استرجع الزوج المهر منها . وان كان بذنبهِ يحكم عليه بمعاش يقدمهُ لامرأته في مهجرها . وقد يجمع المسلمون السنيون والشيعيون بين زوجتين او يردون المطلقة . اما الدروز فلا يردون طالقاً ولا يجمعون بين زوجتين . ويكون الطلاق عندهم لاقل اشارة بسببٍ موجب ، فاذا قال الرجل لزوجته مثلاً سيري الى البستان ولم يقل وارجعي فهمت انها طالق . وقد يهجرها ولا يتزوج بغيرها فتبقى زوجتهُ . ومتى تزوج غيرها صارت طالقاً فتتزوج بغيرهِ . والمطلّقة تستتر من المطلّق بحرصٍ شديد كما تتحجب المخطوبة عن الخاطب . والمطلقة لا تُرد ولو تزوجت بآخر بخلاف عادة المسلمين . واذا ندم الدرزي على الطلاق قد يتخلص منه بانكاره ، والتصريح بالطلاق اذا وافقتهُ زوجتهُ . اما اذا كان عليه شهود فلا حيلة لهُ بارجاع زوجتهِ . ومما يفضي الى الطلاق والهجر ايضاً قسر احد الزوجين على الاقتران لدواعٍ خاصة .

مآدبهم

يتبادل اللبنانيون الدعوات (العزائم) في بعض المواسم والزيارات . وتعرف الدعوة عندهم باسم العزيمة يدعون اليها من يشاؤون من الانسباء والاصحاب . وكثيراً ما يتناشدون المغنّى (الزجل) ويترنمون بالاناشيد الوطنية الحماسية اهمها الحدو (الحداء) او (التحوروب) والمواويل والعتابا والميجانا ويشربون الانخاب (الاسرار) لزعمائهم ومحالفيهم . وموائدهم قديماً كانت بسيطة ليست الا شيئاً يمـد على الارض كجلد ونحوه يسمونه

(السفرة) وقد يكون طبلية وهي مائدة شبه الطبل واطئة توضع عليها الصحون الخزفية ويجلس حولها المدعوون بحسب مراتبهم في السن والمكانة. وقد لا يجلس اهل البيت معهم بل يخدمونهم بايديهم ويقدمون لهم المشاريب كالخمر والدخان والقهوة. وهم ادباء في مآدبهم لكنهم احياناً كثيرو الالحاف بالدعوة الى الطعام حتى انهم لا يقبلون عذراً لمن لا يشاركهم بالطعام حاسبين ذلك انتقاصاً من قدرهم .

وحبهم للقِرى معروف ولا سيما في لبنان الجنوبي حيث تكثر عادات العرب ومجاوريهم كما تتغلب في الشمال عادات الآراميين القدماء « ولكل امرىءٍ من دهره ما تعوّدا » . ومن امثالهم : اضرب بالسيف تتأمر واطعم خبز تتمشيخ . ويقولون « مالحنا » اي كُلْ ملحنا . وبتوالي الاعصر ترقت ادوات موائدهم حتى صارت على اتقنها عند الامراء والمشايخ والاعيان .

عاداتهم في المرفع

ومن عاداتهم في اسبوع المرفع ان يتداعوا الى الولائم كل مدة الاسبوع، فيتبادلون الدعوات اليها شاربين الخمور داعين بعضهم لبعض « كل مرفع وانتم بخير! او مثل ما رفّعتم بخير تعيّدوا بخير» وان يُكثروا من عقود الزواج فيه (والسبب في ذلك هو امتناع حصول هذه العقود طوال مدة الصوم لمانع ديني) فتقول العامة فيه : « المياه مربوطة » ومن يمرُّ عليه المرفع ولا يتزوج يلبسهُ أهلهُ وأصحابُه رداءهُ مقلوباً في جلسة مزاح هازئين به ، قائلين لهُ : لبطك المرفع يا مسكين والبنات عليك حردانين ! ثم يطلبون منه

ان يعوض في الاحد الجديد ما اصابه من فشل في المرفع .

ومن عاداتهم المتبعة في هذا الاسبوع ايضاً ان يقام بينهم كل سنة « شيخ شباب » يتخذونه عادة من السكيرين المشهورين ، فيتبعه فئة يقاسمونه المشروب ويتنقلون معه في متنزهات البلدة يقصفون كل يوم ويبتاعون حاجاتهم على حساب شيخ الشباب !

ليلة قطع الزفر

هو الاحد الاخير من اسبوع المرفع او ليلة مدخل الصوم لانهم فيها يودعون المآكل الزفرة حتى صباح العيد الكبير. ويعدُّون لها أفخر المآكل من اللحوم والدجاج وانواع الكبَّة اللبنانية . فيخلو الرجل بعائلته في بيته يؤانسهم ويؤاكلهم وقلَّ من يتخلف في هذه الليلة عن الاجتماع بأفراد عائلته الاّ اذا حالت دون ذلك موانع قاهرة . وكذلك قلما يطرقهم زائرٌ لان التزاور بذاك الوقت ممنوع .

وقصارى الكلام ان العادات التقليدية في اسبوع المرفع انما جرى عليها اللبنانيون لاجل المؤانسة والتحابب ومقاسمة الافراح والراحة من عناء الاشغال . اما اذا رافقها ما يفسد عليها هذه المبادي الودية كالسكر والقتال وتفريق القلوب فانها تنقلب الى عادات مضرة ينفر منها المجتمع ويمجها الذوق .

وقد قيل : عادات الامم عنوان فخرها وميزان رقيها وحضارتها .

مسامراتهم

في ايام الشتاء يجتمع اللبنانيون ساهرين الليالي الطويلة ملتفين حول مدخنة في زاوية البيت توقد فيها الجذوع والدخان يكحل العيون ويتخلل اللحى فيسوّد السحنات فضلاً عما ينبعث من الغلايين واللفائف من الدخان وهم مولعون بشربه . وقد يتنقلون في آخر السهرات بشيء من الزبيب او التين المطبّع (المقدّد) والجوز ونحوهِ .

وكانوا يسرجون (اللقش) وهو شظايا الصنوبر الراتنجية وزيت الخروع او الزيتون باسرجة فخارية. وفي ليالي الصيف يتسامرون بضوء القمر للتداول بشؤونهم الخاصة مثل توزيع الضرائب والاموال الاميرية او وضع ناطور يحرس العقارات كالكروم والزيتون واشباه ذلك. وكانوا اذا دخلوا البيوت يخلعون نعالهم ويضعونها خارج الباب او في عتبته ويجلسون القرفصاء ويقرأون الاقاصيص والروايات كأخبار بني هــلال وعنترة مترنمين باشعارها العامية ويسمون ذلك (تقصدناً) اي انشاد القصيد ملحناً. ويلعبون بعض الالعاب منها « الورق » او الشده واقدم العابهم فيها البحْري والسكنبيل او يتلهون بالمنقلة والدريس وغير ذلك . وقد يصرفون لياليهم ايضاً بانشاد المعنّى (الزجل) والتحدث بالتبريج او كشف الكنوز المطمورة واخبار الجن والعفاريت والخرافات .

اما الامراء والاقطاعيون فيتخذون لهم ندماء يصرفون اوقات فراغهم معهم ويتعاطون الالعاب المروضة للعقل والصيد ولعب الميدان وامثال ذلك .

الفصل العاشر

عادات اللبنانيين في احزانهم

الامراض – عيادة المريض – المصائب – المآتم – النعي – قلم الخيل – الدفن – الدعوة والحمل – الخلعـــة والضريح

للبنانيين عادات واعتقادات غريبة في احزانهم اخذوهـا عن عادات الامم القديمة كالمصريين والاراميين والعرب ، منها في :

امراضهم

من اشد الاوبئة القديمة :

(الطاعون) الذي كثيراً ما كان يقرض اسرهم وعيالهم . وكان علاجه بعزل المطعونين في اماكن بعيدة عن القرى ، وكانوا يضربون الحجر الصحي على الامكنة الموبوءة ليخففوا من انتشاره . « ومن دعوات العجائز طاعون يقشّه » .

علاجه : عندما اشتد طاعون ١٨٢٦ وامتد من يافا الى طرابلس عقد الاطباء جمعيات في اوروبا وارسلوا في سنة ١٨٢٨ اربعة اطباء فرنسيين الى الشرق لامتحان الطاعون الاسيوي فعالجوا في طرابلس الشام اربعـة

وخمسين شخصاً مات منهم واحد فقط، ثم زاروا الامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان المشهور وقدموا له صندوقين من الادوية لعلاج الطاعون والوقاية منه .

ثم (الجدري) وهو مرض مشوّه لم يعرفوا له علاجاً غير العزلة وبعض العقاقير . واول من ادخل التلقيح على طريقة جنر الطبيب الانكليزي مكتشفه القنصل بطرس لورلاّ قنصل النمسا وغرندوقية توسكانا في بيروت فحمل اللقاح (المطعوم) سنة ١٨١٠ م الى الامير بشير الشهابي الكبير فلم يثق بنفعه الاّ بعدان جربه ببعض خاصته الذين خالطوا المجدورين في برجا . ولما تحقق نجاتهم من العدوى تلقح هو وأهل بيته .

ثم (حبة حلب) جاءت مع العسكر المصري بزمن ابراهيم باشا وبقيت مدة في بشامون فسميت الحبة البشامونية . فضلاً عن الامراض الحديثة كالحمى القرمزية والحمى المالطية والزهري واشباهها .

وكانوا يعتقدون ان الطب تجربة واختبار فلذلك قالوا « اسأل مجرّب ولا تسأل حكيم » وكثيراً ما كانوا يعالجون بوصفات العجائز والشيوخ بالضمادات والفصد والكيّ والحقن وتناول بعض عقاقير طبية . او ينذرون للكنائس والمعابد زيتاً وبخوراً . او يحملون الايقونات الى غرفة المريض ويطوفونه لاحد القديسين او الاولياء عملاً بالآية المشهورة بينهم « آمن بالحجر تبرأ » . وقد يتركون بعض الامراض بدون علاج كالفالج ويقولون « فالج لا تعالج ». وان اضطروا الى مشاورة طبيب استدعوا احد الدجالين الوطنيين او المغاربة الذين يطوفون القرى بالعقاقير او بكتابة

الحُجُب والتعاويذ او بالفصد والكي والحقن .

ومن اغرب معالجاتهم الكي بالرأس لبعض البثور التي تظهر في الوجه . والتمسيد او الدغدغة لوجع المعدة . واحراق صوفة كلب ووضعها على جرح مَن عقرهُ كلب. واستخراج السم من لدغة عقرب او افعى بحجر السم في خواتمهم او باستشارة الحاوي « وهو الذي يربط الحية ويشفي من لدغتها » وشفاء المصدور بتجريعه لبن اتان (حمارة) وانقاذ المذعور (المرعوب) بتجريعه بول الانسان او بالتقسيم عليه والصلاة . وابراء « الوتّاب » وهو حالة عصبية بالقبض على عرق بين الكتفين . وابطال الحازوقة (الفواق) باغضاب المصاب بها كأن يقال له سرقت مما يوغر صدره . وردّ العين « الاصابة بها » بالرقية والتبخر باثر العائن « الصائب » الذي يُعرف بصب رصاصة في صحن ماء بيد الراقي والتأمل في الصورة التي تظهر وتطبيقها عليه . ومعالجة « بثرة العين » بان يشحد المصاب بها من سبع نساء اسمهنّ مريم ولذلك سموها الشحاد ويطعم ما شحده لكلب اسود .

والتهاب اللوزتين بتمسيد من خنق خلداً بيده . والحزازة « القوباء » في الجلد بامرار قلم كاتب ابن كاتب على حواشيها بحبره في ايام معلومة .

واذا احتضر العليل استقدم له الكاهن او الخطيب لاتمام واجباته الدينية . وقد يستكتب وصيته قبل اشتداد الوطأة عليه .

عيادة المريض

اذا مرض احد عاده اقاربه واصدقاؤه ومعارفه للوقوف على احواله . واذا لم يتمكنوا من عيادته بذاتهم وجب عليهم ان يستنيبوا عنهم احداً ،

او ان يكتبوا اليه . وقد يمنع عنه الطبيب المقابلة فيكتفي برؤية اقاربه والاطمئنان اليه . وقد ينزعج المريض ويقلق من دخول الزوار الى غرفته والضجة والتدخين فيها . فالرأي ان يقلع الجميع عن هذه العادة تجنباً لضرر المريض . امـا اذا كان المريض في مستشفى فيُسأل عنه طبيبه او رئيسة المستشفى . واذا كان الدخول عليه ممنوعـاً فيكفي ان يرسل اليه بطاقة استعلام عن صحته .

المصائب

اذا أُصيب احدٌ بنائبة او نكبة كخسارة امواله او فقد احـد اعضائـه كالعين واليد والرجل وما شاكل اجتمعوا في بيته يسلُّونهُ بذكر الحوادث التي جرت للناس اعظم مما جرى له فيهوّنون عليه مصابه . وقد يسعون له بالتعويض المالي مثل جمع اعانة ونحوها لمساعدته وإعالة اسرته ، والسعي له بعمل يوافقه اذا كان مشوهاً، فكثيراً ما يسعى له اهل القرية بجعله معلماً لاولادهم اذا كان قارئاً وكاتباً وحاسباً .

ومن اساليبهم في تعزية المنكوبين بفقد المال قولهم « اللي بيتعوض ما هو خسارة » « بالمال ولا بالرجال ». « واللي ماله ما بيروح له » وللمنكوبين بالتشويه يقولون « نشكر الله اللي ما هو اعظم . ولا تكبّر مصيبتك بتصغر ».

المأتم

هو الاحتفال الذي يقوم به اهل الميت واقرباؤهُ واصحابه من حين موتهِ الى حين دفنهِ . ومن المعلوم ان عـادة تكريم الميت من الأمور

القديمة العهد في التاريخ . والاحتفال بالجنازة وجد طبعاً في الانسان دليلاً على اظهار قوة لا تُغلب ولا يمكن الهرب منها وعلى كون الاجل المحتوم قد انتهى وييئس الانسان من ميته بحيث يكون ذلك نظير الوداع الاخير له .

فعندما يموت احدهم ويُغسل جسمه عند المسلمين ويمسح بالماء عند غيرهم يُرفع على شيء عالٍ وترتفع اصوات المناداة والعويل والندب . وتجتمع النساء حوله ولا سيما « الندابات » وقد يُحلّ شعر النساء وتسوّد « تشحر » وجوههنّ عند بعض الملل . وقد يقطع شعرهن ويلقى على الجثة او تشق الاثواب كعادة العبرانيين وقدماء المصريين وتلدم الصدور وبايديهنّ المناديل يلمعنَ بها الى الجثة .

اما رؤساء الدين فعند المسيحيين لا يجوز الندب او العويل على رأس بطريرك او اسقف او كاهن . ولا تستلقى الجثة بل تُجلّس على كرسي وعليها البدلة « الثوب الديني » ويوضع الصليب في اليد اليمنى ويُربط فيأتي المعزون ويقبلون الصليب ثم يد الميت وتوضع الجثة في الكنيسة لا في البيت الا لداعٍ ضروري .

وعند الدروز اذا كان الميت عاقلاً او جويّداً يُلبّس ثوباً ابيض خاصاً به وعمامة بيضاء وكذلك شيوخهم من شيخ عقل وشيخ خلوة او مجلس ولا يُندب قط وتكثر عليه الرحمات .

اما الجاهل منهم فيترحم عليه مرةً او لا يترحم عليه البتة . والعاقل المرتاب به يكون بمثابة الجاهل احياناً . ونساء الدروز قد تكشف وجوههنّ اذا لم يدخل رجال الى قرب الجثة لتعديد صفات الميت والتأسف عليه .

ولا تحل شعرها ولكنها تتعصّب بالسواد شأن بقية النائحـات من جميع الطوائف . ويكثر الندب من الرجال والنساء والتحورب والرقص بالسيف الاّ النساء فلا يجوز لهنّ ان يرقصنَ بالسيف .

عند العرب : جرت العادة ان يُغسل الميت في بيتهِ ويُحنَّط ويكفَّن باكفان ربما بلغ عددها الى سبعة اكفان من القطن الابيض ثم يوضع على نعشٍ وتجتمع حولهُ النائحات ليظهرنَ شعار الحزن والحسرة معددات محاسنه . وكانت العرب في الجاهلية تندب الميت بقولهم واحرباه « قيل اصلها انه لما توفي حرب بن أُميَّة ندبهُ اهل مكة فقالوا واحرباه ثم استعملت بعد ذلك عندهم لندب الميت والاشعار بالتأسف والحزن عليه » وكانوا يصنعون ست مرات من الضيافات الحزينة تأكل فيهـا النائحات المستأجَرات وذلك في اليوم الثالث والتاسع والخامس عشر والاربعين ولتمام ستة اشهر والسادسة على رأس السنة من موت الميت .

قال الاصبهاني : كانت المرأة في العرب اذا ناحت قائمة على زوجها عُلم انها لا تريد ان تتزوج بعدهُ . وقد بقي شيءٌ من هذه العـادات في البلاد الاسلامية الى عصرنا هذا لكنهُ يختلف باختلاف الامصار . فان في بعضهـا لا يكون البكاء والندب وحل شعور النساء ونواحهنّ الاّ فوق رأس الميت . ومتى دفن بطل ذلك كله . وفي بعضها يكون في ايام معينـة . وفي بلاد مصر ربما دامت النائحات مستأجَرات اسبوعاً او اكثر الى اربعين يومـاً يندبنهُ صابغات ايديهنّ بالنيلة كالحنّاء ولاطخات وجوههنّ بها ايضاً ويحللن شعورهنّ ويرقصنَ في المحافل والساحات والمسارح رقصاً هائلاً لاطمـات

وجوههنّ على نقر الدفوف نقرات مزعجة ينشدن عليها نواحاً بصوت تحسبهُ خارجاً من قبور الموتى .

اما عندنا اليوم فيجمل ان يسود السكوت في غرفـة الميت وان تضاء فيها شموع وان تجلل الجثة بالحلى وبثوب لائق .

المأتم او الجنازة عند بقية الشعوب : تختلف كثيراً كيفية ومدة الجنازة او المأتم عند الشعوب . فكان المصريون القدماء يعظمون امر الجنازة . وكانت مدتها للملوك اكثر من شهرين فكانت تبطل المحاكم واعمال العبادة ويواظـب على الصوم والامساك وتطوف جمـاهير الرجال والنساء في المدينة كل يوم يلطمون وينوحون . اما جنازة العامة فكانت لا تختلف عن جنازة الملوك الا بقصر المدة . وكان الرجال والنساء يطوفون نصف عراة ووجوههم متسخة وولولتهم تملأ الجو . وكانوا ينقلون الجثة بعد تحنيطها الى خلف بحيرة يكون على شاطئها اربعون قاضياً وهناك يأخذون في الفحص عن سيرة الميت في حياته بكل تدقيق . ويضعون جثة العامي في تابوت من الارز ويدخلونه في حائط بيته . واما الملوك فكانوا يدفنونهم في الاهرام. واما العبرانيون فكانت مدة الجنازة والحداد الخاص عندهم اسبوعاً لكن اذا كان الميت ملكاً او اميراً كانوا ينوحون عليـه شهراً كاملاً وكانوا يصومون ويلطمون ويولولون . ويساعدهم في النوح اصحاب الشبّابات تهييجاً للحزن . وكانوا يمشون حفـاة مكشوفي الرؤوس ويتمرغون على الرماد ويلبسون المسوح الخشنة منسوجة من وبر الابل او شعر المعزى . ثم يدرجون الجثة بعد تحنيطهـا بالاكفان ويأخذونها الى القبر .

واما الجنازة عند اليونان والرومان فمن الامور التي قررها التاريخ تقريراً صحيحاً فكان القدمونيون لبساطة عاداتهم وخشونتها لا يسمحون بدفن الميت باحتفال وابهة اذا كان من العامة . فكانوا يقومون بذلك بدون احراق طيوب ولا سكب دموع ولا ضرب موسيقى . وكانوا يغطون الميت بثوب من ارجوان ويسجّونهُ على فراش مغطى بورق الزيتون اذا كان قد مات لاجل وطنه .

اما جنازة الملوك فلم تكن كذلك . فبموجب شريعة ليكرغوس كانت النساء عند موت ملك ينثرنَ شعورهنَّ ويضربنَ ليلاً ونهاراً على آنية من نحاس نائحات معولات . وكانوا يبقون الجثة عشرة ايام فتغلق المحاكم وتبطل الاجتماعات والمجالس ويلبس الحداد شخصان من كل عائلة ، وبعد مضي هذه المدة يزينون الجثة بزينة فاخرة ويحملونها الى مدفن الملوك بين جماهير تغصُّ بها الطرقات . وكان الوثنيون يغسلون الموتى من المتمولين ويمسحونهم بالزيت ويطبقون فم الميت وعينيه ويطيبون جسدهُ ويضعون في فمه ديناراً لدفع رسم الدخول الى البرزخ ويلبسونه افخر ملابسه ويضعون الجثة على سرير في رواق دارهِ موجهين رجليه الى بابها . ويضعون بجانبه اناءً كبيراً مملوءاً ماءً مقدساً . ويحيط بالميت اقاربه الادنون . واذا كان من الذين نالوا اكليل الاكرام يكللونهُ به ويزينون النعش بالازهار ويضعون غصناً من السرو امام الباب .

وكان الرومان يسجون الميت في صحن دارهِ سبعة ايام وفي اليوم الثامن ينادي المنادون في الشوارع وظاهر البلد باحتفال الجنازة . وبعد

بضع ساعات يسيرون بهِ فينفخون في الشبَّابات وتنوح نائحـات يُستأجرن لذلك وتشعل المشاعيل في الطرقات حتى في النهـار . واذا كان الميت من عائلة شريفة كانوا يحدقون به حاملين صور آبائه ويتبع ذلك الاقرباء والاصحاب بثوب الحداد والنساء ناثرات الشعور معولات. وكانوا تارةً يقفون به لسماع خطبة يتخللها اغاني محزنة. ثم يصلون الى الوقود ويضعون قطعة معاملة بين شفتيه ويذبحون الحيوانات ويقربون القرابين . فاذا كان الميت من عائلة ملكية كان يحدث احياناً حرب شديدة حول الوقود تكون فاتحة الاحتفال، ثم يجمعون الرماد في قارورة ويدفنونها بضرب الطبل. واذا كان الميت عامياً لم تكن جنازته تختلف كثيراً عن جنازة الاغنياء والشرفاء . واما جنازة الفقراء فـكانت بسيطة جداً . فانهم كانوا يلقونهم بعد ثلاثة ايام في اسفاطٍ ويطرحونهم في حفرة عمومية او يحرقونهم .

واما المتأخرون فقد صار احتفـال الجنازة عند المتمدنين منهم يقتصر فيه على اقامة الصلوات والانذارات واتخاذ ما من شأنه الدلالة على اعتبار ومراعاة حاسيات الاحياء ولا سيما اقاربه . على ان عادة تعديد الرجال للميت وولولة النساء وندبهنَّ عليه وما اشبه ذلك من الاعمال الدالة عـلى الحزن والاسف لا تزال جارية عند من لا يحسب منهم في اعلى درجة من التمدن ، إما محافظةً على عادات قديمة او مراعاة لنصوص مذهب من المذاهب . ومن الغريب ان نرى ان عادة وضع قطع من النقود على عيني الميت وفمه لم تزل جارية عند بعض الامم الشرقية . على انهم لا يفعلون ذلك لنفس المقـاصد

التي كان يفعله لاجلها القدماء .

النعي

ويعرف في اصطلاحهم بتفريق المناعي . فعلى اثر الوفاة يطيّر نعي الميت الى الاصدقاء والاقارب والمعارف مع تعيين ساعة الصلاة عن نفسه ودفن الجثة .

ويعم النعي او يخص بحسب درجة المتوفى من طبقات الشعب وارادة انسبائه . والمدعوون للمأتم يزدون زرافات زرافات ويبدأون من اول القرية بالمناداة والبكاء والندب والتعديد الى ان يلتقوا برجال الميت رافعين النعش المسمّى عندهم بالمعتم (تحريف مأتم) على الراحات وهو مزين بالبسة الميت واسلحته حسب رتبته فينادونه ويعددونه ويسلمونهم النعش فيأخذه القادمون ويطوفون به على الراحات ويبقون كذلك الى ان يأتي اهل قرية اخرى فيأخذونه منهم عندما يلاقونهم به ، وكلهم يعددون الميت ويعزون اهله . وقد اعتاد المدعوون من ابناء هذا العصر ان يقدموا اكلّة او ازهاراً لتوضع على النعش او القبر ، فمن كان لا يريد ذلك لفقيده يلتزم التصريح في اوراق النعي فيقول مثلاً « الرجاء عدم تقديم اكاليل » .

في بيت الفقيد : يجلس اقارب الميت في قاعة الاستقبال فيفد عليهم المعزون والمدعوون فيقف اهل الميت اجلالاً لهم . ويقول الوافدون لدى وصولهم « العوض بسلامتكم » ثم يقتربون من اقارب الميت ضاغطين على يد كلٍّ منهم معزينهم بفقيدهم وبعد ذلك يجلسون ساكتين لان السكوت في مثل هذا

المقام واجب على الجالسين تهيباً للموت . وان كان لابد لواحدٍ من الكلام وجب ان يكون همساً وبرزانة تامة . ويقدم اهل الميت للمدعوين الليمونادة اولاً ثم القهوة المرّة ولفائف التبغ (الدخان) .

ملاحظة : ليس من شأننا تغيير كل العادات او قلبها بل التنبيه الى المستحسَن منها . وعليه فوقوف اهل الميت لكل وافدٍ من البلدة للتعزية ، وقد لا يفد الجميع دفعة واحدة ، لم يعد من المستحسَنات في هذا العصر لان اهل البلد يجب ان يشملهم الحزن على فقد ابن بلدهم فيصبحوا كواحدٍ من اهله . وعليه فلا يحط من قدرهم اذا لم يقفوا لهم كلما دخلوا عليهم بل عليهم ان يتمثلوا بالنساء الحزينات اللواتي لا تقوم واحدة منهن لمن تجيء للتعزية او لحضور حفلة الدفن . اما واجبات الوقوف للمنعي الغريب عن البلد فتظل مرعية الجانب .

قلم الخيل

قد اعتاد الامراء والاعيان في مآتمهم ان يقلموا الخيل . وذلك يتمّ باسراج جواد او اكثر الى اربعة عند الامراء والمشايخ ويضعون عليه طقم (كساء) الميت وسيفه وقربينته وبعض اسلحته . ويقود الجواد رجل قد يكون راكباً او راجلاً . وقد يقف على جانبي كل جواد رجلان بيد كل منهما سيف مسلول فوق ظهر الجواد فيُطارَد الجواد ويضرب ويطاف بهِ حول البيت او الساحة وهكذا تبقى المناحة والجثة في البيت يوماً او يومين احياناً ويجتمع اهل القرى المدعوون او الانسباء البعيدون. ويجوز قلم الخيل

لشيخ العقل عند الدروز ولا يجوز لرؤساء الدين والكهنة عند النصارى .

تشييع الجنازة والدفن

اذا حان وقت دفن الميت بالصلاة عليه قام اهلهُ للوداع مكشوفي الرؤوس وأُقفل النعش وعلّقت عليه شاراته اذا كان ذا شارات وحسر الحاضرون رؤوسهم ثم يُنقل الميت محمولاً على الاكف في القرى ومنقولاً في عربة مخصوصة في المدن تُعرف بعربة الموتى مجللة بالسواد ويجرها جوادان او اربعة الى الستة حسب قدر الميت ومقامه المالي . فيتقدم الموكب الصليب الكبير ثم تلامذة المدارس ثم الاسقف او الكهنة بحللهم الكهنوتية يرتلون تراتيل روحية محزنة او يلحنون المزمور الخمسين ، ثم نعش الميت فاهلهُ فباقي الرجال والنساء بثيابهنّ المعتمة حتى يدخلوا الكنيسة . وبعد الصلاة عن نفسه يخرجون بالجثة الى المدفن بنفس الترتيب الذي دخلوا به يتقدمها الصليب ، وكاهن بيده مبخرة . وبعد مواراتها ورش الماء المبارك فوق المقبرة يقف اهل الميت الى جهة والباقون يعزونهم قائلين « العوض بسلامتكم » .

في آداب بلدة الميت : لموت المسيحيين في القرى علامة بقرع جرس الكنيسة حزناً فيهرع اهل البلدة الى دار الميت لتعزية اهله بمصابهم ومجاملتهم في احزانهم واجتماعهم في المساء لصلاة البخور عن نفس الميت . ويزاولون هذا الاجتماع مدة ثلاثة ايام .

اما العادات في ولائم الموت فمختلفة بحسب اتفاق الامكنة ، فمنها ان يقدموا اكلاً لاهل الميت رجالاً ونساءً ولا يتركوهم يأكلون من بيتهم الاّ

بعد مرور يوم او يومين فاكثر على موت فقيدهم . ومنهـا اطعام الكهنة والمدعوين من خارج البلدة على نفقة الاهلين بحيث يدعون احزاباً احزاباً الى البيوت للقيام بواجبهم . ومنها تناول الطعام على مائدة اهل الميت ، الى غير ذلك من العادات التي لا ضابط خاص لها .

حفلة الدفن عند المسلمين : اذا كان الميت من اهل العلم اذّن المؤذنون في المساجد يدعون الناس الى الصلاة والاّ نقل الى الجامـع بدون اذان . وعلى اي حالٍ كان لا بد ان يُغسل ويلف باكفان اقلها ثلاثة ويجعل قطن في منافذه فيوضع عــلى نعش مغطى بالشال والكشمير ويحمله خمسة اصحاب او ستة يتناوبون من مسافة الى اخرى . ويتقدم الجنازة صف من المشايخ وحفظة القرآن « وفي بعض اماكن يتبعهم صف من العميـان والمساكين يجوّدون بالآيات القرآنيـة » حاملين ورافعين رايات مكتوباً على قماشها الشهادتان او بعض الآيات من القرآن وهم يوحدون وينشدون البردة للبوصيري التي مطلعها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سلمٍ مزجتُ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ويمشي خلفهم الاهل والاصحاب والباكيات فيتوجهون بالجثة الى الجامع فيصلي عليه الناس المجتمعون هناك في جنازته على حسب حاله ودرجته في الدنيا والتدين .

ثم ينقلونه الى الجبّانة فتحلّ ربط الاكفان ويوضع له قطن تحت رأسه ويكشف وجهه وترش الحنّاء عـلى رأسه وتجعل كتفه اليمنى نحو التراب بحيث يكون وجهه لجهـــة القبلة . وهكذا يُدفن في اللحد المحفور له

بلا صندوق (تابوت) وبعد ان يلقنهُ الشيخ في اذنه حسب قواعد الديانة يحثون عليه التراب ثم يبنون عليه قبراً اما من الرخام واما من البلاط او من الحجر المعتاد حسب سخاء ورثائه . وغالباً ينقشون تاريخ وفاته على رخامةٍ منظوماً في ابيات من الشعر ويضعونها على القبر . واكثر الناس الموجودين وقت الدفن يعزون اقرباءهُ عند القبر وبعضهم في البيت . واما اطعام الفقراء والتصدق عليهم بشيء من الدراهم والتذكارات الليلية في بيته وتلاوة القرآن على قبره اياماً وزيارة قبره من اقاربه رجالاً ونساءً ولا سيما في الاعياد وفي كل يوم جمعة وتزيين قبره بشيء من الزهور والرياحين ، فكل ذلك من الامور التي لا بد منها .

اما الدروز فينقلون الجثة الى المقبرة رأساً . وقبل مواراتها في التراب يهمس الشيخ في اذن الميت كلمات سرية للعاقل والجاهل من ذكور واناث. فالعاقل يزكّى علناً وتستمطر عليه الرحمات ثلاثاً، واما الجاهل او المتجاهل من العقال فلا يزكّى جهاراً حضّاً للناس على اتيان الخير والبعد عن المنكر . ويتلى عندهم صك وصية الميت على القبر بعد الدفن على مسمع الجمهور. وهم غالباً يوصون للذكور من اولادهم واعقابهم او لبعضهم دون بعض . واما الاناث فيوصون لهنّ براتب يُدفع لهن اذا خلون من الزوج . فلذلك يندر ان تكون المرأة غنية .

والشيعيون قد يغسلون الجثة على القبر لئلا تتنجس بمسّ احدٍ لها ، وهي عادتهم في كثير من شؤونهم . ثم ينعزل اهل الميت الى جهة فيمر امامهم المعزّون ويعزونهم جابرين خواطرهم المنكسرة .

الدفن عند اليهود : بعد غسل الميت ولفّه بكفنٍ واحد تتوافد الاقارب والمعارف لتعزية اهلهِ دون ان يقدم لهم شيء حتى ولا سكاير . ومتى حان وقت الدفن يحمل الميت بنعشهِ ، وبعد اتمام الفروض الدينية يرافقهُ الرجال الى المقبرة ويوارونه في التراب ويقف الاقارب الى جهة ويعزيهم الباقون . ومتى عادوا الى البيت يشق الحاخام قميص اقرب الرجال الى الميت فيمسي غير صالح لاي استعمالٍ كان . ومن عاداتهم ان لا يخرج اهل الميت من بيتهم قبل ثمانية ايام تمرُّ على دفنهِ . ولا يوضع ميتانِ في قبر واحد ولو بلي الاول تماماً .

عادات الشعوب القديمة في دفن موتاها : اصطلح الناس منذ القديم على اكرام الموتى بثلاث طرق وهي : التحنيط والاحراق والدفن بالتراب . فالمصريون يحنّطون موتاهم منذ اقدم الازمنة الى القرن السادس للميلاد . والعبرانيون كان الغالب عندهم دفن الموتى . ويستدل ببعض آيات التوراة انهم كانوا احياناً يحرقونهم وكانت مدافنهم خارج اسوار مدنهم . وكان اليونان القدماء يدفنون موتاهم او يحرقونهم . فاذا دفنوهم يضعونهم في توابيت من فخار يوارونها خارج المدن لاعتقادهم ان الموتى ينجسون الاحياء . وكانوا يحرقون الاجسام بعد دهنها بالزيت والباسها افخر الملبوسات بوضعها على ركام من الحطب تضرم فيه النار على مرأى الذين مشوا في الجنازة . وعند انطفاء النار يجمعون العظام ويضعونها في اناء او صندوق مغلّف بالارجوان ويدفنونها في جوانب الطرق خارج المدينة . وكانوا يذبحون حولها البقر والغنم والاسرى . وكانت عائلة الميت بعد الدفن تأكل في بيت اقرب الاقارب .

اما الوثنيون فمتى حان يوم الدفن كان جمهورهم يحضر قبل طلوع الشمس فيسير قدام الجميع رجال يضربون الآلات الموسيقية ومعهم مرغون ينشدون ترنيمة المناحة . ويسير امام الميت اشخاص مبرقعون ببراقع شمعية يشخصون اجداده . وكان يحمله اقارب ذويه ويسير وراءهم الرجال من اهل حسبه ونسبه مستتري الرؤوس والنساء مكشوفتها مرخية الشعور تضرب صدورها وتصيح صياحاً شديداً . وكانوا يذهبون بذي الرتبة العالية الى الساحة العامة حيث يؤبن بخطاب . ثم يلقى بالنعش على إبّالة على شكل مذبح متساوية الجوانب الاربعة ثم يدنو اقرب ذويه منها ويضرم النار فيها محولاً وجهه عنها . وكانوا يطرحون غالباً في النار اطياباً وزيوتاً واطعمة وحلى وثياباً ويطفئونها بالخمر . ويجمع اقرب اقاربه العظام والرماد باعتناء ثم يضمّخها بالطيب ويضعها في اناء . وكانت هذه الآنية مختلفة الاشكال تُصنع من مواد شتى تسدّ وتختم وتوضع في جدران من الحجارة وفي مواضع خاصة بها او في جوانب الطرق . وربما جمعوا دموع الاصدقاء في قوارير او قناني مع الرماد ووضعوها في القبر مع الميت . وقد وجد كثير من هذه القوارير والقناني في النواويس القديمة . واما عظام العامة فلم تكن تحفظ باعتناء كعظام الخاصة .

واما الشهداء المسيحيون الاولون فكانوا يُدفنون في الكنائس ثم دفن بعض اهل الشهرة فيها ثم تعمم الدفن داخل الكنائس وخارجها فنشأ عن ذلك ضرر عظيم . وفي سنة ١٧٧٧ أُبطل في فرنسا الدفن في الكنائس وخارجها ثم في اكثر البلدان .

الخرافات في المآتم : من الخرافات الشائعة في المآتم ان الميت اذا بلع الكفن سبَّب ذلك موت كثيرين . فلهذا عند وضع الجثة في اللحد يُشق الكفن من جهة الوجه ويثنى . ويتطيرون من فتح المقبرة بعد دفنٍ حديث فيها ويقولون انها لا تُفتح على اقل من ثلاثة من الاسرة او البيت . ويتركون السراج الذي اوقد في غرفة المتوفى ليلاً عند خروج روحه فيبقى مسرجاً طول النهار الى ان ينطفىء بفراغ زيته . وعند ادناف المريض يتطيرون من نعيب البومة ويخافون عليه من الموت . وكذلك اذا كسر ماعونٌ في البيت . واذا عوى كلب عواءً مقلوباً او صاحت دجاجة كالديك .

الحمل والدعوة

لقد جرت العادة عند جميع طوائف لبنان في ايام المآتم ان لا يصنع اهل الميت طعاماً ابداً الا الامراء ونحوهم من الطبقات التي تأبى الحمل والدعوة الى بيوت اهل القرية . ولذلك يدعى اهل الميت الرجال لتناول الطعام عند الداعين ويأخذ اهل القرية المدعوين من خارجها الى بيته كل حسب استطاعته . ثم تحمل نساء كل بيت من القرية الى بيت المتوفى اطباقاً عليها اصناف المآكل والخبز ويسمى ذلك « الحملان » او الحمل فيأكل النساء ومن يبقى في البيت من الأقارب . وقد يستمر هذا العمل اسبوعاً كاملاً تخفيفاً عن عاتق المحزونين ليتفرغوا للقيام بمأتمهم . وقد يبقى المأتم اياماً بحسب وفود المعزين ومنزلة الميت . وقد يحمل الاصحاب والمدعوون من

القرى المجاورة هدايا لاهـل الميت كحيوانات للذبح وارزّ وسكر وبن او دراهم وما شاكل .

الخلعة والضريح

كان الحاكم من الامراء والشيوخ وغيرهم يرسل من يعزي اهـل المتوفى حاملاً اليهم الخلع من قِبَله علامة الرضى ومحافظة على من كان من عهدته . اما الضريح فكان الامراء والحكام يبنونهُ على شكل قبة وتحتها رمس يُفتح حين الدفن . وكثيراً ما كانوا يضعون عليه قبّرية اي كتابة ونحوهـا تدلّ على المتوفى ، أو نصباً عليه قبرية . والبسطاء والفقراء تكون قبورهم عبارة عن رجمة من الحجارة ، ولجهـة الرأس حجر عمودي . والبعض يتفننون ببناء الضريح من حجارة فاخرة منحوتة ونحوها . ويجوز دفن جثـــة مع اخرى في ضريح واحد عند النصارى فقط .

الفصل الحادي عشر

عاداتهم في الحداد

الحداد عادة عمومية شاملة تقوم بلبس الثياب السوداء رجالاً ونساءً . وارسال شعر اللحية والوجه الى يوم الاربعين بعد الوفاة . واذا كان الميت اميراً او حاكماً شمل الحداد جميع مقاطعته على اختلاف سكانها ومذاهبهم.

وعند النصارى يُعمل للميت الثالث والتاسع والاربعون والمئة وذلك بتقديم حسنات قداديس للكهنة عن نفسه وسلق القمح ووضعهِ على اطباق او صوانٍ مع الزبيب والحلوى وحمله الى الكنيسة فيصلي الكاهن عليها في آخر القداس وتسمّى النياحة (كلمة سريانية بمعنى الراحة) وتفرق على الشعب فيترحمون على الميت . وقد ابدل اليوم القمح المسلوق بخبزٍ يوزعونه على الجمهور . وتقدم الشموع للهيكل والزيت لاسراج قناديلهِ . وتخرج النساء الى القبر للبكاء على الميت ويعدن الى بيته بالندب والعويل .

وعند غير المسيحيين يجدّد الحزن على الميت بعد اسبوع فقط . ثم بعد مضي اربعين يوماً على الميت او نحوها تجدّد المناحة (وهناك يحلق الرجال شعورهم المرسلة حداداً . ونساء الميت يطفن على أهل القرية فيخلعن اثواب الحداد عن نسائها شاكرات لهنَّ مجابراتهنَّ لهم بالحداد). ويعاد تذكار الميت بعد نصف سنة وبعد سنة وهو نهاية حداد الانسباء، فيغيرون اثوابهم السوداء

شيئاً فشيئاً الى ان تعود بيضاء . وكذلك تلبس النساء الحلى التي تركنها حداداً . ويعودون الى المآكل التي انقطعوا عنها مثل اطعمة المواسم والاعياد والكبة وما شاكل ويغسلون اثوابهم التي تركوا غسلها مدة الحداد .

واما الدروز فيحتفلون بتذكار الميت بعد اسبوع ليس الا . وتشترك كل الطوائف بهذه العادات ومشاطرة الحزن والحداد . وقد تُذبح الذبائح على القبر وتوضع عليه الاطعمة للفقراء وتطلق فوقه البنادق حزناً .

خصائص الحداد

لعادة الحداد بعض خصائص عند مختلف الشعوب والاديان . والمعتبر منها اليوم المدة والاشخاص . فالمدة من سنة الى سنتين. وما قل عن سنة وما زاد عن سنتين فغير محمود . والحداد ثلاثة انواع : كامل ومألوف ونصف حداد .

الاشخاص ومدة الحداد

حداد الارملة والام ستة اشهر حداداً كاملاً واربعة اشهر حداداً مألوفاً وستة اسابيع نصف حداد .

حداد الاب والجد والجدة والارمل اربعة اشهر حداداً كاملاً وأربعة اشهر حداداً مألوفاً وستة اسابيع نصف حداد .

وحداد الحمي والحماة والابن والكنة والصهر ثلاثة اشهر حداداً كاملاً

وثلاثة اشهر حداداً مألوفاً وثلاثة اسابيع نصف حداد .

وحداد الحفيد والاخوة شهران حداداً كاملاً وشهران حداداً مألوفاً وسنة واحدة نصف حداد .

والحداد على الاعمام وأبناء الاعمام شهر واحد حداداً مألوفاً . اما حداد الاصدقاء والمعارف مع اهل البيت فهو لياقي لا وجوبي. وحداد الخدم كحداد مواليهم .

ملابس الحداد

ملابس الحداد الكامل اقمشة صوفية وقطنية سوداء . وملابس الحداد المألوف حريرية سوداء ايضاً . وملابس نصف الحداد ملونة بين شهباء وسوداء او بنفسجية وبيضاء .

ملابس النساء في الحداد الكامل : هي غطاء اسود للرأس يرسل على الكتف اليسرى او على الظهر وثوب من صوف او كتان او قطن اسود غير لمّاع بزي بسيط وطويل ما امكن . وقفاز (كفوف) غير لمّاع ولا حرير . واجربة سوداء .

اما الفراء فمنها جائز ومنها غير جائز واللون دائماً اسود . وملابسهن في الحداد المألوف اقمشة حريرية غير لمّاعة .

ملابس الرجال في الحداد الكامل : قد جرت العادة ان يجعل الرجال قطعة سوداء من صوف على الذراع اليسرى وربطة رقبة سوداء وقفازاً

غير لمّاع ، هذا اذا لم يشاؤوا لبس الثياب السوداء .

الحداد عند المسلمين

هو ان تلبس النساء مدة اربعين يوماً غطاء ابيض على الرأس ويرسل الرجال لحاهم مـدة ثمانية ايام . وبعض الرجال يألفون بعض شارات حداد مثل ربطة رقبة سوداء او عصابة سوداء للزند او الصدر. وفي اليوم الثالث والسابع والاربعين لدفن الميت يطبـخ أهله ويدعون الاقارب والاصدقاء للأكل ويوزعون على الفقراء زكاةً عنه .

الحداد عند اليهود

لا يخرج اهل الميت من البيت قبل مضي سبعة ايام. وفي اليوم السابع، والثلاثين، وكمال السنة لدفن الميت تقام الصلاة عن نفسه وتوزع عنه الزكاة.

الفصل الثاني عشر

عاداتهم في شؤونهم العمومية ديناً ودنياً

الاعياد والمواسم السنوية

لقد اعتـــاد اللبنانيون تعطيل بعض أيام وأعياد خاصة . فالمسيحيون يكرمون يوم الاحد وينقطعون فيه عن العمـل . والمسلمون السنيون والشيعيون والدروز يوم الجمعة . فيحتفلون بالصلوات فيهمـا ويصومون بعض الأشهر إكراماً للأعياد. فالمسلمون يصومون شهر رمضان وينقطعون فيـه عن الأكل من الصبح الى المساء . والنصارى عندهم أصوام كثيرة ينقطعون فيها عن أكل اللحوم ويتركون الطعام من نصف الليل الى الظهر. ويحتفلون جميعهم بالمرفع وهو الاستعداد للصيام الكبير الذي يسبق عيد الفصح او عيد قيامة السيد المسيح فيقصفون فيه ويلعبون ويشربون الخمر وغيرها ولا سيما يوم خميس السكارى في الايام الأخيرة من اسبوع المرفع. وقد تجري فيه مساخر وألعاب هزلية. وتكثر في الاعياد المآكل الخاصة والتهادي ودعوة الكهنة والاصحاب والشيوخ لتناول الطعام معهم وينيرون المعابد بالأسرجة. ويقدمون القربان والزيت والشمع للمعابد . ويتزينون بالملابس الجديدة ، ويطلقون البنادق ، ويجتمعون في بعض الاديار التي على اسم قديس العيـد

ليلة عيده ، وينامون هناك ويقصفون ، ويشعلون الوقود زينةً .

وللبنانيين عادات واعتقادات عديدة يجرونها في أيام أعيادهم ، منها :

رأس السنة

وفيه يتهادون منذ القديم ويعطون اولادهم « الصباحية » في صباح السنة الجديدة التي يسمونها « صباح الخير » ويدعونها « بسترينة » وهي هدية كانت تقدم لآلهة القوة عند قدماء الرومانيين فسموها باسمها كلمة لاتينية من (Strenna) وهي شيء من الدراهم تبركاً بالسنة الجديدة التي تقع في أول كانون الثاني عند النصارى بعد ان كانت في اول ايلول . ويلعبون على دراهم ويسمُّون ذلك « الفَوْر » ويتصدقون على الفقراء ويتجنبون الكدر والخصام لئلاّ تكون السنة كلها على هذا النمط ، ويتهانأون .

الغطاس

في السادس من كانون الثاني وهو اعتماد السيد المسيح من يوحنا في الاردن ويسمّى بالعربية « الظهور » وبالسريانية « الدنح » تقلى فيه الزلابية وأنواع الحلوى التي كانت النساء تعدها ليلة العيد تبركاً كالمعكرون بدبس أو بسكر وأقراص السمن المزينة بالنقوش والمنثور عليها السكر وماء الورد . وكانوا يعدون هذه المقليات في الليل سرّاً لأولادهم ليباغتوهم بها في الصباح . وقد حدث مرةً ان استيقظ أحد الأولاد فسمع نشيش المقلى في الغرفة المحاذية فلم يسعه الا التلصص على الباب ليرى ما هنالك،

واذ أبصر ما أبصر عـاد يوقظ اخوته قائلاً لهم : قوموا امي « تش تش »
وأبي « لس لس » فذهب قوله مثلاً يردد في ليـالي « القِلاية » . وتعمل
المحشيات من الخبز بلحم وتسمّى « البخوت والفطائر » . ويطوف فيه الكهنة
عـلى البيوت يرشّونها بماءٍ مقدس ويسمّى « التكريس » ويأخذون عـلى
ذلك دراهم . ومما يجري فيه من الغرائب ان عطسة الطفل في هـذه الليلة
تدل على زيادة سنة في عمره ، فكلما عطس مرّةً سرّت أمهُ وقالت له :
« صحّة ، ونشو » ويستحم النـاس تلك الليلة بمـاء الينابيع ويسهرون
فاتحين الابواب حتى يمرّ المسيح ويقول للناس : « دايم دايم » معتقدين ان
جميع الاشجار تركع أمامه الاّ التوت لانه جبّار فلذلك يقطعون بعض
جذوعه اليابسة ويوقدونها بسهرتهم انتظاراً لمرور الدايم دايم . ويتخـذون
الخميرة وهي قطعة عجين تُلفّ في قماش جديد أبيض ويعلّق فيها بعض
قصلات من الحنطة ونباتا القويسة وبخور مريم ويعلقونها في شجرة غير التوت
وتبقى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ولكنها تغطس كل صباح في عين ماء بيد بكر
عزيب قبل الشمس فيحول فطرها الى خمير يستعمل في السنة الجديدة .
ويجب ان تعجن الخميرة العذراء البكر . ويحركون المؤن البيتية لتزيد .

اول الصوم

أو اثنين الرماد، تبتدىء فيه صلوات خاصة ويبارَك الرماد عند الموارنة
ويذرّى على جباه أو رؤوس المسيحيين ويسمى رشّ الرماد أو ذرّ الرماد .
وقد جرت في مثل هذا اليوم عادة قبيحة عند الشرقيين يجب الاقلاع عنها

لما فيها من عدم الاحترام لرجال الدين وهي الخروج بعد ظهر اثنين الرماد من كل سنة لاستقبال الراهب في السواحل ولا سيما في المدن ، فـيُركبون على دابة شخصاً مرتدياً ثياب راهب ولحيته بحيث يكون وجهُ لجهة ذنبها، فيقودها أحدهم والجماهير تتبعهُ ، فيطوفون به في الأزقّة والدروب ، الى غير ذلك مما ينفر منه كل صاحب ذوق وأدب .

سبت العازار

يقام فيه تذكار العازار الذي أقامه السيد المسيح ، وقد اعتاد القدماء ولا سيما في المدارس ان يعملوا «العازارية» وهي الطواف على البيوت بشابٍّ لابس قميصاً أبيض يمثل العازار وحوله اختاهُ مريم ومرتا بلبس النساء ثم ولدان حاملان « مديحة العازار » فمتى وصلوا الى البيت استلقى الممثـل العازار وجلست اختاه فوق رأسهِ تبكيانه والمداحان يقرآن الانشودة بتلحين خاص الى ان يقولا فيها :

« قال للعـــازر هيّا قم من الأمواتِ حيّا »

فينهض ويخرج الى خارج ويجمع الأولاد دراهم وزيتاً أو بَيضـاً للاستاذ والكنيسة .

احد الشعانين

يرتدي فيه الاولاد والاطفال الثياب الجديدة المتقنة ويطوفون بالكنائس بأغصان النخل والزيتون المسماة الشعانين معلق فيها كعك بسمسم او بدبس

وأثمار وزهور وشموع وذلك رمز استقبال أطفـال اورشليم للسيد المسيح عندما دخلها راكباً على جحش. ويتبركون بحفظ هذه الاغصان. والشعانين لفظة عبرانية (سعانين) معرّبة، ولعلها من السُّعْنة بمعنى عسيب النخل، وعند العرب « السباسب » بمعنى الاغصان .

يوم الخميس الكبير

ويسمّى خميس الاسرار، يبتدىء فيه المسيحيون بعمل فصحهم وتصير فيه حفلة تناول القربان المقدس للكبار والصغار، ويأكلون فيه الاشياء الحلوة .

يوم الجمعة الكبيرة

يصير فيه حفلة تجنيز المسيح والطواف بنعشه بشموع وصلوات ويُعرف بالزياح ، ويزدحم فيه الأولاد والكبار رجالاً ونساءً متسابقـين الى المرور من تحت النعش تبركاً ، ويؤكل فيه المر والحامض وفي ذلك رمز الى ما تجرعه المسيح من المر عـلى الصليب . ويذهب الناس الى الحقول والأودية والعقبات الكؤود متجشمين مشاق الصعود والانحدار فيها حزناً على المسيح ويسمّى « التشرحط » ويأكلون النباتات المرة ويجمعون زهوراً عطريـــة يحملونهـا الى الكنيسة ويسمّونها « الحنوط » لتوضع في حفلة الجنـاز مع الصليب وفي ذلك اشارة الى تحنيط يوسف لجثة يسوع .

العيد الكبير او الفصح

وهو عيد تذكار قيامة السيد المسيح من الموت . والفِصح معرّب فِسح

بالعبرانية ومعناه الاجتياز والعبور أو النجاة ، تصير فيه حفلة القداس ليلاً ويسمّى الهجمة أيضاً ، ويعمل فيه الكعك بحليب ويسلق البيض ويُلَوَّن بالاحمر وغيره رمزاً الى القيامة والموت ، ويتهادى به وبالكعك . وتصير المكاسبة أو المفاقسة وهي قرع البيض بعضه ببعض فالكاسر غالب يربح ما يكسرهُ منها . ويتعايدون بقولهم المسيح قام . فيجاوبون حقاً قام .

ثاني الفصح

ويسمّى الباعوث وهي سريانية معناها صلاة الدعاء والاستمطار . تصير فيه حفلة الباعوث بعد الظهر فيطاف فيها حول الكنيسة او في داخلها وتقرأ الأناجيل بلغات مختلفة. ويسوغ في هذا اليوم فقط ان يقرأ العوام الاناجيل التي يقرأها الكهنة عادةً. وعند الطوائف الشرقية «الارثوذكس والكاثوليك» يتعايدون باللغة اليونانية .

العنصرة

وهي لفظة عبرانية معناها اجتماع أو محفل . يصير فيها تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ بألسنة نارية وتكلمهم بلغات مختلفة. يقع بعد عيد الفصح بخمسين يوماً . ويُرَش فيه الماء في البيوت كالغطاس تبركاً. ويعمل فيه الأولاد العنزوقة كما مرّ في الكلام عن مروضات اللبنانيين وألعابهم .

عيد الجسد

وهو عيد حديث عند الشرقيين . يقع في الخميس الثاني بعد العنصرة ، ويجري فيه حفلة حافلة بالطواف بالقربان ولا سيما في زحلة وغزير وبكفيا ، وهو مختص بالطقس الغربي، أُقيمت له حفلة عند اللاتين في رومية سنة ١٢٤٦م ثم نقل الى الشرق في القرن التاسع عشر وأدخله الكاثوليكيون في طقوسهم، وأبدع حفلة تقام له في مدينة زحلة اذ يطوف أسقفها والكهنة حول المدينة تذكاراً لطواف قـــديم دفع عنهم شرّ الطاعون . أمّا الشرقيّون اي الارثوذكس فلا يحتفلون به .

عيد الرب او التجلي

يقع في السادس من شهر آب وتصير فيه حفلة تجلـّي المسيح على طور طابور . وليلة العيد توقد كل أسرة شموعاً أو سرجاً على عدد ابنائها في كل بيت . ويصير فيه تبريك العنب بصلوات خاصة فلذلك يحمل كلّ شيئاً من اثمار كرمهِ الى الكنيسة وبعد الصلاة توزع على الحضور تبركاً باكلها. ولذلك يقولون : « بعيد الرب يمتلي العنقود حب » و « عيد التجلي يقول للصيف ولـّي » ومن خرافاتهم المشهورة ان الذي يتمشط بعيد الرب يمتلي راسه حَبّ (بثوراً) .

عيد قطع رأس يوحنا المعمدان

الذي يقع في ٢٩ آب . يضع فيه بعض الناس فوق رؤوس أولادهم

ليلاً بطيخاً بعددهم دون تنقية، وفي الصباح تكسر رؤوس البطيخ فمن كانت بطيخته أجود كان أسعد حظاً من إخوته ويسمّى « البطيطيخي » .

عيد الصليب

يوقدون في ليلته نيراناً حتى ترى لبنـــان شعلة من نار . ويتبرّك به المسيحيون متذكرين استرجاع هرقل الملك الصليب المقدس من أيدي الفرس. وهو يقع في الرابع عشر من أيلول ويطاف بالصليب في الكنيسة ويقبّل تبركاً . وكان بعض اللبنانيين في القديم يرسمون على أحد أعضائهم رسم الصليب بالدق « الوشم » في ليلة العيد. وبين عيدي الصليب الشرقي والغربي يحسب الاثنا عشر يوماً كل يوم لشهر ويكون كل شهر في نوئه « طقسِه » مثل ذلك اليوم ويسمّون هذا الحساب « البواحير ». والبواحير عند القدماء سبعة أيام من تموز تبتدىء من الثامن عشر منه كانوا يستدلون من كل يوم منها على شهر من الخريف والشتاء. ومن أقوالهم في امثالهم العاميّة «صلّب واعبر، شعنن وادخل» يريدون العبور من الصيف بعد عيد الصليب والدخول فيه بعد عيد الشعانين . « وبعد عيد الصليب كل أخضر بيسيب » لان عصر العنب يصير بعد عيد الصليب فيترك الناطور الكروم . «وبعد عيد الصليب الآخراني صيف ثاني » اي بعد عيد الصليب على الحساب الارثوذكسي .

عيد البربارة

يقع في الرابع من كانون الاول . وفي ليلتهِ يطوف الاولاد على البيوت

يتناغون بنشيدة هزلية (الهاجه برباره والقمح بالدواره) يتقدمهم ولد سوّد وجهه ولبس الاكسية الهزلية وحمل هراوة كبيرة ووضع لحيـة يسمونهُ « العَرَنْدَس » والبسبس المسودّة، فيجمعون من البيوت قمحاً ودبساً وزيتاً ودراهم فيقدمون الزيت للكنيسة . ويجتمعون في بيتٍ يطبخون فيـهِ المعكرون بالدبس ويأكلون ويقصفون. وفي البيوت يسلقون القمح ويعملون منه « الخشاف » اي يضعون عليهِ زبيباً ولوزاً وسكراً وصنوبراً وخلافه ويوقدون الشموع فيتكحلون بسناجهـا (شحتارها) ويأكلون المعكرون بالدبس واضعين فحمة او قشرة او لوزة في بعضها ، فمن اصابها كان اسعد حظاً . ويقولون « بعيد البرباره بياخذ النهار من الليل قدر نطّة الفاره » .

عيد الميلاد

من اعياد اللبنانيين الكبرى، يقع في الخامس والعشرين من كانون الاول وهو تذكار ميلاد السيد المسيح يصير فيهِ القداس ليلًا . وفيه تقاليد شعبية خاصة بعضها اصلهُ وثني والبعض الآخر مسيحي . وكانوا قديماً يعيدون له ثلاثة ايام كاملة ويستعدون له بصومٍ لا يقل عن اربعين يوماً . وفيه يستعمل بعض اللبنانيين النوافل التقويّة كزيارة المعابد والاحسان الى الفقراء واكل الخبز القفار مبلولاً بالماء او مع شيء من الحبوب ناشفة او مبللـة بالحامض والملح خلواً من الادام . ومنهم من يصوم من صباح اليوم السابق للعيد حتى بعد قداس نصف الليل وهو ما يسمونهُ الطوي. وكانوا ينظفون منازلهم قبل العيد ويزينونها باحسن الاثاث . ويعدون لصغارهم الملابس الجديـدة

ولزوارهم الضيافات من عوام وحلويات . وكان اكلهم يوم العيد القمحية والهريسة والكبيبة. اما اليوم فيطهون ديوك الحبش والدجاج ويستحضرون انواع الخمور ويدعون اليها الاهل والاصحاب فيأكلون بغبطةٍ وسرور متبادلين التهاني والتبريكات .

ومن عاداتهم المرعية انهم كانوا يهتمون منذ اول الشهر باعداد صحاف من الفخار والمعدن يملأونها تراباً ويبذرون فيها بعض الحبوب كالحنطة والعدس والحمص ويداومون سقايتها الى ان تنبت فاذا كان العيد زانوا بها المغارة التي يقيمونها في منازلهم وذلك استجلاباً لبركة العيد .

المغارة او المهد : وعمل المغارة عادة اقتبسها اللبنانيون عن الغرب يمثلون بها مولد الطفل بين العذراء ومار يوسف ، والى جانب الطفل الثور والحمار ثم قطعان الغنم والرعاة بشبّاباتهم ثم ملوك المجوس ووراءهم قافلة من الجمال وقد حملوا هداياهم للطفل المولود مهتدين بنور النجم الذي استقر فوق المغارة ، فتعلو تراتيل الملائكة : المجد لله في العلى وعلى الارض السلام. وقلّ ان تخلو كنيسة او بيت من هذه المغارة اليوم .

شجرة الميلاد

يتخذونها من اغصان الصنوبر والارز فتنصب في البيوت والمعاهد والاندية والمتاجر ويعلّق عليها القطن الابيض رمز الثلوج في ذلك الفصل الى جانب الشموع وعناقيد الاثمار واكياس الملبس والزبيب والنقل وانواع اللعب والزينات فيقدمون منها لاولادهم وضيوفهم وربما خصوا بعض الفقراء .

وقد خصّ المسيحيون القدماء الشجرة بالتكريم والتبريك بمناسبة عيد الميلاد . واول من فعل ذلك سكان شمالي اوروبا. وفي سنة ١٨٨٤ اقيمت اول شجرة ميلادية في قصر ملك الانكليز وزينت بالانوار ومختلف الهدايا ومنها انتقلت الى البلدان الاخرى ثم جاءت لبنان عن طريق الرسالات الانجيلية الى ان عمت بلادنا اليوم .

اما عادة التهادي في الميلاد فأصلها للتذكير بهدايا المجوس . وقيل انها مأخوذة عن هدايا رأس السنة « البسترينة » لان الميلاد قبلاً كان ورأس السنة عيداً واحداً .

اما اجراس الميلاد فلرناتها المدوية في قلب الليل وقعٌ بليغ على القلوب يثير فيها الفرح والبشر من سماء المهد المبشر بالاله المتأنس مخلص البشر .

ومن امثالهم : بين الغطاس والميلادي اياك تسافر يا هادي . وبين المواليد والقلندس (رأس السنة) عند جارك لا تقرفص ، وان قرفصت لا تبات يصبح الثلج عليك قامات .

البابا نويل

اما البابا نويل فهو بزعم الغربيين شيخ طاعن بالسن ابيض اللحية والشاربين يحمل على ظهرهِ زنبيلاً يملأه بالهدايا والالعاب الصبيانية ويطوف به العالم على عربة يجرها غزال فيهبط المنازل ليلاً من فوق السطوح عن طريق المدخنة ويوزع هداياهُ على الصغار مخبئاً لهم اياها في احذيتهم وجواربهم .

اصل هذه الخرافة : نشأت هذه الخرافة في لندن ، اشاعها رجل من

اهلها خطر على باله ان يتزيا يوم عيد الميلاد بزي البابا نويل فراق عمله الجمهور واخذوا يقلدونه كل عام حتى انتشر في لبنان واصبح الآن معروفاً فيه .

اما اعياد غير المسيحيين فتشترك الطوائف الثلاث السنية والشيعية والدرزية بعيدين كبيرين يتهانأون فيهما ويقصفون ويحتفلون بالملابس والمآكل والهدايا ، وهما عيد الاضحى وعيد الفطر .

عيد الاضحى

او الضحيّة ويسميه الدروز (عيد الله اكبر) يعملون فيه كعكاً بدبس وحلويات ولا بد ان ينتخب كل بيت احسن كبش من الغنم ولا سيما الاملح ويضحّى .

عيد الفطر

يقع بعد صيام رمضان . وقد جرت العادة ان يحشى فيه خروف يطبخ مساء العيد ليؤكل في غده . وتعمل الحلويات المتنوعة .

ويحتفلون ايضاً في « اربعاء ايوب » الذي يقع غالباً في ٢١ جمادى الاولى . وفيه يخرج الناس الى شواطىء البحور للنزهة والاغتسال فيصرفون نهارهم في الطرب .

والخميس الذي يليه يسمّى خميس الاموات يضعون فيه اغصان الرياحين

على قبور اهلهم ويعملون اصناف الحلويات ويذهبون الى المقابر فيوزعونها هناك على الفقراء زكاةً عن انفس موتاهم .

والخميس الذي يأتي بعد خميس الاموات يسمّى خميس العرائس وفيه يهدي كل خطيب الهدايا لخطيبته .

والمشهور عند الطوائف التعطيل عن العمل في الاعياد الكبرى . والنصارى يعتبرون يوم الاحد ولا يشتغلون فيه . والمسلمون يحترمون يوم الجمعة ولكنهم يشتغلون فيه .

الفصل الثالث عشر

عاداتهم في الطعام والشراب

الأطعمة وانواعها

نشأ اللبناني سليم الجسم صحيح العقل . ولما كان كثير الرياضة والحركة احتاج الى الطعام وحسن هضمه تغذيةً لجسده. فاللبنانيون عموماً يأكلون من جميع الأطعمة والتوابل والأخلاط ويتناولون كثيراً منها نيئاً وغير ناضج ويقتصرون على الوجبتين او الثلاث في النهار . ويألفون السكوت على المائدة خلافاً للغربيين الذين يتقنون الحديث عليها (لاعتقادهم انه يسيغ الطعام ويسهّل الهضم ويمنع الاهتمام بالاعمال فيقل توارد الدم الى الدماغ ويكثر في المعدة). وكثيراً ما كان الأقدمون يقولون لصغارهم: «لا تحكوا على الأكل لأن الملائكة حاضرة بيخنقكم الله» . وكثيراً ما كانوا يمنعونهم من الاكثار من شرب الماء على الطعام وخصوصاً اذا كانت اللقمة في الفم. وكانوا يتناولون طعامهم على بساط الغبراء، أو على جلدٍ او نحوه، اذا لم يأكلوه ماشين او مسافرين . وكانت آنية طعامهم قصعة خشبية او خزفية. وأهم ما كانوا يخزنونه في بيوتهم (القورما) الدامه (الادام) وهي اللحم المذوّب المقدّد و(الكشك) وهو نقيع البرغل اي مسلوق القمح بالماء ثم

بالحليب بعد ذلك وتجفيفه وجرشه او نخله . و(البرغل) اي مسلوق القمح جافياً ودقيقاً للطبخ او الكبة وما شاكل . واختص اللبنانيون بأكل البزّاق او الحلزون كما اختص الدمشقيون بأكل الضفادع والسلاطعين . والعامة تسمّي الحلزون « المُرَينة » ويتغنى لها الأولاد عند جمعها بقولهم : « يا مرينة يا مرون، طلعي لي باربع قرون ». واكثر مآكل اللبنانيين عربية وفارسية وآرامية كما يظهر من اسمائها وانواعها . وقد مهروا بمعالجتها وطبخها واكثروا من الادام حتى كانت لذيذة الطعم. فمن مآكلهم المشهورة (الكبّة) وتسمّى المدققة وهي من البرغل واللحم تدقّ بجرنٍ وتؤكل نيّة ومقليّة أو مشويّة او مسلوقة. و(المجدّرة) وهي من الأرز والعدس وقد تكون من البرغل والعدس ويسمّيان مسامير الركب لتغذيتهما. وسمّيت المجدرة بهذا لأنها تشبه آثار الجدري بالوجه. و (المخلوطة) من جميع الحبوب. و(الرشتة) فارسية بمعنى الخيط وهي من العجين المفتول والعدس. و(اليبرق) او المحشي وهو حشي ورق العريش باللحم المفروم مع الأرز . ولفظها بالتركية يبراق بمعنى ورق الشجر ويخصونها بالمحشي من ورق العريش . و(الغمّة) وهي طبخ رأس الغنم مع الكراعين (القوائم). والكرش المحشي باللحم والأرز . و(الهريسة) وهي طبخ العظام مع اللحم بالقمح المدقوق والمقشور. و(الشورباء) وهي الحساء عند العرب من اللحم والأرز سائلة . ومن حلوياتهم واشباهها (المهلبيّة) ولعلها نسبة الى المهلب بن أبي صفرة أمير الحجاج بن يوسف الثقفي ، من لبّ الدقيق او النشا والحليب والسكر. و(البالوزة) من الدقيق والماء والسكر والعسل وهي التي عرفها العرب باسم

الفالوذج واخذوها عن الفرس كما يدل اسمها . و (المعكرون) من الدقيق والزيت والدبس او السكر ومثلها (السفوف) المعروف عند العامة بالمسيسة . و (الخشاف) وهو نقيع الزبيب يؤكل بمائه . و (السنبوسك) وهي فطائر مقليّة من رقاق العجين المحشوة بالجوز والسكر معرب سنبوسه بالفارسيّة . و (المغلي) وهو طبخ دقيق الأرز بالسكر وعليه قلب الجوز او الصنوبر وهو من طعام النفساء . و (الخبيصة) من الأرز والدبس والعرب يعملونها من التمر والسمن .

وكان لهم إلمام بمنافع الأطعمة ومضارها ولذيذها وتافهها فقالوا مثلاً : كل من الفجل الورق ومن اللحم المرق . وشبر من الملّة ولا ذراع من المرقوق . والحامض أليم والمر حكيم والحلو حليم . والبلد التي تصلها كل من بصلها (ولا تخفى فائدة البصل الذي يؤكل مع الكبة النيّة اذ يقتل الدود الذي يتولد من اللحم النيء) . ونزل الفلاح على المدينة ما استحلى غير الدبس والطحينة . ومن اقوالهم الصحيّة : تغدّى وتمدّى ولو غفوتين ، وتعشّى وتمشّى ولو خطوتين . وباكر بالغداء ولا تتماسى بالعشاء . وكثرة البلاء من الامتلاء . والبطنة آفة الفطنة .

المشروب

أما مشروب اللبنانيين فالماء القراح والخمور اللبنانية الجيدة .

الطعام والشراب عند اليونان

كان الخبز عندهم غذاء العموم . وكانوا يصنعونه في المدن من الحنطة . وفي الجزر من الشعير . وفي بعض قراهم من الذرة. وكان اكثر من نصف القرى يصنعون العجين بدون خمير ويخبزونه على حجر محمّى او بين صفيحتين من فولاذ. وكان غذاؤهم ايضاً الخضر على جميع انواعها مجفّفة او خضراء . والحساء والتوابل بالزيت كالسَّلَطة وغيرها والجبن والسمك المقدّد والطازج . وأعمّ شيء عندهم كان اكل اللحم كالغنم والبقر والخنزير وخاصة في الشتاء . وكانوا يذبحون البقر المسنّة ولا يسمّنونها . ويقتنون الدجاج لأجل بيعها. والفلاح لا يأكل البيض واللبن إلاّ نادراً . ويأتدمون بالسمن قليلاً وأكثر طبخهم بالزيت . ويتناولون الأكل بارداً أما في المدن فبخلاف ذلك . والموسرون بينهم لا يأكلون اللحم إلاّ مرة واحدة كل ثلاثة أيام ونادراً يأكلونه مشوياً. وكان جلوسهم على المائدة حسب الطريقة التركية يأكلون بالأصابع ويغسلون أيديهم قبل الاكل وبعده. وكانت المرأة عندهم تخدم المائدة ولا تجالس الرجال على الطعام .

أما الشراب فكان عمومهم يشربون الخمرة ويحفظونها بسد الزجاجة بالصمغ أو الجفصين . اما شراب البيرة فلم يكن مستعملاً إلاّ في المدن . وفي اراضي المستنقعات يستعملون المشروبات الروحية كالعرق وغيره. والنساء لا يشربن إلاّ ماء الينابيع . وفي الجزر يشربون من الآبار التي يُجمع فيها ماء الشتاء .

الفصل الرابع عشر

عاداتهم في المتاجرة والمبايعة

اعتاد اللبنانيون التجارة منذ أيام الفينيقيين وبقيت في اعقابهم احقاباً طويلة ولاسيما في زمن اليونان والرومان . الى ان كثرت الحروب الأهلية بين عشائر لبنان وتفرقت كلمة ابنائه فتعطلت تجارتهم. وكان قديماً يقام للتجارة أسواق في قرى متعددة منها اسم « سوق الغرب » دليلاً على ما كان يعرض فيها من البضائع للمتاجرة بها . ومما يذكر من أساليب البيع القديمة حمل البضاعة من بلدة الى اخرى ووضعها في ساحتها أو في ساحة كنيستها وصعود البائع الى السطح ومناداته باعلى صوته تعريفاً لها مثل قولهم : « القمح ياعاوزين القمح قبل النفاق » فيتهافت اليه الناس ويشتري كل منهم ما يحتاج اليه وكثيراً ما يحملهُ في حجره (حرجه) او طرف ثوبه او في منديله . وقد يكون البيع مقايضة صنفٍ بآخر على التبادل بتعديل قيمة المتبادلين مثل الفيالج (الشرانق) بالحلوى والعنب بالتين اليابس والحبوب بالتفاح والحديد بالقضامة اي الحمص المشوي . وكان الوزن بميزان بسيط وزناته من الحجر تسمّى العيار . ومن ذلك تجار الغنم فانهم كانوا يقطعون غنمهم بالشركة مع المعلّفين فيأخذ الانسان خروفين ويعلفهما .

وفي أيام (القورما) بالخريف يقاصرهُ (يقاسمه) فيأخذ خروفاً ويبقي

له الثاني أو انه يقبض ثمنه منه فيبقى الاثنان له . واذا استدانوا فالى موسم الحرير او التبغ او الزيتون والزيت او الخمر وهي اهم حاصلاتهم . ويحملون زيتهم وزيتونهم وخمرهم على ظهورهم او على حيوانات طائفين بها القرى لبيعها . ولم يكن عندهم حوانيت او مخازن إلاّ في بعض المدن الساحلية وفي القرى الكبيرة وغيرها في الأيام المتأخرة. وكان سبب اعراضهم عن التجارة ميلهم الى الزراعة وفي بعض المحال الى الصناعة .

وأهم تجارتهم كانت في نقل الأخشاب وجلب الغنم والماعز والقطن وبيع الشرانق والحرير المحلول بايديهم وكانت اثمان حاجاتهم بخسة جداً حتى ان ثمن مد الحنطة في زمن المعنيين بالقرن السابع عشر كان ثلاث بارات والشنبل ثلاثين . وغرارة الفول غرشاً. وقلة الزيت ثلاث بارات . وفي زمن الغلاء كان ثمن مد الحنطة اربعة غروش وأحياناً ثلاثة والغرارة ثمانين . ومد الدقيق خمسة غروش والشعير غرشاً. واردب الأرز خمسة وعشرين غرشاً. وقنطار السمن او الزيت ماية وخمسين غرشاً. وحمل ورق التوت عشرة غروش. ورطل الحرير عشرين غرشاً. وكانت اجرة الفاعل نحو بارة والبنّاء بضع بارات وقيمة الغرش بمثابة خمسين من غروشنا .

وكانت معاملاتهم في مبايعاتهم عقد البيع والشراء بالكلام ويصدقون فلم يحتاجوا الى السندات والوثائق . وكانت كتابتها بسيطة جداً، واليك صورة تحرير وثيقة كتبت سنة ١٨٣٤م. بالحرف الواحد : «حد المطرح الغرب طاقة المعصرة والشرق حجر الأصفر والميرة عالجيرة» وهذه صورة تمسك (سند أو كمبيالة) بحرفه كتب في اول القرن التاسع عشر للميلاد :

«صح عندنا الى ابن خالنا اثنى عشر غرشاً ونصف رسمال وندرنا في وفاها بالموسم القـادم علينا هي وربحها الغرش نصف الربـع حرر ... محرره على نفسه ...»

وبقيت الوثائق (الحجج) بلا تسجيل في المحاكم الى ان صدر أمر داود باشا اول المتصرفين في اول حزيران سنة ١٨٦٢ فسجلت ولم يكن يعتـبر فيها ما لا يسجل . وفي سنة ١٨٦٩ في ٢٥ آب صدر الامر بالرهن في المحاكم .

الفصل الخامس عشر

عاداتهم في بناء بيوتهم وتأثيثها

بعد ان كانت مساكن اللبنانيين المغاور والاكواخ والخيام واشباهها من طين او لِبن او حجر او اغصان شجر اصبحت بيوتاً يبنونها من الحجر الخام (الدبش) ويعملون لها نواتىء من سقوفها تسمّى (السفارات) وهي سريانية بمعنى الشاطىء ومنها الشوار عند العامة ليردوا تخلل الرطوبة للطين او الحجارة . ويطينونها من الداخل بالتراب والتبن ويبيّضونها (يطرشونها) بالحوّارى ويزنرونها الى علو ذراع واكثر بالمغرة الحمراء او الخضراء. ويتخذون فيها طاقات ورفوفاً لوضع الآنية البسيطة . ويفرشون ارضها بجلود الحيوانات او الحصر. ويصنعون بابها من لوح واحد يدور على سيّار (صوص) ويقفل بالسكّرة وهي قطعة خشب عمودية نحو ثلث ذراع وفيها قطعة نحوها تدخل فيها عرضاً على شكل صليب مجوفة لدخول المفتاح فيها ومثقوبة الاعلى بعدّة ثقوب ادخلت فيها مسامير حديدية من اعلاها تنزل الى اسفلها حيث يوجد بالخشبة المعترضة ثقوب مثل تلك فتدخل فيها وتغلق فاذا ارادوا فتحها ادخلوا مفتاحاً خشبيّاً له مسامير ناتئة بعدد تلك فترفعها وتفتحها ، فاذا اخرج المفتاح واطبقت عادت الى حالها الاول . وقلما كان للبيت شبّاك او طاقة .

ثم اتسع هذا الفن وصاروا يبنون البيوت بالحجر المزنبر او المنحوت وفيه الملاط والسياع والحائط مغرّساً (كلمة سريانية بمعنى منبسط وناتىء) ليقاوم الرياح والثلوج ، او مسفّطاً (سريانية او فارسية بمعنى مقطوع) وهو من صف واحد . وقد اتخذوا فيه المخدع وراء الباب وفيه طاقات لوضع الاشياء وقربه الموقدة ثم القعّادة وهي افريز صغير يتصل بالعمود على محاذاة المخدع . وفي داخل البيت (الكوارة) وهي وعاء من طين مستطيل لوضع الطحين . و(التابوت) وهو حائط عالٍ بين عمودين مفرغ الداخل لوضع المؤونة من الحبوب يقطّع من محال مختلفة كبيرة وصغيرة . وفي أسفل التابوت والكوارة منفذ صغير للتفريغ يسمونه (الجبّازة) ويصنعون على الاعمدة المربعة الكبيرة رفوفاً ومدخنة ، وفي الجدران رفوفاً وخزانات كلها من طين لزج متماسك . فيوقدون النار في المداخن ويملأون البيوت سواداً حتى ترى السقف كأنه مدهون بالقار او الزفت وهو مؤلف من جذوع صلبة اغلظها يسمى الجسر وما كان ادق منه الثانية ثم اخشاب فوقها البلان وفوق الكل التراب المرصوص والمدلوك بمحدلة اسطوانية وقوس او ناعوس يدخل في طرفيها وتجرّ به ويدلك بها السطح على اثر المطر فيمنع (الوكف) الدلف. وتجرف الثلوج عن السطح بخشبة تسمى زحفاً او برفش خشبية . وكثيراً ما يكون في اسفل حيطان البيت طاقة للهرّة تدخل وتخرج منها وقن للدجاج . وكان الكاهن عند النصارى يقيم الصلاة على الاساس ويكرّس البناء الجديد بعد انجازه . وتبنى البيوت ايضاً باجتماع السكان او من يجاورهم لنقل الاشياء الضخمة ويسمّى ذلك العمل

« العَونة » ويولمون للمساعدين فيبار كون بالبيت الجديـد قائلين : « تقعدوا فيه بالفرح » وكثيراً ما كان يُعلّـق فوق بابه حذاء عتيق لئلا يصاب بالعين فينهدم. ويراعى فيه دائماً ملاءمته لتربية دود القز لانه المعوّل عليه عندهم. ثم ترقى فن البناء الى ان صار شبيهاً بالقصور الفخيمـة . اما أثاث البيوت فلم يكن قديماً سوى بعض حاجات ضرورية للنوم والاكل والشراب. أما أعيان القرية واغنياؤها فكان عندهم جلد حيوان بصوفه او بساط او بلاس من شعر ودادية من صوف وطاقم للقهوة من ابريق وفناجـين وصينية ونارجيلة (اركيلة) وشبق، فيستعيرها الناس في دواعي افراحهم واحزانهم مع ثياب العرس ايضاً .

وفي العصور المتوسطة ولاسيما في عهـد الأمراء التنوخيين والمعنيـين والشهابيين كانت الكنائس والجوامـع والقصور وبعض بيوت الخاصة تبنى على هندسة جميلة متممة بالرخام والفسيفساء الملونة، وهكذا كان بناء الجسور والأقنية وترصيف الطرق فقد بلغ حد الاتقان في صناعة البناء بهذا العصر .

الفصل السادس عشر

عاداتهم في صنائعهم المختلفة

كان سكان لبنان يستعمرون جبلهم بالحراثة والزراعـة وصيد الأسماك واقتناء المواشي وتربيتها والانتفاع بألبانها متخذين من لحمهـا طعاماً ومن جلودها كساءً أو فرشاً ، وقد اعتنوا بغرس الأشجار المثمرة لأكل قطوفها أو بيعها . وبقطع الاشجـــار البرية وبيعها حطباً للوقود او خشباً لبناء السفن وغيرها .

وقد نسجوا الأقمشة لاسيما القطن فحاكوا الخام البـلدي الأبيض ثم صبغوه ألواناً أخصها الازرق متخذين منها الالبسة . ثم اهتدوا الى التطريز بالخيوط الملوّنة القطنيـة والحريرية (الجركاش) وبالقصب المزركش ونسج العباآت والشراشف (المقارم) والطنافس الصوفية (الداديّات) والشعْرية (البُلْس) والصوفية الملونة (السجادات) وتوسعوا في نسج العِدَل والاخراج ونحوها من الامتعة الضرورية .

واشتهروا في الصناعات المتقنة مثل عمل المُدى (السكاكين) وسكاكين الجيب (العويسيات) في جزين . وصناعـة القصب المزركش في الزوق . ونسج الديما من القطن والحرير في القاطع بالمتن . والفخار وصب الاجراس في بيت شباب . والحدادة في زحلة . والقيانة (القردحة) في دوما البترون

وزحلة والشوير . والصابون في الشويفات. والسجاد في بعقلين . واستخراج الخمور والقطران والدباغة والبيطرة والسكافة في كثير من القرى ، واستخراج الاسفنج بين جبيل وطرابلس حيث افخر مغاوصه، وتقطير الملح على الشواطىء البحرية .

ومن افضل صناعاتهم تربية دود القز فقد اعتنوا بها اعتناءً صادفوا منه كل نجاح وفلاح . ومما يدل على خبرتهم بذلك قولهم عن صوماتها وفطراتها : « ليلة الخمسة كبّري الكمشة . وليلة الستة اكمشي وحطي . وليلة السبعة مالها شبعة . وليلة الثمانية عجوز ثانية . وليلة التسعة راح صاحبي يسعى (اي في بيع الشرانق) . وليلة العشره اكلها فشره (قليله) . وعشّر ودشّر . ويقولون عندما تصعد على الشيح : « شيّح واقبر مرتك وتنيّح » ومن مزاعمهم انهم كانوا عندما يشيّحون القز يمتنعون عن طبخ السوائل لئلا تكون الشرانق رخوة . والرجال تمتنع عن حلق لحاها لئلا يقع الدود ولا ينسج . ويمتنعون ايضاً عن تحميص البن وغيره .

وكانوا يحلون الفيالج على الدولاب العربي بايديهم ولا سيما في عين طورة الزوق بكسروان . وكان كل من يقطف شرانقهُ يخنّقها بالشمس ويحلها بيده او باستئجار من هو بارع بذلك. وكانت اوقية البزر البلدي تعطي ستة ارطال من الحرير المحلول واحياناً تعطي اثني عشر رطلاً. واوقية البزر نحو اثني عشر درهماً . وكان رطل الحرير المحلول حلاً عربياً يباع من ١٨٠ — ٢٠٠ غرش وكان الاصفر أغلى من الابيض .

ومن صنائعهم ايضاً التبزير اي تنقيف (تفقيس) بزر القز وتحسين انواعه

وهو المسمّى عندهم البلدي القديم، كان لون فيالجهِ اصفر مائلاً الى الحمرة اي برتقالي، وكان افضله الشوفي المربّى في عين كسور بقي نحـو مائتي سنة في بلادنا وانقرض بعد سنة ١٨٦١ قبل اكتشاف طريقة الفحص المجهري. وقد عرفت هذه الطريقة بطريقة باستور . واول من ادخلها الى لبنـان الياس الشقماطي من عين طورة الزوق نحو سنة ١٨٧٩ ثم عمّم استعمالها وانشئت لها معامل كثيرة. وكان من انواع البزر المعروف اذ ذاك الهندي والصيني والقبرصي والقُرَّين وكلها انقرضت وجاء بعدهـا الكريتي والكرسكي التي حفظت بالفحص المجهري والتوليد الصحيح .

وكان اول معمـل للحرير في لبنان معمل بروسبير برطاليس في بتـاتر الشوف أُسّس سنة ١٨٤١ والثـــاني معمل مورك دلك وشركائه أُسس سنة ١٨٤٧ في عين حماده. فادخل حلّ الحرير في هذين المعملين على الطريقة الافرنجية التي شاعت بين السكان فكثرت المعامل حتى بلغ عددها نحو ١٧٥ معملاً وعـدد دواليبها كان ١١،٢٨٤ دولاباً . وبلغت حاصـلات الحرير اللبناني في العام ثلاثة ملايين اقة ونيّفاً .

ومن أمثالهم الدارجة في القز : شيلي من آذار وشيلي من نيسان (لقز الساحل) وفي عيد البشاره (٢٥ آذار) بزركم يا بزاره . وفي عيد البشاره إن كان فيه غيم دور الكاره ما بيطلع من القز ولا شكاره .

ومن صنائعهم المختلفة معمل الورق في انطليـــاس أسسه السادة باحوط وثابت سنة ١٨٨٨ وكان يشتغل فيـه نحو مائة فاعل يومياً . لكنـه عُطل بعد بضع سنوات لقلة الاقبال عليه .

ومعمل السجـاد في بعقلين انشأه فرنكو باشا متصرف لبنـان في سنة ١٨٦٥ وهو باقٍ الى اليوم .

وأنشأ تشرشل بك الانكليزي اول مطحنة افرنجية على نهر بجوّارة .

وفي كفرعقاب المتن اشتهرت معامل البارود وكان ملحها يجمـع من مزارب المعزى ، وكانت ثلاثة معامل كل معمل ثلاثة أجران فأحرقها عمر باشا النمسوي سنة ١٨٤٢ .

ومعامل سبك الحديـد التي اشتهرت بها دومـا والشوير وزحلة ولكن كلفته الكثيرة ومزاحمة الحديد السويدي له أماتته. ومعادن الفحم الحجري واستخراجـه لاسيما على زمن الدولة المصرية نحو سنة ١٨٣٨ حيث سخرت السكان لاستخراجه . وكان الناتج يومياً من مناجم قرنايل نحو مئة قنطار تنقل الى بيروت على بعد سبع ساعات باجرة خمسة غروش لكل قنطار .

ثم مهن الطب والصيدلة والصحافة والتدريس وخدمة الحكومة والمحاماة حتى ان معظم النابغين بها في الوطن والغربة كان فيهم ميل الى الاستخدام مع قولهم في محادثاتهم « تاجر بقرش تسمّى في البلد تاجر وبالف قرش عنـد الناس لا تاجر » .

الفصل السابع عشر

عاداتهم في الزراعة وتربية المواشي

مارس اللبنانيون زراعة الحبوب وأتقنوا غرس التوت والزيتون والكرمة والصنوبر وأنواع الفاكهة وكان لهم خبرة في مواقيت زرعها وأبرها « تطعيمها » وبمواقع الغيث وأوان الحصاد وجني الثمار وزرع التبغ (الدخان) وتحضيره واحراق الحطب فحماً (عمل المشحرة) غير انهم لم يخرجوا عن خطتهم القديمة في هذا الفن اذ لا يزال (صمدهم) على بساطته وزراعتهم قاصرة على السقي والتسميد ينقل الاحفاد اصولها عن الاجداد متمسكين بخرافات باطلة لا طائل تحتها .

وكان لهم عناية خاصة بتربية المواشي ولا سيما الخيول والبراذين (الكدش) والبغال والحمير والجمال والبقر والغنم والمعزى . وبتربية الدجاج والطيور كالحمام والحجل والكنار والحسون والعندليب (البلبل) وباقتناء النحل والهررة والكلاب لحراسة بيوتهم ، ولا سيما الرعاة فان لهم معرفة واسعة بمواقع الغيث وحدوث الانواء وتحضير الألبان والجبن والزبدة والسمنة والقريشة ، وبتربية الجداء وتعليف الأغنام لتقديد لحومها (قورما) ، وتسمن الأغنام سمناً غريباً اذ يلقمونها بأيديهم بضعة أشهر حتى يبلغ وزن الخروف أحياناً خمسة وثلاثين رطلًا في الصرود (الجرود) ولهم خبرة

بمواعيد تنمية هذه الحيوانات فلذلك يقولون : جدي شباط وجحش آذار ومهر نيسان وعجل نوار (ايار) وبسين (هرّ) الحصرمه كل عمره متعلس (اي ضعيف) .

عاداتهم وخرافاتهم الزراعية

ومن عاداتهم انهم كانوا اذا انقطع المطر يستسقون بإلباس ثيابٍ لعودٍ وحمله طائفين على البيوت منشدين : يا أم الغيث غيثينا . ويجمعون زيتاً لاسراج المعابد استمطاراً . وفي بعض القرى يحملون ايقونة مار اليـاس النبي لانه بصلاته حجب المطر واستمطر .

ومن خرافاتهم الزراعية انهم لا يغرسون الاشجار ولا يزرعون الحبوب الا اذا كان بنقصة القمر ويعتمدون على هذه الطريقة كثيراً وتعرف عندهم بحساب الفارغ والملآن فيعدون الخمسة الاولى من الشهر القمري ويحسبونها ملآنة ثم الخمسة التي بعدها فارغة . ثم أربعة ملآنة وأربعة فارغة وثلاثة ملآنة وثلاثة فارغة واثنين ملآنين واثنين فارغين وواحداً ملآنَ وواحداً فارغاً . فالملآن يصلح للزرع او للقطع وأما الفارغ فلا . وإذا لم تعقـد الشجرة ثمراً كانوا يعمدون الى خرقـة من ثياب امرأة وَلود ، واذا كانت مذكاراً فأفضل ، ويعلقونها بها استثماراً لها . ومما يتمسكون به قطف الزيتون بضربه بهراوةٍ كبيرة وفي ذلك ضرر يمنع حمله في السنة التالية . والى الآن لا يزالون يجرون على خطتهم ولو حُرموا موسم سنة بعد كل قطاف .

ومن أمثالهم الدارجة : شحالة التين بالتشارين . وبعيد الاربعين شاهـد

جاهد عاكرمك جاهد . ونصبة كانون الثاني بسنة بتصير ثاني. ونصبة كانون الاول خير من نصبة عام الاول . ونوار شرنقه ومشمشه وشك تتون . وعشره في نوار فزه وسنبله وزر خيار . وان أقبلت آذار وراها وان امحلت نيسان وراها . وكل رعده بآذار ريه بنيسان أو بأيار . وكل ريه في نيسان بتسوى السكه والفدان. وآذار حَبَل ونيسان سَبَل. وشباط ثلجه وشتاه خير من شمسه وهواه . وجدّي خبرني عن جـدّ وأب كل الشهور بتشتّي إلاّ شهر آب . وفي حزير طيلع ابنك عالغمير (الحصاد) . وفلاحة الكرم بآذار والاّ بار. وكل شيء بالأمل الاّ الرزق بالعمل . والرزق اللي ما هو ببلدك لا لك ولا لولدك. ويا ويل الرزق اللي ما بيواليه صاحبه. وسنة الملاّح للفلاح. والثلج ملح الارض. ولا تحسب سنتك تاتستغلها. وشيل اختي عني وخذ غلتها مني . والدلّيل غلّيل. واللي ما درّا بآب شحم قلبه ذاب. وان جار عليك الزمان جور على الارض . وسنين للبقر وسنين للمطر .

خرافاتهم وعاداتهم بمراقبة الحيوانات وامثالهم فيها

كانوا يتطيرون من السنة الكبيسة التي يكون فيها شباط ٢٩ يوماً اذ تكون فاتكة بالمعاشير ومواليدها اخصها المعزى .

ومن استدلالاتهم بمراقبة الحيوانات قولهم: العراق (الكركي) قربته بظهره، اي يأتي بعد المطر. وتفلية الدجاج وطيران الغراب ونقيق الضفادع دليل المطر . ومجيء العصفور التليجي وام رطيز (ام سكعكع) دليل الثلج . وكذلك دنو ابي الحن من البيوت وعواء الواوية (بنات آوى)

دليل الصحو . وصرير الصرار (الزيز) دليل اشتـداد الحر . وظهور سن المنجل (وهو عصفور التليجي) بنغمةٍ جديدة دليل الربيع .

وقـد يستدلون من هذه الحيوانات على غير المطر كغسل الهرة لوجهها فانهم يزعمون انه دليل قدوم ضيف . ونباح الكلب بصوتٍ مقلوب يؤذن بمصاب . ونعيق البومـة اشارة الى موت مدنف . وطيران غراب واحـد نحس وغرابـين سعد . وصياح الدجاجـة كالديك انذار بخطر . ودخول الفراشة المسماة (بشوره) الى بيت يخبر بشيء فـان كانت بيضاء بشرت بالخير والا بالسوء .

ومن امثالهم في الحيوانات : اذا خالت بقرتك سنة لا تذبحها واذا امحلت ارضك سنة لا تبورها . ومن يحضر خليفة بقرتـه تجيب توم . واذا صعبت الارض درْ لها هروشها. واذا بيّتك خلفك فقير عليك بقراريط الخيل وزرع الشعير . وما لك طرش يقوم الاّ بعد مستقرضات الروم . واللي ما له عيله يقـني لهُ خيله. واللي بيعمل جمال بيوسع باب داره . وتوقّ مقدم الكلب ومؤخر البغل. والعنزة الجربانة مبتشرب الا من راس النبع. وفرخ البـط عوام . والديك الفصيح من داخل البيضة بيصيح . وكلب فالت ولا سبع مربوط . وكل ديك على مزبلته صياح. وابرص بقر لا تقني وان صح عندك لا تبيع . ومن قلة الخيـل شدوا على الكلاب سروج . ومثل مـا بتعمل المعزى بالعفص العفص بيعمل بجلدها . وربي كلبك يعقر جنبك . وفي آذار طيلـع خيلك برّا الدار . الى غـير ذلك من الامثال الكثيرة المختصة بالحيوانات وشؤونها .

الباب الثاني

آداب وعادات عامة

جميع آداب الاجتماع والعادات المألوفة عند جميع الشعوب الشرقية والغربية ترتكز على دعامتين أساسيتين : الاولى شخصية والثانية أدبية . فالآداب الشخصية تتناول نظافة الشخص ببدنهِ واثوابهِ وحسن هندامهِ . والأدبية تتناول سلوك الانسان القويم وجميل معشره وغزير ادبه وكل ما يتعلق به من الوجهة الاجتماعية .

الفصل الاول

في آداب الاجتماع الشخصية

نظافة الجسم – لون البشرة وعيوبها – الاستحمام

النظافة

تقوم نظافة الجسم بصيانته من كل وسخ وقذر يؤذيانه . وهـذه الصيانة تتوقف على اعتدال الصحة ومراعاة شروطها كالقيام باكراً وتنظيم المأكل والمشرب واجتناب كل منبّـه ومهيّج والاكثار من الاستحمام والمواظبة على الرياضة التي تسرع دورة الدم وتقوّي الهضم وتقي الجسم من الضعف والذبول وتزيد حسن الوجه وجمال الطلعة. وزد على ذلك انها تقوي العقل لأن كل ما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل ايضاً .

لون البشرة

قال أحدهم : ان حسن اللون جمالٌ مستقلّ في حدّ ذاته . وان الوجه لا يُعد حسناً ولو تناسبت اجزاؤه ما لم يصحبه نقاء اللون وصفاء البشرة .

ومن المعلوم ان نقاء اللون الذي هو هبة من هبات المبدع الخلاق هو دليل على حسن الصحة والجمال ولذا ترى المرأة تستعمل المساحيق والطلاء والغسول والأصباغ لتحسين لونها وبقاء رونقه . ونسبة التي نقـــاء وجهها طبيعي كنسبة الورد الصناعي الى الورد الطبيعي . لأن الطلي المصطنع على الوجنات اذا وقع عليـه النور منحرفاً حينما يدور الوجه يمنـةً او يسرة وانعكس عنه تفقد البشرة طلاوتها وتذهب نضارتها . فترى حينئذٍ ذرات المسحوق قد سدّت مسامها وبرز الوجه كسطحٍ املس صلبٍ شبيـه بتمثال من الجبس خالٍ من اللين الطبيعي عارٍ من الزغب الرقيق الناعم الذي انماهُ الله على الوجنات .

والعلاقة بين الاطعمة .ولون البشرة تستدعي الانتبـاه ايضاً . فالمآكل المالحة متلفة للبشرة . اما الفواكه والخضر فمفيدة لها جداً . والهواء والنور اعظم الاطباء لحفظ نقاوة اللون وانجع الادوية لتحسينـه فلا توازيهما كل المساحيق المخترعـــة الى الآن . والهواء اكبر عامل لتطهير الدم وتورّد الخدود . ولا يخفى ضرورة استنشاق ما كان نقياً منه واجتناب الفاسـد . وكذلك التعرض للهواء الجاف سواء كان حاراً او بارداً مضرٌّ بالجلد .

الخلاصة ان شفافية الجلد وصحته (او جمال الوجه ونقاءهُ) تتوقفان على النظافة وحالة الدم ونوع الطعام . فاذا بقي الجسم نظيفاً من الداخل والخارج بقي الجلد شفافاً صحيحاً والدم نقياً . اما الاغتسال فينظف ظاهر الجسم ولكنهُ لا ينظف باطنهُ . ولا يُنظف الباطن إلاّ اذا كان الطعام جيداً معتدلاً في كميتهِ وماء الشرب نقياً .

اما العيوب التي تذهب بنضارة الوجه فهي : الصفرة والبزور والنقط السوداء والغضون والنمش واسمرار البشرة وصبغها وتلوينها وحب الصبا وتشقق الشفتين والخال والرَّغْن . وبعضهـــا يحدث من التعرض للشمس والهواء وبعضها من الاهمال .

الصفرة

سببها اضطراب التغذية او قلتها . وعلاجها حسن الغـــذاء واعتداله والاغتسال والرياضة . واذا كان التعب في الكبد فلا بد من الاكثار من اكل الاثمار والخضر . ويحسن شرب كأس من الليمـوناده غير محلاَّة بالسكر قبل النوم . واذا ساءَ الهضم فليقتصر على الاكل مرتين في النهار قبل الظهر بساعتين وبعده باربع ساعات .

البزور والنقط السوداء

سببها انحباس المادة الشحميَّة من عدم فرك الوجه وقلة غسلهِ . وعلاجها الاعتناء بالطعام ووضع خرقة ناعمة مبللة بلبن (حليب) سخن جـداً على الوجه وتركها عليه مدة ، ثم غسلهُ بماء بارد . وتنزع المادة الشحمية بالعصر ويغسل الوجه بماء سخن ثم بماء بارد مذاب فيـه قليل من كربونات الصودا ويغسل على التعاقب حتى تتقلص مسامهُ . ويغسل بعد ذلك بغسول مركب من اوقية من مذوب البوتاس واوقيتين من ماء الكولونيا واربع اواق

من العرق ثم يدهن بزبدة جوز الهنـد او الفازلين مع الالتفات دائماً الى سير الامعاء حتى لا يحدث فيها قبض .

الغضون

يُظن لاول وهلة انها من لوازم التقدم في السن ولكنّ البعض تتغضن وجوههم وهم في سنّ الشباب او الكهولة، والبعض لا تتغضن وجوههم ولو بلغوا سن الشيخوخة لانهم يعتنون بها وبصحتهم عموماً . وقد ذكروا انهُ لاجل ازالة الغضون من الوجه يجب ان ينطّلَ الوجـه اولاً بالماء السخن ثم يدهن جيداً بزيت جوز الهند ويفرك حتى يتورّد الدم الى مكان الغضون . او يؤتى بكأس مثل التي يمصُّ بها اللبن من الثدي لها كرة من الكاوتشوك فتوضع الكأس فوق الغضون وتضغط الكرة حتى يفرغ منها بعض الهواء ثم تترك فتجذب الجلد والدم. وبتكرير ذلك على طيات جلد الوجه المختلفة يأتيها الدم ويغذيها فتزول الطيات في وقت قصير . واذا لم توجد هذه الكأس فالفرك بالاصابع يقوم مقامها بشرط ان تفرك الغضون ويُقرص الجلد حتى يعلو المنخفض منه ويكرر ذلك مقدار ربع ساعة او نصف ساعـة كل يوم قبل النوم .

النمش

هو بقع صغيرة ملونـــة تظهر على جلد اصحاب البشرة الشقراء غالبا وذلك من التعرض للشمس .

علاجه : اجتناب اشعة الشمس لانها تزيده دكنـة . وغسله بعصير الليمون نقياً او ممزوجاً بالغليسرين . وقبل وضع العصير يغسل الوجه جيداً بالماء السخن والصابون .

ومما يفيد ايضاً دهان مؤلف من درهمين من زهر الورد المجفّف ينقعان في ٤٠ درهماً من عصير الليمون المعصور جيداً و ٤٠ درهمـاً من الروم والبرندي مدة ٢٤ ساعة على نار خفيفة ثم تعصر ويدهن الوجـه بالعصير بواسطة الاصابع صباحاً ومساء ، او اكثر من ذلك .

او بالمزيج الآتي وهو مركب من عشرين لوزة تُسحق في هاون ويضاف اليها ٥٠ درهمـاً من الماء الحار ويمزج جيـداً ثم يصفى ويدهن النمش جيداً فيزول .

اسمرار البشرة

يحدث من التعرض لاشعة الشمس وحرارتها وينشأ عنه ألم موجع عـدا انه يذهب ببهجة المنظر . واشعة الشمس عند الصباح تؤثر في البشرة اكثر من بقية ساعات النهـار ولا سيما في الاماكن التي على شواطىء البحر المالح فيخشن الجلد ويتحول لونه الى اسمر قاتم .

علاجه : اجتناب الغسل بالماء البارد وغسل الجلد بماء حار جداً ودهنه بالغليسرين المخفف (اي جزء منه في كل ستة اجزاء من الماء الصافي) ثم ينشف بمنشفة ناعمة . او يغسل باللبن (الحليب) ويدهن بمزيج من زيت

الزيتون وماء الجير اجزاء متساوية. واذا كان الاسمرار شديداً يطلى الوجه بمعجون مركب من دقيق الشوفان (الشعير الفرنجي) وذلك عند الذهاب الى الفراش ليلاً ثم يغسل صباحاً بماء حار .

ويستعملون أيضاً للقشف والتقشّر في البشرة سواء كان من تلويح الشمس أو تشقق البرد والجفاف مزيجاً من ستة دراهم من مسحوق البورق و١٢ درهماً من الغليسرين النقي بنحو ٢٠٠ درهم من ماء الورد ويغسل به كل يوم فيصير الجلد ناعماً أبيض ولا ضرر من هذا الغسول على الاطلاق .

صبغ البشرة وتلوينها

قال الشاعر :

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوةِ حسنٌ غير مجلوبِ

ان صبغ الوجه وتلوينه بالمساحيق بقصد التحسين أمرٌ شائع بين نساء الامم الغربية . فلقد عددنه ضربة لازب وأدخلنه ضمن شروط حياتهنّ إذ يغترونَ بما أُوتينَهُ من الحسن والجمال ويطمعن في مسابقة البارعات فيه حاسبات ان لطخة خفيفة من الصبغ على الوجنتين او زجّة لطيفة من السواد على الحاجبين كافية لسدّ ما ينقصهنّ من الجمال وجعلهنّ في مصافّ الجميلات بغير ان تضر بهنّ . ثم يزدنَ المقادير شيئاً فشيئاً فيتحول التزين من امرٍ عرضي الى امرٍ جوهري. ولا يخفى ما ينتج عن هذه العادة المستهجنة، فانهُ بعد مزاولتها مدةً من الزمن تصفرُّ بشرة الوجه وتضيق مسام الجلد ويفقد

المحيا لونه الطبيعي وتزول طلاوته . فضلاً عن انه يؤثر في الاخلاق والطباع . فان السيدة التي تشعر انها متسترة تحت جمال مصطنع وحسنٍ مستعار تقدم على الرياء والمخاتلة فتغير صوتها ليحاكي حسنها المختلق . وتتخلق تدريجاً باخلاق المباهاة والمفاخرة والمظاهرة الخارجية فتبعد عن طباعها الاصلية وما ربيت عليه من البساطة والاستقامة .

وزد على ما تقدم ان اكثر الالوان والاصباغ سامة ضارة ، فالاصباغ الدودية (القرمزية) اعظمها ضرراً لانها مستخرجة من مواد معدنية وعاقبتها وخيمة جداً على البشرة تضرُّ بها كثيراً .

اما المساحيق الحمراء فاخف وطأة من سائر الاصباغ ، لاستخراجها من مواد نباتية. والمساحيق البيضاء اللؤلؤية اكثر بلاء من الحمراء لاصطناعها من البزموت فتورث البشرة الاصفرار وتأول بها الى الخشونة حتى تصبح اشبه بجلود الحيوانات المدبوغة . وقد يعتري البشرة بسببها الشلل اذا طال استعمالها . ومسحوق المغنيسيا الابيض الذي يستعمل لبياض العنق يقال انه يسبب ورماً غددياً على مدى الزمن . واقل المساحيق ضرراً دقيق النشا او مسحوق الارز . ومع ذلك فمزاولة اي نوع كان من انواع المساحيق مضرةٌ بالبشرة فانها تعوق افراز العرق او تمنعهُ وتسدّ مسامّ الوجه وتحوّل زهرة لونه الطبيعي الى الخشونة .

ومما يسوء ذكرهُ هنا ان سيدات بلادنا قد اقتبسنَ هذه العادات عن سكان المغرب وتفنّنّ في التخضب والتزجج ونسين قول الشاعر الحكيم :

انّ المليحةَ من كانت محاسنها   من صنعة الله لا من صنعة البشر

غير عالمات ان المحسنات في شرع الادباء اربعة : الصحة، والرياضة، والنظافة، وحسن الاخلاق . فالاولى بهنّ ان لا يعتمدنَ على تلك الاصباغ والمساحيق بل ينبذنها ظهرياً لانها وخيمة العاقبة ولو اكسبت جمالاً وقتياً . فالعاقلة من نظرت الى العواقب وفضلت الحسن الطبيعي على المصطنع واعتبرت حسن الصورة عرضاً زائلاً اذا وُجد حمدت خالقها عليه ، وان لم يوجد استعاضت عنه بما هو اسمى منه واشرف ، اعني حسن السجايا والطباع ووداعة النفس والاتضاع ، وما احسن ما قيل :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً لهُ   اذا لم يكن في فعلهِ والخلائق

حب الصبا

هي بثور كبيرة وصغيرة او سمراء ومتوردة تظهر على جلد الوجه فتشوه جمالهُ ورونقهُ .

علاجه : اذا كانت البثور بسيطة تُعصر حتى تخرج منها المادة الدهنية . ثم تدهن بمحلول بيكلوريد الزئبق وتغسل بالماء السخن مراراً . واذا كانت وردية في الانف فتكون في الغالب من السكر او من عدم اصلاح الهضم فتعالج بالانقطاع عن المشروبات الروحية مع اصلاح حالة الهضم . اما اذا كانت كبيرة قواعدها متصلة وقد التهبت واستعصت وبقيت مدة بدون تقرح فتدهن بالغسول الكبريتية مساءً ، ثم بالماء صباحاً .

تشقق الشفتين

يحدث من السفر في الهواء والشمس فيسبب المـاً حاداً احياناً ويقسو جلد الشفتين وتخشن بشرة الوجـه بسبب البرد . فالذي يقي من ذلك المرهم الآتي :

يذاب اوقيتان من الشمع الابيض الجيد في ثماني اواقٍ من زيت اللوز فوق نار خفيفة ثم يضاف اليه تدريجاً نصف رطل من مستقطر مـاء الورد حتى يبرد .

الخال

اذا اردت ازالة الخال (الشامة) الذي يطبع على البشرة منذ تكونها ادهنهُ مراراً بالحامض الخليك الثقيل او بمذوب حجر جهنم (مع الاحتراس من دهن الجلد المجاور لهُ) واذا لم ينزع بهذه الواسطة نزع بعملية جراحية . غير ان الخال اذا كان مفرداً وبموضعٍ مناسبٍ في اعـلى الخد فذلك مستحب في الجمال فلا يعمد لازالته ، قال الشاعر :

لهُ خالٌ عـلى صفحات خدٍّ كنقطة عنبرٍ في صحن مرمر

الرَّعْنُ

« اي ضربة الشمس » يحدث من ازدياد تعرض المرء لاشعـة الشمس . وافضل علاج لهُ يقوم بالماء البارد حيث ينقل المصاب الى الظل ثم يجرد من

ملابسه ويرش الماء البارد بكثرة على رأسه وعنقه وصدره ويعطى كمية وافرة من الماء للشرب . واذا تقيأ بسبب ذلك فيكون مفيداً للغاية . ويستحسن مع كل هذا ان توضع لزقة من الخردل على نقرة العنق ثم يعطى المصاب وقتاً كافياً للراحة .

الاستحمام

هو من اكبر دعائم الصحة . ولهُ فوائد عظيمة منها انهُ يحفظ الجسم من الذبول ويبقي لهُ نشاطه وقوته ويعطي البشرة نضارتها ونعومتها والجلد طلاوتهُ ونقاء لونهِ والاعضاء والعضلات مرونتها ولينها فلا ينبغي اهمالهُ ابداً لا سيما لسكان الاقاليم الحارة . وافضل الحمامات للاقوياء والاصحاء حمام البحر غير انهُ لا يفيد كثيراً في حفظ نعومة الجلد والشعر ولون البشرة كما يفيد الاستحمام في الماء العذب الفاتر او الحار. ويحسن الاستحمام في البحر بعد تناول الطعام بنحو ساعتين انما لا يجوز الاقامة فيه طويلاً . وبعد الحمام يفرك الجسد فركاً جيداً الى ان يحمرّ الجلد ويدفأ الجسم. وتتوقف درجة حرارة ماء الاستحمام على بنية الشخص واستعداده . فالحمام البارد يفيد اصحاب البنية القوية . اما ضعيفو الدورة الدموية فلا يحتملونهُ وربما اضرّ بهم . فاذا شعر الانسان بعدهُ بقشعريرة وفقدان القابلية للطعام وارتخاء في الاعضاء استدل على ان الماء البارد لا يلائمه. والماء الفاتر او الحار اصلح جميع المياه للنظافة واسلمها عاقبةً ولا سيما للاولاد الصغار والاطفال اثناء التسنين ، ومن خواصه انه يستجلب النوم . ويستحسن سكب كمية

قليلة من الماء البارد على الظهر بعد الفراغ من الاستحمام بالماء الفاتر لتشديد الاعصاب في الحبل الشوكي وللوقاية من الزكام. ويلزم الاحتراس الكلي في الاستحمام تحت المرشة المعروفة (بالدوش) لانها شديدة الفعل ولا يقوى عليها الا الاشداء وهي مفيدة لهم ، ويجب في هذه الحال ان يفرك الجسد كله حالاً لاعادة الدورة الدموية الى مجراها بعد حدوث رد الفعل فيها بسلب حرارة الجسد من تساقط الماء البارد عليه بغتةً .

الفصل الثاني

آداب الاجتماع الشخصية

الشعر ـ الاسنان ـ اليد والرجل ـ
الملابس والعطور ـ الموضة واضرارها

الشعر

من اعظم آيات الجمال . ولقد كان في جميع الاجيال موضوعاً لتفنّن الناس بترتيبه ومعالجته بالاصباغ والغسول والمثبّتات والمزيلات والمقويات والمنظّفات وغيرها . وهو عنوان الصحة فاذا اعتلّت الصحة ضعف الشعر وقلّ وزال منه اللمعان الطبيعي، فالاعتناء به هو في الحقيقة الاعتناء بالصحة.

الوانه : ان الوان الشعر كثيرة جداً ترجع كلها الى ثلاثة الوان اصلية: احمر واصفر واسود، ومنها تتفرع بقية الالوان . فالذهبي تتألف مادته من الاحمر والاصفر ولكن يتغلب الاصفر فيه . والرملي الاسمر يتألف من الثلاثة . والاشقر القاتم تكثر فيه المادة السوداء . وقد خصت الطبيعة كل شخص باللون الملائم له. واختلفت المشارب في اي الالوان اجمل من سواه، فتغزل بعضهم بالاسود الحالك وذمه غيرهم بدعوى انه يسرع الى المشيب

قبل غيره . ومدح البعض اللون الاشقر لان صاحبته لا يظهر عليها الكبر والمشيب حالاً . ومال البعض الى الذهبي لزهوه ولمعانه في الشمس . اما انصار الشعر الاحمر فقليلون . ونور الشمس من اشد المؤثرات في حفظ لون الشعر وتقوية نموه . ويحسن كثيراً التعرض للشمس والرأس مكشوف ما دامت درجة حرارتها لا تولد صداعاً .

ترتيبه : يتوقف ترتيب الشعر وقصّهُ وجدله واسترساله سواءً كان في رأس المرأة او في وجه الرجل على هيئة الوجه وتقاطيعه ولا سيما هيئة الانف.

نموه : ولما كان نمو الشعر متوقفاً على كمال تغذيته كان مرجع الآفات التي تصيبه الى خلل في جذوره او في الدورة الدموية . ولذلك كانت كل العلاجات لتطويل الشعر او منع سقوطه عائدة الى تهييج الجلد إن بالفرك او بغيره لتقوية الدورة الدموية في جذوره، فالمَشْط والحلق والزيوت والغسول مرجعها كلها الى هذا الغرض ، اما اذا جف الجذر او مات او اصاب الجلد مرضٌ امات الجذور فلا تجدي هذه الوسائل نفعاً لنمو الشعر بعد سقوطه . والشعر اشبه شيء بالنبات ولا بدَّ لتغذيته من الهواء والنور .

ومن المؤسف ان بعض الازياء التي ادخلها التمدن الحالي تحرم الشعر من هذين العاملين وتمنع نموهُ . فطريقة جذبهِ وجمعه في قمة الرأس وتوثيقه عليها توثيقاً او تغطيته بشعر مستعار وعقصهُ وفتله وليّه وكيّه بالحديد المحمى وغير ذلك من الطرق التي تؤول الى الاضرار به تعوق وصول الهواء والنور الى اصوله وتوقف سير نموه وتضعفه .

غسله ونظافته : يجب غسل الرأس مرتين او ثلاثاً في الاسبوع بالماء الفاتر والصابون وفركه بفرشاة قاسية لنزع الوسخ والقشور منه ثم بفرشاة ناعمة لصقله . اما غسله جيداً مرة كل شهر على الاقل فامر محتم لحفظ حياته وتنظيفه من كل ذرة تعلوه من الغبار وغيره . واذا ترك الشعر حتى يطول فالغالب انه يضعف ويتناثر ويتساقط فيجب ان يقصّ منه كل ما يمكن قصه . واذا شرع يتساقط بكثرة وجب حلقه او قصه .

الاسنان

هي الجهاز الضروري لاتقان النطق عند التكلم. وهي فوق ذلك مكملة لحسن المنظر متممة لجمال الوجه بانتظامها داخل الفم كعقدين من اللؤلؤ المنضّد يسترهما حجابان من العقيق الاحمر .

وظيفتها : مضغ الطعام وجعلهُ صالحاً لدخوله القناة الهضمية . وعليها وحدها تتوقف مهمة الجسد الذي لا يتم غذاؤه الا بحسن مضغ الطعام جيداً في الفم . ومن المؤسف ان التمدن الحالي افسد وخرّب هذه اللآلىء رغماً عما يبذل من الوسائل لصيانتها وحفظها صحيحة سالمة. وقد علم بالاختبار ان الاعتناء بها وبتنظيفها يحسن حالتها ويطيل بقاءها ، فيجب مسحها بالفرشاة كل يوم صباحاً ومساءً وتطهيرها وتنظيفها من كل الاوساخ وفضلات الطعام التي تبقى في خلالها. ويستعمل الماء البارد لان من خواصه تقوية اللثة ايضاً، اما اذا كان هناك الم فتغسل بالماء الفاتر . وتستاك الاسنان مما يلصق بها من

فتات الطعام ونحوه بمسواك من العظم او العاج او الخشب او ريش الاوز لا بالدبوس ولا بالابرة ولا بمسواك من المعدن على الاطلاق لانه يضرها كثيراً. ومن المعلوم انهُ اذا بردت الاسنان فجأة بعدما كانت ساخنة ، او سخنت بعدما كانت باردة، خيف عليها من التفتت. وانجع المساحيق لتنظيف الاسنان ابسطها تركيباً . ولا يحسن استعمال المسحوق قبل الوقوف على مركباته . فمسحوق الفحم من احسن الادوية لتنظيف الاسنان واسلمها عاقبة سواء استخرج من الخشب ام من الخبز المحروق . لانه لا بد لتركيب الاسنان ومتانتها من عنصر الفلور وهذا العنصر لا يكثر في طعام كما يكثر في نخالة دقيق القمح . ومسحوق الطباشير الممزوج بالكافور يبيّض الاسنان ويزيل عنها الطبقة السمراء المتكونة على سطحها والمعروفة بطرطير الاسنان .

وصيانة الاسنان تتوقف على اجتناب السوائل والعناصر التي تؤثر فيها وتؤذيها . فالمشروبات الحارة والحوامض وكثرة الحلوى مضرة بها فينبغي غسل الفم حالاً بعد تناولها وتنظيف الاسنان منها . ويوصي واضعو قواعد السلوك بالعناية الفائقة بنظافة الفم وذلك بغسله ثلاث مرات في اليوم صباحاً عند النهوض من الفراش وظهراً بعد الطعام ومساء قبل الرقاد .

وجع الاسنان : ينشأ من تهيج او التهاب في العصب او من مرض يعتري جذرها المغروس في الفك ويصحبهُ غالباً دمّل في اللثة. وقد يكون الالم عصبياً والاسنان سليمة فيشفى بالمسهل وبمقادير صغيرة من الكينا . ومما يخفف وجع الاسنان ان تمضمض بمغلي قشر الخشخاش (ابو النوم) والخبيزاء بعد ان يضاف اليه قليل من العسل الاسود. اما اذا كانت السن نخرة فتحشى

معدناً على يد طبيب الاسنان او تقلع من مقرهـــا وتفصل عن الاسنان الاخرى لئلا تفسدها . وقـد يحدث البخر في الفم عقب النخر في الاسنان فيخرج النفس ذا رائحة كريهة. ففي مثل هذه الحال يجب الاكثار من اكل الفواكه والاثمار . او مضغ عرق السوس (رب السوس) الذي يساعـد كثيراً المعدة على الهضم ويزيل البخر .

اليد والرجل

اليد او الكف شديدة اللزوم يستعملها الانسان في التسليم والوداع وتناول ما يقدم له وتقديم ما يناوله للغير. ويراعى في الكف شكلها لا حجمها لان الكف لا تكون جميلة ما لم يكن جرمها مناسباً لجرم بقيـة الاعضاء، فاذا كبرت بكثرة العمل فانها تكون اجمل واصلح من الكف الصغيرة. ويجب ان يكون طولها الطبيعي مساوياً لطول الوجه تماماً من طرف الذقن الى اعلى الجبهة، ويكون المعصم صغيراً والساعد ممتلئاً مستديراً. فيد المصور التي تقلد مناظر الطبيعة بمهارتها وبراعتها، ويد الموسيقي التي تمرُّ مرور النسيم على اصوات الآلة فتطرب السامع بالحانها الشجية ، ويد الاكار والكاتب والبنّاء والعامل والصانع التي بنت الاهرام ونصبت المسلات وخرقت في الجبال اسراباً وخاضت البحار بقوة البخار وجابت البطاح مسوقة بالنـار واستخرجت المعادن من باطن الارض فصاغتها درراً واشياء ثمينة مفيـدة وقاست ابعاد الكواكب في الفضاء وصنعت ادق الآلات لمختلف الصناعات ، فهذه يجب كثرة الاعتناء بها. واهمالها يدل على التراخي والكسل والانحطاط في التهذيب .

الاظافر

ينبغي ان تنظف كلما تراكم الوسخ حولها وتحتها . وتقليمها ضروري ويكون بسكين او بمقص او بآلة خصوصية لذلك . ويجب ان يكون مساوياً للحم الاصابع . ولا تقضم الاظافر بالاسنان لان ذلك مخل بالتهذيب ومضرّ بالصحة لما في هذه الاوساخ من جراثيم المرض .

ومما يضرُّ بها رفع اللحمة الرقيقة التي تنمو على اسفلها . ولا يستحسن مسحها بالمساحيق التي تجلوها لانها تجففها وتصيرها سهلة التشقق .

الرجل

لا يخفى ان القدم الصغيرة تفضل على الكبيرة ، غير ان عوامل كثيرة تطرأ عليها فتشوه جمالها بما يظهر على سطح اناملها من البثور المسببة من المشي الطويل المعيي وظهور المسامير (عين السمكة) الناتج من الاحتكاك والضغط الشديدين ومن لبس الحذاء الضيق . وكعب الحذاء له شأن كبير في راحة القدم ، فاذا زاد علوهُ اضرّ بها كثيراً اذ تندفع القدم كلها الى رأس الحذاء ويقع اكثر الثقل على الاصابع . والمشي المناسب للصحة هو وضع رأس القدم اولاً ثم كعبها ، ويكون الجسم منتصباً .

ومن الغريب ان الناس يستخدمون الرجل اليسرى اكثر من اليمنى كما يستعملون اليد اليمنى اكثر من اليد اليسرى . فاذا مشوا قدموا الرجل اليسرى (كمسير الجنود مثلًا) واذا ركبوا وضعوا الرجل اليسرى في الركاب اولاً وكذلك اذا وثبوا . والرجل اليسرى اطول من اليمنى في اكثر الناس كما ان اليد اليمنى اقوى من اليسرى في الكثير منهم ايضاً .

الفصل الثالث

آداب الملابس والحلى

الملابس نوعان: ملابس النساء وملابس الرجال. وجميعها انما استعملت لثلاثة اسباب: للزينة وستر العري ومراعاة الصحة باتقاء البرد والحرّ. ولذلك اختاروا الانسجة الناعمة الرفيعة لتحصل الفائدة من لبسها دون ان تعوق حركات العضلات او تكون حملاً ثقيلاً على الكاهل.

وملابس اللبنانيين ذكوراً واناثاً تعتبر زيَّين قديمين.

الاول زي الموارنة

الذين قدموا الى لبنان من شمالي سورية. وهو اشبه بالزي الاشوري القديم. فكانوا يلبسون السِّروال وفوقه كساء لا يتجاوز الركبتين طولاً والعمامة ويرسلون لحاهم ويحلقون شعر رؤوسهم وهو اقدم ازيائهم.

اما زي نسائهم فكان الثوب المسترسل الى الارض ليغطي جميع الجسم وهو من قطن ابيض ساذج. وقد يكون ازرق او بنفسجياً. وعلى الرأس برقع يغطي شعورهنّ من الامام والوراء. فاذا رأين رجلاً يجهلنهُ انحرفنَ عنه او التففنَ بالمنديل تستراً منه. اما حلاهنّ فكانت اساور عظيمة نحاسية

وبعد ذلك صارت فضيَّة او ذهبية . ثم تبدلت هذه الازياء بتبدل الازمان. وكان المقدمون والمشايخ والاعيان كثيراً ما يلبسون الخوذ الفولاذية الصقيلة والعباآت الحريرية المفوّفة بالقصب .

وكان بعض قدمائهم يلبس القفطان (وهو ثوب قطني يلبس فوق الدرع، واذا كان من القز سمّي جوقال وهي لفظة تركية) والجبة والعمامة ، ثم عرفوا السراويل[1] او السرابيل (الشراويل) فكانوا يلبسونها واسعة وفوقها زنار عريض فيه خنجر وعلى رؤوسهم الكوافي اي المناديل الصوفية يشدها على رأسهم العقال وهي عصابة من صوف مبرم . ثم الطواقي على الرأس وهي من مقصور ابيض مطرّز وفوقها غطاء عليه عصابة تحول الى طربوش دلح[2] ثم الى طربوش مغربي[3] فعزيزي[4] . وصار امراء لبنان يلبسون العباءة وتحتها الدامر المزركش بالقصب وتحتهُ السراويل ثم الطماقات ، الى ان تبدلت هذه الملابس بما هي عليـه اليوم ومعظمها افرنجي دخل بلادنا عن طريق الاستانة[5] .

---

١ السراويل جمع سروال فارسية من سَرْ بمعنى فوق وبال « قامة » وفي الكردية شروال .
٢ هو طربوش احمر طويل يبلغ اكثر من نصف ذراع وله شرابة يُشتمل عليه او يُعتَم به.
٣ طربوش مستدير لهُ شرابة (طرة) زرقاء امر ابرهيم باشا المصري بلبسه سنة ١٨٣٨م فلبسه الامير بشير واسرته وعمّم . واصلهُ في الفارسية سربوش من سر « رأس » وبوش « غطاء » .
٤ هو الذي لبسهُ السلطان عبد العزيز وعمّم فنسب اليه وهو بشكلهِ الحاضر الآن .
٥ كان عبد الله باشا والي عكا لابساً النظام الافرنجي ملبوس اسطنبول وفوقه كبّوت جوخ ازرق طويل وعلى رأسهِ شال كشمير ملفوف .

اما لبس نسائهم فهو القنباز الطويل المشقوق من الامام او على المعطفين الى المنطقة ولهُ ازرار نحاسيـــة صفراء وتحتهُ قميص من الحرير المسلوب الابيض خشن النسيج وقد يكون مطرّزاً . وعلى الرأس الشكة (او الشبكة[١]) والطنطور[٢] والقفوية[٣] والعقائص والمالويّات والصنوبريات والصف والعقد والخاتم والحلَق .

والغنيات يلبسنَ بارجلهن الصرامي[٤] الحمر المحددة الرأس . والفقيرات المُداس[٥] العريض الرأس . وهذه ايضاً تغيرت الى الزي الافرنجي الحديث .

والثاني الزي العربي

نسبة الى العرب الذين قدموا الى جنوبي لبنان فكانوا يلبسون الكوفية والعقال والقميص الطويل او القفطان والعباءة . وبعضهم يعتصبون بعمائم سوداء او كحلية حسب اوامر سلاطين عهدهم ثم غيروها بتغير الزمان

---

١ الشبكة لفظة تركية وهي كيس حريري للف الذوائب وتغطية الرأس .

٢ الطنطور حلية اسطوانية مخروطية الشكل اشبه بالقرن محدد الاعلى احياناً يكون ارتفاعه عند الاميرات نحو ذراع وعند غيرهنّ نحو ثلثي الذراع يلبس فوق الطربوش وهو من فضة او ذهب منقوشاً او ساذجاً يربط تحت الذقن ويطرح عليه الشنبر (الازار او النقاب) يغطيه ويستر جميع البدن . أُبطل سنة ١٨٤٨م .

٣ نسبة الى قفا الرأس تؤلف من خمسين جديلة حريرية مشتبكة يعلق باطرافها نقود ذهبية مرصوفة على قطعة قماش يعصب بها الجبين .

٤ جمع صرماية وهي ما تكون حمراء او سوداء بلا اذنين كالبحريّة .

٥ يكون باللونين ايضاً لهُ ازرار واذنان . ويكون واسعاً .

واختلط الزيان الماروني القديم والعربي فتحول الى ازياء اختلفت باختلاف الاعصر . ولما قدم ابرهيم باشا المصري الى سورية امر النصارى ان يستبدلوا العمائم السوداء بالبيضاء . وقبل مزايلته لسورية بسنتين امر بطرحها ولبس الطرابيش بدون عمائم وتحولت الازياء الى القفطان والجبة والسروال والقنباز والفرو والبكدلية والعباءة والمشلح والبرنس . وصاروا يرصعون الحلى بالحجارة الكريمة على ما هو مشهور بيننا اليوم .

اما ملابس الدروز فهي الاثواب الضيقة الاكمام القصيرتها الموحدة الالوان رجالاً ونساءً . وذلك غالب في جهال الرجال . ولكن العقال يلتزمون بتقصير اذيال اثوابهم الى ما يلي الركبتين بيضاء او زرقاء محضاً لا يخالط لونها لون آخر . والرجال يلبسون فوقها عباءة ذات خطوط عريضة من البياض والسواد وعلى الرأس عمامة بيضاء مستديرة. ولا بد للرجل من اطلاق لحيته ولو كان شاباً .

وثياب المرأة طويلة وعليها خمار تستر به احدى عينيها ، ولا تلبس حلى ذهبية او فضية الا بعض الجاهلات .

ملابس النساء

ان لبس النساء الحسن في هذا العصر لا يتوقف على غلاء الثمن وجمال الوجه وقوام القد بل يحتاج الى سلامة الذوق وكمال الحشمة وحسن التهذيب حتى يكون ملائماً لصورة لابسه ولونه وقوامه وسنه واحواله بحيث يخلو من الانتقاد ولا يفرق كثيراً عن الزي المتبع . فالمرأة تصرف همها الى

التزين والتحلي والتأنق بالملابس والتفنّن في الازياء. فقواعد الهيئة الاجتماعية في هذا العصر تقضي بان تكون المرأة ذات ذوقٍ في لبسها وبارعة في تنظيم بيتها وترتيب شؤونهِ مهذبة في علومها وآدابها .

التدفئة

لقد اجمع علماؤهم ان الثياب الصوفية افضل المنسوجات لهذا الغرض لان من خواص الصوف امتصاص ما يفرزهُ البدن ووقاية الجسم من البرد والحر.

السترة

لقد اختلف البشر فيها كثيراً، فمنهم من لا يستعيبون تعرية البدن كله. ومنهم من يستعيبون كشف بعض الاعضاء دون البعض الآخر وذلك من قبيل الذوق . واما من حيث الفائدة فاعضـاء الجسم القليلة الحركة يجب سترها لصيانتها ودفع البرد عنها . وثياب النساء يحسن ان تغطي البـدن كلهُ من العنق الى القدمين .

الزينة

اما الزينة فليس لها حد ولا قياس ولا سيما عنـد النساء . فاذا لبسن جلود الحيوانات مثلًا اصبحت هذه الجلود شرعاً يتبعهُ معشر الجنس اللطيف . واذا تردينَ بالخيش فلا مناص لغيرهنَّ من مجاراتهنَّ فيـهِ اذ لا جدال في

الذوق الذي لا يخضع لقانون عام .

ونساء الافرنج الموسرين يغيرنَ ثيابهنّ مراراً كل يوم . وما يلبسنهُ صباحاً لا يبرزنَ بهِ مساءً اذ تكثر الزيارات والمقابلات والخروج للمتنزهات . وثياب الصباح تكون في الغالب بسيطة من النسيج الابيض الرخيص . اما الثياب الثمينة الرقيقة فيلبسنها في ليالي الرقص وعلى العشاء. ويتحاشين لبس الثياب الفاخرة المزركشة في الشوارع والطرق العمومية وقلّما يرتدينَ الحرير المصبوغ بالالوان القاتمة الا في اوقات النزهة . اما ثياب المآتم والحداد فالسوداء ومعها القرمزية او البنفسجية .

ويجب الاعتناء الكلي بالنظافة في الثياب والشعر والاسنان والاظافر واتقان المشد حتى لا يظهر الكساء مجعداً فوقهُ. وعليه فالاعتناء بالازياء الخارجية المنطبقة على شروط الحشمة والكمال قد اصبح من اهم الامور للنساء والعذارى . ولتعلم كل سيدة ان التمدن الحالي يطالبها باتقان ثيابها الى حد لا يخرج عن الحشمة والادب وسلامة الذوق وبساطتهِ ، فاذا تعدت الى ما وراء ذلك عُدّ تطرفاً وشذوذاً ، واذا قصّرت عنه نُسبت الى الجهل وعدم الادراك. ويتوقف اختيار لون الثياب على لون الشعر والجسم وهكذا يزيد جمال المرأة او ينقص بالنسبة الى انتقاء الوان ثيابها . ويجب الالتفات في الوان الثياب الى مراعاة درجة العمر . فلا يليق بالمرأة المسنّة ان تشارك الحديثات في ما يلائمهنّ من الالوان . ولقد كانت العرب تميل الى الالوان الحمراء والخضراء والبيضاء . وسئل احدهم عن الثياب فقال: الصفر اشكل والحمر اجمل والخضر اقبل والسود اهول والبيض افضل . ومن

امثالهم : الحسن احمر .

وكانت فتيات الافرنج يلبسن قبـــل بلوغهن سن الرشاد ثياباً قصيرة الى مـــا تحت الركب بقليل . ومن سن الرشاد الى وقت الزواج يُطلن ثيابهنّ الى ما فوق الكعب بقليل ويسدلنَ شعرهنّ غالباً . اما بعد الزواج فيجعلنَ الثياب طويلة الى مـــا فوق الارض بقليل ويعقصنَ شعورهنّ على ضروب شتى . اما اليوم فقد خرجن عن هذه القاعدة المعتدلة ويا للاسف .

ملابس الرجال

يجب على الرجل ان يراعي حسن الهندام والاحتشام في لبسـه بحيث لا يجعل سبيلًا الى انتباه الغير اليهِ وانتقادهم عليه . اي ان يكون لبسه على غاية البساطة والكمال وبذلك يستوفي شروط الادب واللياقة .

قال الامبراطور شارلمان لرجال حاشيته: « دعوا الناس يعرفون قدركم من اعمالكم لا من ثيابكم، واتركوا الزينة والتبرج للنساء والحلل لايام الاعياد حين تُلبس للزينة لا للحاجـة ، فالعاقل من لا يحفل بالازياء كلما تغيرت ولا يجري وراءها كيفما تحركت بل يكتفي بالبسيط المحتشم . » وقد جرت عادة الرجال في اوروبا ان يلبسوا في صباح اوقات الشغل والعمل الثياب المتينة النسيج القليلة الرونق مع مراعاة شروط النظافة فيها ونظافة القميص الذي تحتها . لان نظافة الثياب عندهم من لزوم الضرورات سواء كانت في الثياب او في الشعر والاسنان والاظافر ويعتبرونها من اهم الشروط لحفظ مقامهم وصيانة مركزهم الادبي بين اقرانهم . فليس من التهـذيب في شيء

ان يذهب المرء الى موعد بملابس قذرة وجسم تنبعث منه رائحة العرق الكريهة .

ومن الخطإ الاعتقاد ان الروائح العطرية يمكن ان تقوم مقام الصابون اذا لم يتح للرجل او للمرأة الوقت الكافي لاستبدال ملابس نظيفة بثياب قذرة .

الاهمال

ومن التصرفات المخالفة لآداب السلوك الاهمال .

فالانسان العديم الترتيب يهمل هندامه ولا يعنى بنظافة جسده فتراه متعامياً عن تجعد لباسه وقذارة طوق قميصه وعن تراكم الغبار على حذائه . ويتجلى الاهمال في اعماله اليومية فيغفل الجوهر ليعنى بالعرض .

لبس المساء

أما في المساء فيلبسون جميعاً الثياب السوداء الكاملة ولو كانوا داخل منازلهم كما لو كانوا ينتظرون قدوم الزوار والضيوف ، ويربون أولادهم على هذه العادات من الصغر حتى تصير فيهم ملكة في الكبر .

ولبس المساء في ليالي الاحتفالات والولائم او في الاجتماعات الرسمية هو اللباس الأسود وربطة الرقبة البيضاء وكفوف الجلد البيضاء او الرمادية والحذاء الضيق الرقيق ، ومناديل جيوبهم تكون بيضاء إلاّ من كان يتعاطى

منهم السعوط (النشوق) فيكون منديله ملونا .

والشائع في لبس الرجـال من الالوان الاسود والازرق والأسمر والزيتوني، اما بقية الألوان كالسنجابي والرمادي والألوان الممتزجة معاً فتعدّ من باب البهرجة .

ويستعملون الأثواب السمراء في فصلي الخريف والشتاء والزيتونيـة في فصل الصيف . ويدققون في تفصيل الثياب فلا يجعلونها واسعة فتعوق لابسها عن العمل ولا ضيقة فتمنعه عن الحركة .

ولما كان الرجال يختلفون عن النساء بنيـةً ووظيفةً وجب ان تختلف ملابسهم عن ملابسهنّ . فالرجال يعلقون اثوابهم باكتافهم والنساء بخصورهنّ اذ لا يناسبهنّ تعليق الأثواب بالأكتاف لما يجدنَ فيه من الألم .

ومما يحسن ذكرهُ ان الأزرار في ثياب الرجال تخاط على الجانب الأيمن . وبضد ذلك النساء فانهنّ يخطنَ الازرار في ثيابهنّ على الجانب الأيسر منها . ولم يعلم أحدٌ سر هذا الاختلاف بعد .

الموضة واضرارها

لقد اقتدى سكان بلادنا بازياء اهل المغرب العديدة المتنوعة اقتداءً اعمى، فلم يراعوا فيه شروط الصحة ولا اقتصاد المال بل تجاوزوا فيـه حدود الاعتدال حتى اصبح اقتباس الزي ضربـة لازب علينا ، فعاد بالضرر على الصحـة وخالف الذوق السليم . ومن ذلك ما هو شائع بيننـا من تجمع الشعر في قمة الرأس ، كأن المراد اخفاؤه عن العيون حال كونه آية من

آيات الجمال . وحق الجميل الظهور لا الخفاء . فضلاً عن ان هذا التجمع في الرأس قد يذهب بالمناسبة اللازمة للجمال بين الرأس والوجه والعنق والبدن لأن تراكم الشعر يزيد في الرأس جرماً وفي العنق وينزع النسبة بينهما ، وكذلك طلي الوجوه والأعناق بالأصباغ والمساحيق سامة كانت او غير سامة وكحل المُقل وتحمير الشفاه وتخضيب الراحتين والأظافر (المانيكيور[1]) وتزجيج الحاجبين فتصبح المرأة شبيهة بتمثال من الجبس او ضرباً من المساخر التي تستتر تحت وجوه عادية. ولتعلم العاقلات ان الرجال الذين يتظاهرون بالسجود لتلك الأصنام المزوّقة يأبون أن تكون اخواتهم في عدادهنّ . والأدباء بينهم يرفضون ان يتزوجوا بمن كانت منهنّ متبعين قول الشاعر الحكيم :

دع رونق الخَلْق وانظر رونق الخُلُقِ
حُسنٌ بلا أدبٍ زهرٌ بلا عَبَقِ

ومنها الافراط في استعمال العطور وانواع الطيب القوية الرائحة كالمسك

---

١ لم تكن عادة تلوين الوجه بالطلاء الأبيض والأحمر شائعة بين نساء العرب في الجاهلية، بل كنّ يذررنَ الاثمد على شفاههنّ واللثات وهي مغارز الاسنان ويستعملنَ الوشم وهو تخطيط البشرة بصور حيوانات وازهار ونجوم وغيرها ويخضبنَ أظافر اليدين والرجلين بالحناء ويكتحلن بالاثمد .

أما في الاسلام فقد اخذت السيدات العربيات عادة تحمير الشفتين والخدين وكثيراً من أدوات التجميل عن الحسان الفارسيات في عهد الأمبراطورية العربية وذلك لاختلاط الفرس بالعرب اختلاطا وثيقاً . وهكذا عمّت هذه العادة الغرب فالشرق .

والزَّبَد ونحوهما مما يضعف المجموع العصبي، وليس هو من شيم المرأة الرصينة[1].

ومنها المشدّ الكثير الضرر الذي يضغط الصدر ويضيق على الأحشاء فيورث الأسقام ويعجل الردى .

ومنها تعرية الصدر والعنق والذراعَين في الليالي الباردة (الديكولتيه) وكذلك نفخ الأكمام وتثقيل الاعجاز بالكشاكش والطيّات والشرائط الطيارة الى غير ذلك مما يذهب بملاحة القد ويخلُّ باعتدال القوام .

ومنها ثقب الآذان وتعليق الاقراط الكبيرة بها . والافراط في الحلى والعقود الثقيلة حول العنق وعلى الصدر. ولبس الخواتم الكثيرة في الاصابع والأساور والدمالج في المعاصم ووضع الخزام في الأنف ووشم الجلد[2] ولبس الأحذية الضيقة التي تضغط القدمين فتصيب لابسها بالآلام المبرّحة . وكذلك تطويل الكعاب وما يتأتى عنه من الأذى في العظام والتعب لأقل حركة وقبح المشية فتدبُّ الحديثات دبيب الشيوخ بين المتمدنين ، حتى اصبحت الموضة عند أهل بلادنا تنحصر في مقاومة سنن الطبيعة وابدال الصفاء بالكدر والصحة بالسقم وتقصير العمر وتعجيل الأجل . ولا يبعد ان يتجرعوا السم عن طيب نفس لو قيل لهم ان تجرعه آخر موضة وردت من باريس . فتأمل .

---

١ وهذه ايضاً من عادة النساء البدويات في الجاهلية ، فقد كان لكل واحدة منهنّ قشوة طيب لا تفارقها اينما سارت وحلّت . وعنهن اخذ هذه العادة النساء الحضريات باستعمال العطور والأطياب ورجالهن ايضاً حتى اليوم .

٢ وكذلك قد اخذت نساؤنا هذه العادة من نساء الجاهلية ، فبالغ في اتقانها اهل المغرب واقتدى بفعلهم اهل الشرق .

الفصل الرابع

آداب سلوك المجتمع والعادات الادبية

للسلوك في المجتمع آداب وتقاليد وتطورات وقواعد تختلف باختلاف الاقليم والبيئة .

وآداب السلوك في البلدان المتمدنة اصبحت اليوم واحدة ، يسير بموجب قواعدها الغني والفقير ، الامير والصعلوك. ولم يبق ادب السلوك في المجتمع وقفاً على فئة دون اخرى .

في التعارف

التعارف من الفنون الدقيقة ذات القواعد الناعمة التي اذا أُهملت كانت دليلًا على عدم الالمام باصول آداب السلوك. فكثيراً ما تقام حفلات الشاي الانيقة ولكنها لا تنجح او يسودها الفتور . وما ذلك الا نتيجة جهل الداعي او الداعية فن التعارف . وكثيراً ما تلتقي جماعتان على مائدة واحدة او في بيت واحد دون ان يعرف بعض افرادهما بقية زملائهم فيحدث من الارتباك ما لم يكن ليحدث لو أن بين الموجودين شخصاً يعرف اصول هذا الفن فيقوم بمهمة التعارف بين الفريقين .

وعليه فان تعريف شخص بآخر وذكر مركز كلٍّ من المتعارفين واجب يطالَب به المعرِّف اذ يصبح كالضامن او الكفيل لأحدهما باهلية الآخر للتعرف به.

ولما كان من آداب المرء ان لا يحادث من لا معرفة له به وجب في الاجتماعات والزيارات وعند الاصحاب ان يعرِّف الحاضرون بعضهم بعضاً. واذا لم يكن التعارف حاصلاً في ما بينهم قام بهذا الواجب ربة او ربّ المنزل على الطريقة الآتية:

يقدم من هو اصغر لمن هو اعلى مقاماً او سناً، فيقدم الشاب للرجل، والرجل للشيخ، والفتاة للسيدة، والسيدة للشيخ او لذي المنصب الرفيع. وعند مساواة العمر والمقام يقدم الشاب او الآنسة للمتزوج او المتزوجة.

والعبارة المصطلح عليها غالباً عند التعريف هي قول المعرِّف: اني اقدم لحضرتكم فلاناً او اني اعرفكم بالسيد فلان. او أن يقول فقط: جنابه او حضرته فلان او فلانة.

وبنفس العبارة يقدم الاكبر للاصغر ما لم يتفاوت الفرق كثيراً بين الشخصين فلا يبقى من حاجة الى التعريف به لان شهرته تعرِّف عنه كالاسقف مثلاً او المفتي او الحاكم.

التعارف بعد الاستئذان

اذا طلب اليك صديق ان تقدمه الى آخر لا يعرفه فعليك اولاً ان تتقدم الى الشخص الذي تريد ان تعرِّفه بصديقك فتسأله هل لديه ما يمنع من تحقيق الرغبة.

والحالة الوحيدة التي يجوز ان يقع فيها التعـارف دون سابق استئذان هي الحفـلات الراقصة اذ يجوز فيها ان يقـــدم الانسان صديقـاً له الى سيدة لا يعرفهـا هذا الصديق . والطريقة المتبعة في قواعـد آداب السلوك العصري هي ان تقدم الرجل الى السيدة وليس لهذه القاعدة الا استثناء واحد عندما يراد تقديم سيدة الى ملك . وعندما تقدم صديقاً الى سيدة عليك ان تقول لها : « اسمحي لي ان اقدم لك فلاناً . » ويشترط في التعـارف ان ينطق المعرّف بالاسماء بوضوح وافصاح حتى يعـــلم كل من المتعارفين اسم الآخر ، واذا فات احدهما ذلك وجب عليه ان يطلب من المعرّف تكرار الاسم . فاذا مـــا تمّ ذلك التعارف حنى كل من الطرفين رأسه للآخر انحناءة خفيفة .

ويفرض على المعرف ايضاً ان يأتي على ذكر الالقاب والرتب والمهن مع اسماء المتعارفين كما لو كان طبيباً او قاضياً او عالماً او أستاذاً او مؤلفاً مع ذكر تآليفهِ .

واذا كان المراد تعريف عدة اشخاص بشخصٍ واحد فيقدم لهم الشخص اولاً ثم يذكر المعرّف اسماءهم بالتتابع منحنياً قليلاً كلما ذكر اسماً .

آداب التعارف

اذا اجتمعت بمن لا تعرفه في مجلس او قابلته في طريق وكان هناك ما يدعو الى مخاطبتهِ يجب اولاً ان تسأل عنه وتتعرف اليه قبل محادثته بواسطة احد اصدقائك او تعرّفـه انت بنفسك بعبارة تدلُّ على تربية عاليـة ونفس

شريفة. ثم تشرح له ما حملك على التعرف به وتسأله بأدبٍ ولطف في اثناء الحديث عن اسمه دون ان تذكر له ما يسوءُه ويجرح كبرياءه .

ويحسن عند تعريف شخصين ان يذكر لكل منهما بعض اوصاف الآخر ليكون على بينـة من امره . واذا دعيت الى تقـديم امرىءٍ الى آخر فلا تقدمْ على ذلك الاّ اذا ايقنت انهما يميلانِ الى التعارف ، وان في تعارفهما ما يسرهما ولا يستوجب استياء احدهما .

واجتهد في عدم تقديم الناس بعضهم الى بعض في الطريق مصادفةً ، فقد لا يستحسن ذلك كل من المتعارفين او احدهما ويعدهُ طيشاً وحماقةً .

واجتنب التعرف باشخاص يُخجل من معاشرتهم . ولا تعدل عن مصاحبة شخص الاّ متى رأيت منه سوء السلوك وعلامات الجفـاء فحينئذٍ يجب ان تتمسك برسوم الجد والرزانة في محادثته . قـال الحكيم : لا تخالط سيّىء الخلق الا بقصد تهذيبه . ولا تعاشر الاحمق الاّ لتعليمهِ الحلم . ولا ترافق الشريرَ الاّ لاصلاح حاله . فان هذه الرذائل مضادة للآداب والفضائـلِ . واهلها كالمصابين بداءٍ خبيث معدٍ لو خالطتهم فشا فيك داؤهم . ولذا قيل:

اذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

التعارف عند الافرنج

يعدُّ الافرنج تعريف شخص بآخر وذكر مقام كل منهما واجباً يطالَب به المعرف كأنـــه يضمن لاحدهما اهلية الشخص الآخر للتعرف به . فهم

يحذرون من الاقدام على هذا الامر الخطير قبل ان يتحققوا مما يلي :

اولاً : انهما متلائمان في الصفات والاخلاق ، متفقان في الذوق والمشرب.

ثانياً : ان كلا منهما يرغب في التعرف بالآخر .

وهاك بعض ما اصطلحوا عليه من شروط التعارف :

١ - اذا كان الشخصان المراد تعريف احدهما بالآخر يختلفان في الجنس فقدم الرجل الى المرأة . واحذر من تقديم المرأة الى الرجل احتراماً لمقامها حتى ولو كانت رتبة الرجل في المعيشة اعلى من رتبتها .

اما العبارة المصطلح عليها عند التعريف فهي قولهم : سيدتي فلانة اسمحي لي ان اقدم لحضرتك فلاناً . او صديقي فلان يريد التشرف بمعرفة حضرتكِ . وعندئذٍ ينحني كل منهما للآخر مكرراً اسم الذي تعرف به . ثم يضيف الرجل الى ذلك قوله : اني سعيد بمقابلتكِ او يسرني جداً ان اتعرف بكِ الخ ...

ويحسن بالمعرف ان يذيل عبارته ببعض الكلمات التي تكون مفتاحاً لتبادل الحديث بين المتعارفين كقوله : سيدتي فلانة اسمحي لي ان اقدم لحضرتك فلاناً وقد جاء اخيراً من الجهة الفلانية ، او اعرّف حضرتكِ بالسيدة فلانة زوجة فلان مؤلف كتاب كذا ، او الموظف بمصلحة كذا ... ليتسنى لهما في الحال ان يبتدرا الحديث عن تلك الجهة او ذلك الكتاب او تلك المصلحة . ومتى تعرف الرجل بالسيدة ينبغي له ان يستهلّ الحديث معها . والقاعدة المطردة في ذلك هي ان الشخص الذي يقدم الى الآخر هو الذي يبدأ بالحديث .

٢ — اذا لاقيت شخصاً في منزل احد الاصدقاء ولم يعرّفكما ثالث فلا يجوز لكما ان يحيي احدكما الآخر عند المقابلة بعد ذلك .

٣ — اذا سرت مع صديقٍ لك والتقيت بصديقٍ آخر فلا تسرع في تعريف احدهما بالآخر الاّ اذا اقتضت الحال ذلك .

٤ — اذا دخلت غرفة فيها سيدات لا تعرفهنّ فانحنِ لهن فقط. واذا تعرفت بهنّ بعد جلوسك فانهض ثانيةً وانحنِ . واذا تعرفت برجال فتقدم نحوهم وصافحهم .

٥ — عند التعارف لا تنهض السيدة للرجل الاّ اذا كان كبير السن او ذا مقام رفيع وارادت ان تكرمه لمنزلته . بيد انها تنهض لسيدة اخرى عند التعرف بها .

٦ — في السهرات العائلية لا تراعى واجبات التعارف بين المدعوين بل يكتفى عند قدوم احدهم بالانحناء للجميع دفعة واحدة .

٧ — اذا آنست منّ شخص في اجتماع وديّ علامات الرغبة في التعرف بك فلا تتأخر عن التودد اليه .

٨ — اذا رأيت شخصاً في ضيق وكان في وسعك ان تساعده فلا تبطىء عن اسعافه . اذ ان واجب الانسانية مقدم على آداب التعارف في مثل هذه الاحوال .

٩ — يجدر بك ان تتحاشى بقدر الامكان اجراء التعارف في الاماكن العامة كمركبات سكة الحديد والترام وما اشبه اذ ان بعض الناس يرغبون عن ذكر اسمائهم . اما اذا اقتضت الحال ذلك فليكن على انفراد .

١٠ – ومن عادات اهل اسوج المستحسنة ان من يعرِّف صديقاً بآخر يكون في مقام الكفيل لصديقه فيقول عند التعارف ما معنـاه : اسمح لي أن اقدم لك صديقي فلاناً .... فاذا خدعك كنت انا المسؤول .

رسائل التعارف

يجب ان تكون مختصرة وشاملة لاسم حاملها ولقبه وعنوانـه وموضحاً بها الغرض المقصود من كتابتها . ولا يسوغ تسليمها الى حاملها مختومة بل مفضوضة لاسباب ، منها :

١ً انه ربما كان يريد ان يطلع على فحوى ما كتبته عنه .

٢ً اظهاراً لخلوص نيتك من جهتهِ .

٣ً لان ما يدوَّن في مثل هذه الرسائل يقتصر على تعداد مناقب الناقل له ومدح اخلاقهِ .

٤ً لخلوها من الاسرار والاخبار الخصوصية .

الفصل الخامس

في الزيارة – بطاقة الزيارة

ان لكلٍّ من الزائر والمزور واجبات تقضي بان تتبع بحكمةٍ ولا تُهمل لئلا يلام فاعلها. فالواجبات تقضي بان تزور اهلك ومعارفك مرَّةً على الاقل في السنة او تترك لهم بطاقة الزيارة وذلك لتداوم على صداقتهم .

انواع الزيارات

انواعها كثيرة منها رسمية . ومنها عائلية . ومنها احتفالية كزيارة التهاني والتعازي والشكر والعطف والافتقاد والوداع الخ .

وقد قسم الفرنج الزيارات الى نوعين : اضطرارية واختيارية . فالاضطرارية تشمل :

١ – زيارة من يدعوك الى طعام بعد تناول الطعام على مائدته . فاذا لم يتيسر لك اجابة دعوته وجب عليك ان ترسل كتاباً تعتذر به اليه .

٢ – زيارة من يدعوك الى ليلة ساهرة او حفلة راقصة . فيجب ان تكون هذه الزيارة في الاسبوع الاول بعد السهرة او الحفلة .

٣ – زيارة صديق لتهنئته بفوزٍ او نجاحٍ نالهُ . او لامرٍ يستدعي

التهنئة والمباركة لهُ .

٤ – زيارة عقب وفاة احد المعارف .

٥ – زيارة العروسين بُعَيد الاقتران .

٦ – زيارة الوالدين والاقارب واعز الاصدقاء يوم رأس السنة .

وكل ما خلا ذلك يُعَدُّ من باب الزيارات الاختيارية .

وقت الزيارات ومدتها

افضل وقت للزيارات في النهار من الساعة الثالثة الى الخامسة بعد الظهر . اما زيارة المساء فلا يجب عادةً ان تتعدى الساعة العاشرة . اما اذا عين شخص وقتاً لقبول الزيارات فلا بدَّ من الحضور اليها في الوقت المعين . واذا دخلت الدار ودعيت للانتظار في غرفة الاستقبال فلا تتفرس كثيراً في كل شيء ولا تنظر خلسةً تحت المقاعد والموائد كأنك تبحث عن شيءٍ مفقود .

الزيارة الرسمية والاحتفالية

يتبادل الزيارة الرسمية صغار الموظفين مع رئيسهم في يوم معين . ويتبادل الزيارة الاحتفالية القواد او الحكام او رؤساء الدين، وهذه الزيارة تكون في الاعياد الكبيرة ولدى الحل والترحال . ومن شروطها ان تقضى في خلال ثمانية ايام . ولا تزر احداً في وقت المطر الاَّ في مركبة مقفلة

حتى لا تدخل المنزل وثيابك متبللة او نعلاك ملوثتـان بالوحل لان ذلك يُعد من النقائص .

زيارة التهنئة

في زيارة التهنئة بخطبةٍ او زفـاف او مولود ينبغي ان تدخل منزل صديقك بنفسك وتهنئه تهنئة خالصة من التكلف والتصنـع . وتكون هذه الزيارة قصيرة الاجل وقبل ساعة العشاء. وقد تقوم البطاقة مقام الشخص في مثل هذه الزيارة اذا حال ما يمنع حضوره .

زيارة التعزية

ينبغي ان تكون قبل مضي الاسبوع الاول من حـدوث الفاجعة اذا كنت من معارف عائلة الفقيد، والا ففي يوم الدفن اذا كنت صديقاً حميماً لهم . ويجب ان تتوجه بنفسك للتعزية ولا تكتفي بارسال بطاقة الزيارة . ويجب ان تكون لابساً حداداً . وتحاشَ ايراد عبارات من شأنها تشديـد وطأة المصاب على ذويه . أما معارف الفقيد الأباعد فيتركون بطاقة الزيارة يحيط بها خط أسود رفيع .

الزيارة الشكرية

من دُعيَ الى وليمة أو الى زفاف او عماد او احتفال او من نال نعمة او اسعافاً من لدن آخر وجب عليه زيارة من دعاه او انعم عليه شكراً له

على دعوته او نعمته . وهذا النوع من الزيارة يتناول واجب الآباء لاساتذة أولادهم شكراً لهم على عنايتهم بهم وتعبهم أمامهم .

الزيارة العطفية

تتناول زيارة المصابين والمنكوبين وهي واجبـــة لتعزيتهم وتسليتهم واسعافهم مع محاشاة التأنق في الملبس . ومن أدب الزائر اذا شاء الاطلاع على أحوال المصاب الأدبية والمادية أن يفعل ذلك بوداعة ولطف مشفقاً عليه كعضوٍ مصاب من أعضاء الجسم البشري .

الزيارة الافتقادية

واجبة للصديق المريض لان فيها تعزية له . فان كان المريض في مصحّ ٍ يستطلع العائد الممرضة عن أحوالهِ ويرجوها ان تبلغ المريض زيارة صديقه له . أمّا اذا كان المريض في بيتهِ وكان الدخول عليه ممكناً فلا بأس من مواجهته عـلى شرط ان يقصّر وقت الزيارة ما لم يكن في طولهـا افادة للمريض . أما اذا كان مرض الصديق سارياً فيجب الاكتفاء بسؤال خادمه أو أهلهِ عن أحواله دون مقابلتهِ . ولا يجوز الدخول على أي مريض كان ولا الاقتراب من سريرهِ لئلا ينزعج المريض ولا سيما اذا كانوا جماهير . بل الرأي أن يعودوه واحداً واحداً او اثنين اثنين حتى الثلاثة تجنباً لضرر الطرفين. ولكن اذا منعت صديقاً اشغال له من زيارة صديقهِ المريض وجب

عليه ان يكتب اعتذاراً عن زيارته . ومن آداب الزائر العائد في كل حال ان يكون مسلّياً معزّياً للمريض .

الزيارة الوداعية والترحيبية

تقوم الزيارة الوداعية بوداع صديقٍ أو قريبٍ او جارٍ أو راحلٍ . والترحيبية لمن يحلّ في الجوار ويقدم اليه . وليس لمثل هذه الزيارات ضابط أو نظام بل الذوق فيها اولى حكم . والعادة عند الغربيين ان يقوم الراحل او القادم بزيارة وتوديع أهل المحل الراحل عنه أو القادم اليه .

آداب المزورين

يقضي أدب المعاشرة ان يكون المرء على استعداد لاستقبال الزائرين، فلا يحسن بأرباب المنزل سيدة كانت او سيداً ان يبطئوا باستقبال الزائر حتى لا يطول انتظاره، وعليم ان يرحبوا به ببشاشة وينقطعوا عن كل عمل لدى مقابلته فيقوموا بمحادثته ومؤانسته، لان الضيف يستحق عناية مضيفهِ وانقطاعه عن عملهِ موقتاً وانصرافه الى اكرامه. وإذا كان عندهم زوّار وهو يجهلهم فعليهم ان يعرفوهُ اليهم وان يجلسوه في صدر القاعة . وعليهم لدى انصرافه بعد اتمام الزيارة ان يودّعوه كما استقبلوه بحيث يخرج قبلهم من باب الدار .

آداب الزائر

من أدب الزائر ان تكون ملابسه مرتبة نظيفة، فاذا دخل المنزل يعلّق

في العلاّقة قرب باب الدار او في الغرفة الخارجيـة من المنزل مظلّته أو عصاه او مشمعه أو رداءه (كبوته) وقبعته. أمّا السيدات فيظللن لابسات الرداء والفرو او الغطاء والقبعة حتى ترفعهما عنهن ربة المـنزل. وأول من يسلم عليهم ربة المنزل أو صاحبه ما لم يكن هناك رئيس ديني فيسلم عليه أولاً ثم على أرباب المنزل ثم يبدأ بالسؤال عن صحة أرباب البيت والاصدقاء. ولا يحسن بالزائر ان يصحب معه كلباً الى غرفة الاستقبال (تشبهاً بالغربيين) فربما كانت اقدامه ملوثة بالوحل فيتلف الفرش، او ربما نبح على أحد الحضور فيكدر أهل الدار، او ربما ربض على ثوب سيدة أو وثب على مقعد نظيف أو هرّ على قطة البيت وأقلق السكان خصوصاً وان بعض النـاس ينفرون طبعاً من رؤية الكلاب. وكذلك لا يحسن بالوالدات ان يأخذن أطفالهن معهنّ اذا زرنَ نهاراً، فالوالدة تكون في قلق دائم لئلا يفعل أولادها أمراً مضراً او يتلفوا كتاباً أو صورة أو يتفوهوا بكلمة لا تليق بالمقـــام وتضطر صاحبة الدار الى الانهماك بارضائهم واسكاتهم. وليس من الأدب ان يصحب الزائر غريباً لزيارة اناس لا معرفـة له بهم. وليس من الأدب أيضاً ان يمس الزائر شيئاً من أثاث البيت أو أن يتطاول لقراءة ما بيد مجالسيه من رسائل وخلافها أو يلهو عن سماع حديثهم او ما يُقرأ على مسامعهِ من قصةٍ أو صحيفةٍ او يجاوب على سؤالٍ غير موجه اليه. وليس من ادب الزائر أيضاً ان يخـلي المحل لغيرهِ اذا كثرت الزوار وضاق بهم المقام، ولا ان يخرج حالما يدخل غيره لئلا يزعج مزوريه باستقبال واحـد ووداع آخر معاً بل يتحين فرصة مناسبة ويقوم فينحني تجـاه الحاضرين ويخرج

مودعاً أرباب المنزل لا غير .

في ما يقدم للزائر

جرت العادة عندنا في الشرق ان يقدم للزائر بعد وصوله شيءٌ من مشروبٍ حامٍ في الشتاء كالكونياك وغيره على طبقٍ مع شيء من النقل. وفي الصيف شيء من شراب حلو كالليموناضة أو شراب الموز والبنفسج أو التمر الهندي . وقد تقدم البيره أحياناً . وأفضل وقت لتقديمها عند العصر، ويقدم معها شيء من المقددات او المكسّرات الحلوة . أما في الحفلات المهمة فتقدم بعد الظهر مشروبات كالشارتريز والروم والبرندي وغيره مع القهوة واللفائف لمن يدخنون. ويؤتى بكرسيٍّ صغير مخصوص وعليه مرمدة وعلبة ثقاب لاشعال اللفائف .

أما الشاي فيقدم غالباً بعد الظهر أو في آخر السهرة . فيؤتى بالفناجين على طبق كبير عليه غطاء أبيض وللفناجين صحون خاصة بها والى جانبها ملاعق صغيرة ووعاء للسكر وملقط صغير متقن لتناول قطع السكر . ثم يتناول كل من الحضور فنجانه فيضع فيه قطعة من الليمون الحامض أو يصب في الشاي الحليب، ويؤخذ مع الشاي البسكوت والكاتو (أقراص حلو) او بعض حلويات عربية .

وقد اصطلح الافرنج على تقديم الشاي للزائرين بين الساعة الرابعة والخامسة مساءً في فناجين كبيرة، ويقدم معه على طبقٍ آخر وعاء السكر وابريق الحليب مصحوباً بالخبز والزبدة او البقسماط (البسكوت) .

بطاقة الزيارة

هذه البطاقة من اختراعات بلاد الصين. وقد اصبحت اليوم من ضروريات التمدن . انتشرت كثيراً بين الافرنج واقتبسها أهل بلادنا عنهم. وشكلها أبيض مصقول مربع او متطاول يكتب عليها الرجل اسمه ولقبه ووظيفته من غير أن يشفعها بألقاب التفخيم .

طريقة استعمالها : تُستعمل هذه البطاقة في الاعياد والتعارف والزيارات والتهاني والتعازي وغيرها، فاذا قصد أحدٌ زيارة صديق ولم يسمح له الوقت بالاقامة عنده مرَّ على منزله وترك له بطاقة الزيارة بعد ان يطوي طرفها الاعلى من جهة اليسار . أما في زيارة التعزية فيطوي طرفها الايمن . وإذا طويت في وسطها دلت على انها تشمل العائلة كلها . ولا تبعث هذه البطاقة الى الاصدقاء مع الخادم إلا في الاحوال الآتية :

١ – الاعلان بارتحالك عن البلد .

٢ – الاخبار بقدومك اليه .

٣ – القيام بالشكر لمن يسأل عنك .

ولا يسوغ إرسالها الى الاصدقاء بالبريد ضمن ظرف الا في رأس السنة ويجب ان يكون الظرف من شكلها أو أكبر منها فتلَفّ بورقة نظيفة وتودع الغلاف . ولا يجمل ان يكتب صغيرٌ الى كبير على بطاقة .

وقد جرت عادة الأشراف وأمثالهم في أيام الاعياد ان يحفظوا دفتراً

مخصوصاً يكتب فيه اسمه كلُّ من جاء لزيارتهم . أما النساء فلا يكتبن أسماءَهنَّ بل يتركن بطاقة الزيارة لصاحبة الدار .

وبالاجمال فآداب الزيارة تقضي بان كل زيارة أو دعوة يجب ان ترد لأصحابها اذا لم يكن شخصياً فببطاقة الزيارة . وإذا شاء أحدهم السفر أخبر معارفه بذلك فيرسل بطاقة الزيارة اليهم وعليها هذه الاحرف الثلاثة بالفرنسية .P. D. A اي لأجل التوديع Pour dire adieu . ومتى عاد أخبرهم كذلك ببطاقة يكتب عليها عنوانه ليهتدوا الى زيارته وتهنئته بالرجوع . وفي التهاني بالاعياد وغيرها لا يسوغ للمرأة ان ترسل بطاقتها الى الرجال بل الى النساء صديقاتها . ولذلك قد يطبعن لانفسهن بطاقات خاصة لهنَّ عدا البطاقات التي عليها اسم الرجل وزوجته معاً. والفتاة لا تطبع باسمها بطاقة ما لم تستقل بحياتها او اذا كانت يتيمة. وقد يكون لجملة اخوات بطاقة واحدة كما يكون لسيدة ورجلها .

اما بطاقة الزيارة التي ترسل الى منزل فيه مريض فيجب ان تصحب بالاستفهام شفاهاً عن حالة مرضه. والبطاقة التي يبعث بها مع الهدايا يجب على المهدى اليه ان يعلن قبولها بالكتابة لا بارسال بطاقة الزيارة .

الفصل السادس

التحية والسلام

التحية في الاصل عادة توارثها الناس من زمنٍ إلى آخر .

وكانت قديماً علامة الخضوع والخشوع للاعلى . ثم اختلفت أنواعها باختلاف الاشخاص الذين تلتقيهم أو تدخل عليهم .

وكان الشرقي يخلع حذاءه في اسطوانة القاعة قبل اداء التحية .

ومن حسن التهذيب ان تبادر الناس بالتحية قبل ان تفاتحهم بشأن من الشؤون . واذا كنت معتمراً بقبعة يحسن بك ان ترفعها وانت تتخطى العتبة.

وليس من التهذيب في شيء ان تحيي شخصاً ذا مكانة مرموقة بمس طرف قبعتك ، او ان ترفع القبعة او تنحني اجلالاً اذا مرّ بك خادم او وصيفة او من هم دونك مقاماً .

اما اليوم فالعادة ان يسلم الرجل على صديقهِ مصافحةً . والمصافحة يجب ان تكون باليد اليمنى التي يعبرون عنها بقابضة السيف . وتقديمها للصديق رمز الى الامان. فيقبض الصديق على كف صديقه ويهزها بلطف ثم يتركها. وليحترس من الافراط بذلك لئلا يخلع يد صديقه من المعصم او يضغط عليها بكل قواه فيؤلمه . ويجب ان لا يصفعها بقوة فيسمع لها صوت او دوي .

ومن العيوب في التحية مدّ اليد اليسرى الاّ عند التسليم على شخصين في

وقت واحد او اذا كانت اليد اليمنى مشغولة او معتلة. ومن سيىء العادات ان يسلم الرجل على رفيقه بمس" يده مساً خفيفاً باطراف اصابعه او بمد اصبعين فقط من يده . فهذا النوع من التحية يدلُّ إمَّا على كبرياء وإمَّا على قلة فهم. وفي السلام على السيدات ينبغي ان ينتظر المسلم ان تمد السيدة يدها اولاً ما لم يكن هو ذا منزلة رفيعة . ومعنى مدّ يد السيدة اولاً ان بالرجل رصانةً وادباً جعلا لها بـه ثقة . والسيدات عموماً لا يمددن الايدي للرجال اثنـاء سيرهنّ على الطريق بل يكتفين باحناء الرأس رداً للتحية. اما داخل البيت فيجب على السيدة حتماً ان تقدم يدها للسلام على كل زائر يأتي منزلها. ومن العيوب المذمومة ان تحيي المرأة احداً بالغمز او بالاشارة . امـا في السلام بين الرجال فقد فوضوا امر مدّ اليد وعدمه الى الاكبر سناً ومقاماً ولذلك وجب على الصغير ان لا يمد يدهُ قبل ان يمد الكبير يده اليه . واذا دخل المنزل رجل فلا يسلم على الاصدقاء ولا سيما على السيدات والكفوف بيديه بل يجب ان ينزعها من يده اليمنى عند السلام . واذا التقى احـدٌ بآخر في الطريق فلا يبادله التحية بلطمة على الظهر او لكزة في الضلوع او لكمـة على الكتف او بكلمة تعجب او بعبارة فارغة .

وأصل التحية عادة قد توارثها الناس من زمنٍ الى آخر . وكانت قديماً علامة الخضوع والخشوع للاعلى ثم اختلفت انواعها. فاذا دخل الرجل مكاناً نزع قبعتـه . والشرقي يخلع حذاءه ، والمراد بخلعه ان الارض التي تداس طاهرة . وفي رأي البعض ان المصافحة بهز الايدي اصلهـا محاولة كل من المصافحين ان يأخذ يد صاحبه ويقبلها كما يقبـل اليوم صغارنا ايدي من هم

اكبر منهم سناً او شأناً ثم ابطلوا هذه العادة وصاروا يهزون ايديهم هزاً وتدرّجوا من اخذ اليد وتقبيلها وجذبها وادنائها من الفم الى الاكتفاء بهزها .

مزاعم الشعوب وعاداتهم في التحية

يذهب فلاسفة الافرنج الى ان كشف الرأس وقت التحية يشير الى تعرية البدن كله وهي علامة التذلل والخضوع ، فان الطغاة الاولين كانوا يعرون من يتغلبون عليه لكي يصغر جسمه لان اللباس يكبر الجسم . ويزعم بعضهم ان احناء الرأس عند التحية من علامات الخوف والتذلل ايضاً فانهما كانا يدعوان الانسان اولاً الى ان ينطرح على الارض رهبة وتذللاً ثم صار يجثو على ركبتيه ثم صار يكتفي بالانحناء ، وعلى كل فان احناء الرأس دلالة على الرضى والقبول والتسليم والخضوع كما ان رفعه دليل على الرفض والنفي والنفور . وبعض القبائل المتوحشة يحيون عظماءهم بتقبيل الارجل . وسكان سيبيريا الاقدمون كانوا يتمرغون في التراب امام رؤسائهم احتراماً لهم . وفي بعض جهات افريقيا يحيّي الرجل صاحبه بصفعة على خده او على قفاه . ومن قبائل زنوجها من تحيّي بتصفيق الايدي او بالركوع وبالتصفيق معاً . وغيرها بنقر الاصابع . وسكان النيل الاقدمون كان يحيي الواحد منهم صديقه بالبصق عليه . واهل جزائر ملقا يحيّون الاعلى بالجلوس ويخاطبونه جالسين . واهل بعض جزائر المحيط يديرون القفا لغيرهم تأدبا . وأهل غينيا يحيي بعضهم بعضاً بأن يعصر كل منهم انفه . ويقال ان قبيلة من الاسكيمو تحيي بان يقبض الرجل على انف صاحبه كمن يريد قلعه .

الفصل السابع

اداب المحادثة

المحادثة ملكة في النفس يخلق البعض بها ويعتادها البعض ويعجز البعض عنها . فهي رباط الهيئة الاجتماعية تتبادل بها النفوس الافكار وتظهر القلوب عواطفها . ومن كان لهُ موهبة الحديث فقد خُص بنعمة يغبط عليها . جاء في الامثال العربية : لكل مقام مقال . فسواء كنت ضيفاً او مضيفاً وجب عليك ان تراعي في حديثك ذوق الحضور وميولهم فلا تتخذ الكلامك موضوعاً يكرهون سماعهُ . وقال الحكم : زن كلامك بميزان الذهب اي لا تتكلم ما لم تدعُ الحاجة الى الكلام . وقد اشترطوا للحديث ثلاثة شروط وهي الفراسة والذاكرة والتهذيب اي ان يراعي المحدث مقام الذين يحدثهم ويكلمهم حسب اذواقهم وافهامهم . ويجدر بكل امرىءٍ ان يمرن نفسهُ على المحادثة كما يتمرن على الانشاء . لان المحادثة روح المعاشرة . ومن قوانين الحديث ان يكون مسلياً خالياً من الخشونة لطيفاً بديعاً لا تكلف فيه ولا تصنع ، حراً نقياً من البذاءة ، رفيعاً عن الدنايا والعجب والفخفخة ، ملآن من الذوق السليم .

ولما كان كل انسانٍ ميالاً الى الحديث عن شؤونه الخصوصية فالاولى ان تحدث كلًا عن صنعتهِ وعما يتّجر به ويتعاطاه . واصغِ الى ما يحدثونك

به تمام الاصغاء ، لان حسن الاستماع شرط ضروري كحسن المحادثة ، ولا يكفي ان تكون مصغياً بل يجب عليك ان تبدي علامات القبول والرضى وامارات الموافقة والانشراح عند الاصغاء ، لان من لا يهتم بحديث غيرهِ لا يهتم غيره بحديثهِ . واذا مدحت فلا تطنب لئلا يحسب مدحك تملقاً . واعلم ان ما يدور من الحديث في منزلك يجب ان لا يقال في الخارج . واجتهد في تنويع ابواب الحديث وعدم حصر الكلام في موضوعٍ واحد مدة طويلة . ومن المواضيع التي يجب تجنبها في المجتمعات الحافلة الخوض في المسائل الدينية . فان الدين هو المبحث الذي تتضارب فيـه الآراء ويصعب كثيراً على المرء ان يمتنع عن الحدة فيه مدافعةً عن مذهبهِ ، وقد قال الشاعر :

كلٌّ يعظّمُ دينــه يا ليت شعري ما الصحيح ؟

وتجنب الاحاديث الخاصة بموضوع شغلك اذا لم يكن الحضور من الذين يهتمون بهِ . ولا تدّع بمعرفة اساليب الفنون الجميلة مثلاً لمجرد وقوفك على بعض مبادىء الموسيقى او لحضورك بعض المتاحف ومحلات التمثيـل لئلا يظهر قصورك فيسقط اعتبارك . واعلم ان من تزيّا بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه . واحذر الغيبة فانهـا من اقبح القبائح وهي ذكرك الانسان بما يكره فلا تتكلم عن شخصٍ غائب بما لا تجترىء ان تقوله لهُ في وجههِ فذلك يُعَدُّ جبناً وعيباً ، فالاديب المعشر يتحاشى جهدهُ ذم الغير ان بالوجه ام بالغيب فلا يقول الاَّ ما يرضي السامع ويجعله يصغي اليه . واياك وفضول الكلام فانها تخفي فضلك وتقلُّ اعتبارك وتملُّ اخوانك . فلا تقل الاَّ ما يطيب عنك نشرهُ ولا تفعل الاَّ مـــا يسطّر لك اجرَه . ولا

تتشامخ ولا تتغطرس وتحسب ان الله لم يخلق سواك كاملاً شريفاً ، فذا خُلقٌ ذميمٌ قبيح . ولا تظهر الاعتبار لغريب الدار وتحتقر اهلك واقاربك ، فهؤلاء اعوانك عليه اذا رام لك ضراً ، وهم لك كالثياب متى نزعتها عنك تعرضت لجميع عوامل البرد المؤذية . واياك والكذب في محادثتك فانهُ شعار الخيانة والتزم الصدق فانهُ حلية النطق . واكمل رجلٍ من يهمل كلمة انا ونحن مثل انا فعلت او نحن قلنا ، فالانانية نقصٌ في العقل والحديث . وينبغي ان لا تحتقر امرءاً لجهله علوماً انت خبير بها ، فالناس لا تتساوى في المعارف. وقد يعلم شيئاً تجهلهُ انت .

ولا تتعرض لشؤون محادثك الشخصية او العائلية . واعلم ان المزح الكثير يذهب المهابة ويورث الضغينة . وان اوّلهُ فرح وآخرهُ ترح . وانهُ يوغر صدر الصديق وينفر قلب الرفيق . والهزل مجلبة للبغضاء والافراط في المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة . واذا اكثرت من الفضول حسبك الغير لصاً يسترق الاسرار . وكذلك ليس من الادب ان تعنى امرأة او فتاة بالسؤال عن احوال شخص لا قرابة ولا صداقة متينة لها بهِ . ولا يليق بها ان تتحدث في المجتمعات عن خدمها وحشمها ، ولا بأمر ثيابها وانواع طعامها ومعيشتها الداخلية وعما قدّمتهُ لضيوفها من غداءٍ او عشاء لان ليس في ذلك سلوى للسامعين . فالمرأة التي يكون هذا شأنها هي غريبة عن كل هذه الآداب . وخطتها هذه تحطُّ كثيراً من قدرها فضلاً عن ان السامع حديثها يعتبرها قاصرة الحجة لا يتعدى كلامها ما تعملهُ من اشغال البيت مما يضجرهُ ويبرمهُ فتقلّ ثقتهُ بتثقيفها ورقيها .

الفصل الثامن

آداب الولائم والمائدة

يبدي الافرنج اهتماماً زائداً في معرفة رسوم الولائم ونظام آدابهم على الموائد والاعتناء بترتيبها ونظافتها . ويعتبرونها كالمحك الذي يعلمون به درجة تهذيب ضيوفهم ويحكمون بموجبهِ على كرم أخلاقهم وآدابهم .

الدعوة الى العشاء

تعتبر الدعوة الى العشاء من أهمّ الأمور التي يحسن معرفتها والالمام باصولها وقواعدها . فالدعوة الى العشاء تكريم لا يعدلهُ دعوة الى الغداء او الشاي .

وليس فن الدعوة الى العشاء سهلًا كما يبدو لأول وهلة بل ان نجاحها يتوقف على لباقة رب الدعوة ورتبتهِ الى حدٍّ بعيد .

ومن الواجب على الرجل الذي يَوَد ان يقيم في دارهِ حفلة عشاء او حفلة راقصة ان يولي زعامتها لزوجتهِ وإلاّ فسيّدة من قريباتهِ . فان لم توجد فلتكن زوجة أحد أصدقائه المقربين ويحسن بها ان تكون قد جاوزت سن الشباب قليلًا لتقوم بمهمة استقبال المدعوين والسهر على راحتهم .

احترام المواعيد

ضرب المواعيـد من أدقّ المسائل في العلاقات الاجتماعيـة . والتقيّد بالموعد من شيم كبار النفوس أياً كان مركزهم الاجتماعي .

والرجل المهذب لا يخلُّ بموعـدٍ ضربه إلاَّ لأسباب قاهرة . وفي مثـل هذه الحال يجب ان يخطّر الطرف الآخر قبل حلول الموعد المضروب .

فاذا اتفقت مع أحـدٍ على الاجتماع في مكانٍ ما ولم تحضر في الوقت المعين تكون قد خالفت قواعـد الآداب ومبادىء الذوق السليم ، لأنـك بتأخرك تكون قـد تصرفت بوقتٍ ليس ملكاً لـك ، واحوجت الطرف الآخر الى اضاعة دقائق في الانتظار قد تكون جد ثمينة .

موعد الدعوة

ترسل الدعوة لمثل هـذه الحفلات قبل ميعادها بخمسة عشر يوماً وذلك ليتمكن المدعوون من الحضور وليضمن رب الدار نجاح حفلته .

والدعوة التي توجّه في ميعاد كهذا لا يليق رفضها إلاَّ اذا وُجد عذرٌ حقيقي كمرض او سفر يجعل من المستحيل تلبية الدعوة في ميعادها المحدد ، لأن الاعتذار بغير ذلك يفهم منه انه تهرُّب مقصود .

أما الحفلات الصغيرة فليكن ارسال الدعوة اليها قبل ميعادها بخمسة أيام او ستة على الاكثر . ومن المستحسن ان تكون رقاع الدعوة مطبوعة ، على ان تراعى فيهـا البساطة وان يُكتب فيها ما يأتي : «يتشرف فـلان

وحرمهُ بدعوة فلان الى تناول طعام العشاء يوم كذا الساعة كذا » ويكتب العنوان على الطرف الأيمن ويكتب على الطرف الآخر عبارة R. S V P اي نرجوكم المجاوبة . وكثيراً ما يذكرون اسماء المدعوين في ورقة الدعوة حتى يكونوا على علم بالافراد الذين سيجتمعون بهم ، ومتى أجاب أحدهم عليها بالايجاب فلا يترك مانعاً يحول دون حضورهِ إلاّ إذا طرأ عليه حادث يمنعه ، فحينئذٍ يجاوب متلاطفاً موضحاً اعذاره وأسَفه مظهراً للداعي لذّته بتلبية الدعوة لولا الظروف القاهرة التي حالت دون اتمام رغبته .

ويجب ارسال الاعتذار او القبول في اقصر مدة ممكنة بعد وصول الدعوة . ولا يجوز ان تعتذر في آخر دقيقة عن الدعوة إلاّ إذا كان عذرك قوياً جداً . لأن مثل هذا الاعتذار يسبب متاعب كبيرة لربة الدار اذ من الصعب ايجاد شخص يحلُّ محل المعتذر في ساعات قلائل .

الوصول في الميعاد

ان اول امر يُلتفت اليه في الولائم هو المحافظة على الوقت بغاية الدقة ، فلا يحسن بالضيف ان يحضر قبل الميعاد المقرر إلاّ بخمس دقائق فقط لتتمكن ربة الدار من تقديم المدعوين بعضهم الى البعض الآخر .

ومن سوء التصرف ان يصل الانسان متأخراً اي بعد جلوس المدعوين الى المائدة فيسبب ارتباكاً في نظام الأكل ويكدّر مزوريه ويدعو بقية الضيوف الى انتقاده .

واذا نُصّ في بطاقة الدعوة على ان لباس السهرة الرسمي محتّم فيجب احترام هذا النص بأيّ حالٍ كانت .

عند الوصول

عند الوصول اخلع عنك معطفك وقفازك وقبعتك واعطها للخادم المنتظِر بالباب . وقد اعتاد الانكليز ان يكلفوا خدمهم اعلان اسم الزائر بصوتٍ عال .

يجب على الرجل أن يدخل وراء السيّدة التي ترافقه . وإذا كان معه فتيات صغيرات فينبغي له ان يفسح الطريق لهنّ في أول الأمر ليدخلنَ ثم يتبعهنّ .

آداب الجلوس

من أهمّ قواعد المعاشرة ، واول ما يجب على المرء الاحاطة به ، هو حسن الجلوس . ومن الآداب ان تلبث واقفاً بعد مصافحة الذين تزورهم ريثما يدعونك الى توسّد احد المقاعد . وعلى الزائر ان يتحاشى كثرة التململ على مقعدهِ كأن يضع ساقاً فوق اخرى ثم يمدّ رجليه الاثنتين او واحدة منهما. فكل ارتباك عند الجلوس يدلّ على نقص في التهذيب .

رفع الكلفة

ومن سوء التهذيب ايضاً ان تخاطب جليسك وانت تداعب ذراعه او

ازرار قميصه مهما تكن الكلفة مرتفعة بينكما . واحذر أن تـدني وجهك من وجهه وانت تتكلم اذ قد يكون لفمك رائحة غير مرغوب فيها. فالرجل المهذب يتجنب جهد المستطاع ازعاج جليسه ولو كانت رائحة المسك تنبعث من فمه .

قبل العشاء

ومن العادة تناول شيء من العرق او الوسكي او الجعـة قبل الأكل ، إمّا في غير غرفة المائدة وإمّا على المائدة نفسها. وأخذ هذا المشروب (المقبلات) خارج المائدة أفضل .

المائدة

ترتب المائـدة بعد تغطيتها بغطاء من النسيج الأبيض النظيف بوضـع مناديل و كؤوس وصحاف وسكين وشوكة وملعقـة أمام كل كرسي . فتوضع السكـين على جانب الصحاف الايمن والشوكة على الجانب الايسر والملعقة بينهما أمام الصحاف، ويوضع المنديل (الفوطة) وقطعة من الخبز في كل صحفة او يوضع الخبز الى اليسار . وكثيراً ما يزينون المائدة بالأزهـار ويوضع بينها آنية الفواكه .

دخول قاعة الطعام

قبل ان يجلس المدعوون الى مائـدة الطعام ، على ربة المنزل بمعاونـة

زوجها أن تذكر لكل منهم زميلة في العشاء .

ويلاحظ ان مقاعد الشرف يحتفظ بها للغرباء . أمّا الأصدقاء المقربون فلا داعي للتكلف بينهم . يبدأ بالدخول رب الدار ومعه أكبر السيدات مقاماً بين المدعوات فتجلس الى يمينه مباشرة . ويتحتم على كل رجل ان يلازم زميلته الى مكانها وينتظر جلوسها ثم يأخذ مقعده بعد ذلك، ومتى جلس عليه ان يأخذ قائمة الطعام بيده وينظر اليها نظرة سطحية ثم يقدمها الى زميلته الجالسة الى جانبه .

ويجب ان توضع لوائح كافية للطعام (menus) على المائدة ليتسنّى للجميع الاطلاع عليها واختيار أصناف الطعام التي يمكن أحدهم أن يتناولها.

آداب الجالس الى المائدة

من أدب المدعو ان ينزع الكفوف من يديه ويجلس بأدب وحشمة ، فينشر منديل المائدة (الفوطة) على حضنه . والبعض يعلّق طرف المنديل في رقبته وقاية لصدره ، او يدخل طرفه في عروة من عرى ثيابه، لكنها عادة قديمة قد أُهملت اليوم ولاسيما في الحفلات الرسمية ولم تعد تستعمل إلا للأطفال . ويقترب قليلاً من الخوان دون ان يجعل مرفقيه فوقه بل يجلس مستقيماً قليلاً ولا يتوكأ يمنةً ويسرة . وبعض السيدات يشبكنَ المنديل في ثيابهنّ بدبوس كي لا يسقط .

ومن العادة ان يبتدئوا بأكل الشوربا فتوضع أطباقها على المائدة قبل جلوس المدعوين . ويتولى أمر توزيعها ربة البيت فتعطي الجميع منها من

غير أن تسأل أحداً عن رغبته فيها لأنهم يعتبرون أكلها ضرورياً كأكل الخبز فلا يجوز رفضها، واذا لم يشأ احد ان يأكلها فيتركها أمامه حتى يأتي الصنف الثاني من الطعام. وتؤكل الشوربا من مقدم الملعقة لا من مؤخرها بدون ان تملأ ويسمع صوت في ابتلاعها. ومن عدم الأدب أن يطلب صحفة اخرى منها. ويقتضي الحذر من تقرقع الملعقة والشوكة بالصحن او ليّه لالتقاط كل ما فيه أو النفخ في الملعقة قصد تبريد الطعام فيتطاير الى الجيران من نفثات الفم او من الطعام ما يدعو الى الاشمئزاز. وكذلك ادخال كل الملعقة بالفم بل الأحسن ما يكون تناول الحساء شيئاً فشيئاً، وفي النهاية تترك الملعقة في الصحن فيأخذه الخادم.

واعلم ان العادة في أكل السمك لا تقضي باستعمال السكين لذلك بل يأكلونه بالشوكة فقط بمساعدة قطعة من الخبز في اليد اليسرى. ومن الآداب المحمودة ان لا تستعمل شوكتك او ملعقتك لمناولة شيء من صحفة عمومية، ولا تأخذ ملحاً أو زبدة بسكينك، ولا تقطع الخبز بالسكين بل باليد كسراً صغيرة، ولا ترفع الرغيف كله الى فمك لتقضم منه، ولا تقطع اللحم في الصحفة قطعاً صغيرة ثم تأكل بل اقطع قطعة واحدة وكُلْها ثم اقطع غيرها. ولا تحمل شيئاً الى فمك بكلتا يديك، ولا تقرض العظام بأسنانك وتمصّ ما فيها علانيةً، واذا أردت أن تلقيها من فمك فالقِها في ملعقة او شوكة ساتراً فمك بيدك وضعها على حرف الصحفة اذا لم يكن محل لهذه. ولا تمد يدك فوق المائدة لتتناول شيئاً على الجانب الآخر منها فتمرّ يدك او زندك أمام جارك او فوق صحفته، فيتلوث كمك منها وتزعجه، بل اطلب من

الخادم فيناولك اياه او من جارك القريب منه . ويُستقبح جداً وضع السكين او الأنامل في الفم وكذلك الأكل بالأصابع والمضغ بصوتٍ مسموع او ادخال الشوكة كثيراً في الفم . ولا يجوز مسح الصحون أو القدح او السكين او الملعقة والشوكة بالمنديل او بغيره لأن ذلك يُعتبر حطّاً من كرامة ارباب المنزل ودليلاً على عدم نظافتهم. ولتكن كمية الطعام في صحفتك متوسطة بنوع ان لا تكون الصحفة طافحة بها ولا قليلة فيها . ولا تكثر في شوكتك ما تتناوله منها. والحذر من جرف الطعام من الجاض جرفاً فيتوسخ حرفه ويوسخ المدعوين بل يؤخذ الطعام بالملعقة التي في الجاض . وكذلك احذر من ان تتبرع بالصحفة المقدمة لك الى غيرك أو تشاركه في صحفته . أو تكون عجلاً فتهرق الطعام على غطاء المائدة او على ثياب رفيقك. والعجلة في الأكل دليل على النهم وهذا مخل بالآداب فضلاً عن ان قلة المضغ تضر بالصحة . فينبغي ان يتم الأكل على مهلٍ ويمضغ جيداً بحشمةٍ ورصانة .

ثم لا تضع الطعام في حلقك قبلما تتحقق اعتدال درجته لئلا تضطر الى أكل ما لا تطيق بلعه فتحترق . او تغلط فتقذف بالطعام ثانية وتعيده الى الصحفة وهو من أقبح الأمور . واحترس من ان تضع على غطاء المائدة شيئاً من فضلات الطعام كالعظام وبزور الزيتون وقشور الفاكهة ، بل ضعها على جانب صحنك او في صحفة خاصة بها. واحذر الاكثار من الأطعمة والمشروبات فانه دليل على الحياة الحيوانية . ووضع شيء في الجيب مما كان على المائدة دليل الشراهة وقلة الأدب .

اما الاثمار والخضر فيتناولونها بالشوكة . والسوائل وما شابهها بالملعقة .

والبقول والفواكه ذات النـوى يراعى في اكلها ذوق الحضور فتتناول بالأصابع . وكيفية اخراج النواة من الفم، هي ان يغطى الفم باليد الواحدة وتلقى النواة في كف اليد الأخرى ثم توضع على حافة الصحفة . ولا يسوغ ان ترفض الخمر على المائدة إلا اذا كنت ممن لا يذوق المشروبات الروحية ابداً. ويجب عليك اذا دعيت الى مناولتها ان تسكب منها قليلاً في الكأس ثم تلتفت الى من دعاك اليهـا وتبدي له علامة الشكر بالانحنـاء الخفيف ثم ترفع الكأس وترشف منها ولو مصّة اذ لا يحسن شرب الكأس عن آخرهـا جرعة واحدة. وقد يضطر الجالس الى الطعام بحكم الطبع ان يعطس احياناً او يبصق او يمخط فيتوجب عليه ان يأخذ منديله من جيبـه ويعالج أمره بلطف لا ان يدني منديل المائدة من فمـه ، او ان يمسح به جبينه او يده من عرقٍ سببـه الحر مثلاً . لأن منديل المائـدة انما يستعمل لمسح الشفاه فقط . ولا يطوى عند الفراغ من الأكل بل يترك على الخوان . ومسح الفم لازم قبل الشرب وبعده . اما تنظيف الأسنان بالشوكة او بالأظافر او باللسان فمخلّ بالآداب فيجب ان تنظفها بسواك بعد الانتهاء من الأكل واضعاً يدك او المنديل على فمك .

ويستحسن شكر ربّة المنزل او ربّه على حسن ذوقهم في انتقاء ألوان الطعام وكيفية إعدادها . ولكن من الناس من يسرد للضيوف عن جودة كل صنف وموافقته للصحة والمعدة ونكاهة رائحته واتقان طبخـه او يشرح كل زجاجة من الخمر مفتخراً بشهرة معملها وغلاء ثمنها . ومنهم من يبـدي أسفه لعدم مقدرته على القيام بالواجب عليه ويظهر خوفه لئلا تكون الأطعمة

على غير ما يرام. فكلا الأمرين عيب . والأديب من يترك لضيوفه الحكم بجودة الطعام . وليس من اللياقة ان يقوم الضيف عن المائدة والطعام في فمه او في يده . وكذلك لا يجوز ان يستأذن في الخروج حال القيام عن المائدة لأن الآداب تقضي ان يمكث على الأقل ساعة من الزمن بعد الانتهاء من الطعام .

بعد العشاء : من المستحسن تناول القهوة بعد العشاء على انغام الموسيقى والراديو. وعلى ربة الدار ان توفر للضيوف كل اصناف الراحة والترحيب. وعندما تدق الساعة العاشرة والنصف يبدأ بالانصراف .

ليس هنالك من داعٍ لأن تسلم باليد على جميع المدعوين بل يكفي ان تنحني انحناءة خفيفة وتبتسم للجميع .

ولكن يجب ان لا تنسى ان تسلم على ربة الدار باليد قبل خروجك وقبل ان تعرب لها عن سرورك وانشراحك لدعوتها اياك .

وعلى رب الدار ان يتقدم مع السيدات الى الباب وقت الخروج .

الفصل التاسع

اماكن اللهو

يفهم باماكن اللهو المتنزهات في روضٍ عمومي او في اماكن الفرجة او في معرض التحف او في دور السينما او في نوادي التمثيل والخطابة وغيرها .

فاذا دعا احدٌ فتاةً من غير اقاربهِ لمرافقتهِ الى التنزه في روض عمومي عليه ان يدعو سيدة من انسبائها تكون في صحبتها اذ لا يباح للفتيات زيارة الاماكن العمومية وحدهنَّ مع رجل غريب لا يعرفنَهُ .

وكذلك اذا دعا سيدةً الى مكان فرجة ، فعليه ان يستأذنها بزيارتها في الغد او مسائهِ . وعليها ان تبدي لهُ عبارات الشكر لتفضله باخذها الى ذلك المكان وتشرح لهُ ما شملها من السرور والانشراح وتحترس من ان تستقبح ذلك المكان ولو كان قبيحاً فتسوءَهُ بذلك لانه لم يقصد بذهابه معها سوى اكتساب رضاها . وكذلك اذا وُجِدتَ في متحف عمومي للصور والآثار او غيرها فلا تقف محدثاً غيرك امام الاشياء المعروضة فتعطل غيرك عن الاقتراب منها ، بل قف في زاوية بعيدة عندما تريد ان تكلم صديقك .

واذا دعا رجلٌ سيدةً الى احدى دور السينما عليه ان يبذل جهدهُ للوصول

اليها قبل ميعاد افتتاحها بقليل حتى يتسنى لهُ الحصول على مقعد مناسب لها قبلما يزدحم المكان بالوفود .

ومثل ذلك اذا دعاها لحضور تمثيل او خطابة فلا يحسن بهِ ان يجلسها في موضع يتعسر عليها فيه مشاهدة المناظر او سماع الممثلين . ولا يحسن بهِ في هذه الاماكن ان يتكلم بصوتٍ عالٍ وقت التمثيل بل يجب ان يكون الحديث بصوتٍ منخفض عند الحاجة لا بالوشوشة . ومن القبيح ان ينتقد الذين يكونون قريبين منه . ويجب ان يشخص الى التمثيل ما دام الستار مرفوعاً والى الاصدقاء حينما يرخى الستار . ومن اكبر العيوب على الرجال ان ينظروا الى السيدات بالمنظارات في نوادي التمثيل حيث يجب ان تراعى شروط الحشمة والادب والرزانة والسكون اكثر مما في غيرها من نوادي الاجتماعات . ومن العادات المذمومة ان تشغل رفيقك عن رؤية التمثيل او ان تحرمهُ سماع اقوال الممثلين ولو لم يرق التمثيل في عينيك . والاجدر بك ان تستحضر نسخة من برنامج التمثيل حتى لا تضطر الى النهوض من مكانك بعد الجلوس فيه . والتزم السكوت التام في اثناء التمثيل ولا سيما في الاوبرا فان الحديث مهما كان منخفضاً يكدر الذين يطربون لصوت الموسيقى والغناء . وكذلك لا يليق بك ان تبدي عبارات التعجب او الاستحسان بصوت مسموع فان ذلك يُعد من باب الحماقة وقلة الادب .

ويجب على السيدات ان يتحاشين ابداء اشارات الخفة او الخلاعة او الاغراب في الضحك بلا داعٍ او يبادئنَ بالتحية من يعرفنَهُ من الرجال الجالسين

في المقاعد المقابلة لهنّ عن بعدٍ . ولكن يجوز للرجال ان يحيوهنّ بالاشارة . وعليهنّ ان لا يشغلن الغير بتحريك المراوح او اللعب بالمنظـارات او الشخوص طويلاً الى بعض الحضور او الهمس مع من بجانبهنّ وما اشبـه ذلك من الحركات المخلة بالآداب .

واذا دخلتَ هذه الاماكن فليكن دخولك بهـدوء واحتشام . واذا كان المكان مزدحماً فتحاشَ ان يدفع بعضهم بعضاً ولا سيما اذا كان الوافد سيدة ، فما عليها الاّ الالماع الى اخلاء الطريق لهـا او على من يرافقها ان يصرح بذلك .

الفصل العاشر

حفلات الرقص

كان الغربيون القدماء يعتبرون فن الرقص كالموسيقى من شعائر الديانة واهم فروضها ، ويمارسونه في احتفالاتهم واعيادهم . وقد سنوا لهُ القوانين والرسوم وادخلوهُ اليوم في لزوميات التهذيب والتعليم . وهو عندهم اعظم واسطة لتقوية العضلات والاوتار وانجع دواء لحفظ النشاط والخفة واظهار حسن هندام الجسم ، وقد عدوهُ من جملة ملاهيهم البيتيـة وتمارينهم العسكرية لشدة ضرورتهِ في اطوار الشبيبة التي يحتاج الجسم فيها الى الحركة والعمل لنموهِ وتقويتهِ .

وتقسم حفلات الرقص عندهم الى عمومية وعائلية .

والعمومية تتفرع الى حفلات خيرية وعسكرية وسباقيـة وريفية واشتراكية . ويتم الدخول الى اكثرها بابتياع تذكرة او الاشتراك فيهـا بدفع مبلغ معين سنوياً .

والعائلية يحددون فيها عدد المدعوين بقدر اتساع القاعة في البيوت ، ويرسلون رقاع الدعوة اليها قبل الميعاد بقليل حتى اذا اعتـذر البعض عن الحضور كان هناك من يقوم مقامهُ . ويراعون فيها عدم الازدحام لئلا يتضايق المدعوون بسبب كثرتهم . وفي جميع هـذه الحفلات يجري اللاعبون فيها

على آلات الطرب حتى يكون الرقص منتظماً . ولا يتم الا بوجود رجل مع امرأة اذ لا يرقص الواحد منهم منفرداً كما يرقص العرب . وانواع الرقص كثيرة متعددة . والمشهور منها عند الامم الافرنجية هي البولكا[١] Polca والمزوركا[٢] Mazurka والفلس[٣] Valse والكوادريل[٤] Quadrille ويتفرع منها الكوادريل الفرنسي واللانسيه Les lanciers بادوارهما الكثيرة . ولآلات الطرب علاقة كبرى بفن هذا الرقص لانه بدونها لا تنتظم حركات الراقصين ولا يتم سرورهم .

ومن المعلوم ان اللحن في الموسيقى يشبه الشعر في التقطيع اي انه منقسم الى اجزاء متساوية تسمى حقولاً ، وهكذا في الرقص فان لكل حقل عندهم حركات معلومة وخطوات معدودة .

---

١ هي اعم انواع الرقص واكثرها انتشاراً واسهلها مراساً .

٢ هذا النوع يستعمله كثيراً المبتدئون في الرقص كتمرين على الحركات ، اما في الحفلات فيرقصونه نادراً .

٣ هذا النوع يعد من الطبقة الاولى في الرقص واليه تصبو نفس كل راقص . فلا تخلو ليلة راقصة من ادراجه ضمن الادوار مراراً . وعليه تقاس معرفة الشخص في فن الرقص ، فكل من برع فيه عدوه من ابطاله . وتتنوع اشكاله الا ان مرجعها الى ما يعرف عندهم باسم الوقت المثلث Les trois temps وكل من اتقن هذا النوع سهل عليه تعلم بقية الفروع في قليل من الزمن .

٤ يتألف الراقصون في الكوادريل من اربعة ازواج فاكثر ، النصف رجال والنصف الآخر نساء، فيقفون جميعاً اما على شكل مربع في كل طرف منه رجل وعن يمينه سيدة تسمى شريكته وهو شريكها ، او يصطفون في صفين متقابلين ويكون مقابل كل رجل سيدة واخرى عن يمينه .

الفصل الحادي عشر

الالعاب البيتية

ان من اشتهر باستنباط الالعاب ووسائل التسليـة وانشراح الخواطر يحقّ له أن يُدمج في مصاف المخترعين العظام . فان ترويض النفس بهـا بعد عناء الأعمال واراحة البال باستعمالها عقب إجهاد العقل بالاشغال لمن أهم دعائم الصحة وأركان السعادة . وأي شيء أفضل للانسان من تعلمهِ أموراً يتمتع بها في أوقات الفراغ وعلاجاً ينفض به غبار الاتعاب والهموم بعد عودتهِ من اعمال يومهِ واجتماعه بأهل بيتهِ أو لفيف جيرانـه وخلاّنه . فقد قيل : ان في الدنيا طريقين السعادة والشقاء.فلمخترعي وسائل التسلية واللهو اليد الطولى في تمهيد طريق السعادة وهم من أجل ذلك أهل لشكر الجمهور وثنائه على هذه الخدمة الجليلة . ولا ينكر احد ان الامم الغربية قد سبقتنا في مضمار فنون الالعاب البيتية ونحن نقتبسها عنها اليوم . فمن بعض وسائل السرور التي يجمل بنا استعمالها في سهراتنا ولياليناا بين العائلات ما يأتي :

دار الحكومة

تُكتب اسماء الحاضرين عـلى أوراق صغيرة متساوية الحجم وتطوى

وتوضع في وعاء ثم يؤتى بأوراق اخرى نظيرها ويكتب على احداها « ملك » وعلى اخرى « مستشار » واخرى « ضابط » وعلى البقية صنائع مختلفة كالكناس والمشعوذ واللص والخادم والعتّال والمتسوّل والراقص والمغنّي الخ ... وتطوى ايضاً وتوضع في وعاءٍ ثانٍ ثم يؤتى بولدين صغيرين يسحب كل منهما ورقةً فورقةً في الوعائين ويعطيانها لصاحب الدار فيقرأ الاسم في الورقة الاولى والوظيفة في الورقة الثانية . وبعد الانتهاء من سحب جميع الاوراق يتربع من أسعده الحظ لان يكون ملكاً على منصة عالية وعن يمينه مستشاره ويجلس الضابط أمامهما ينفذ أوامرهما ويلاحظ ان كلاً من البقية يتمم في دورهِ الوظيفة المفروضة عليه بلا تقصير ولا اهمال .

الاسئلة المجهولة

يأخذ احد الحضور قلماً وورقة بيضاء يكتب عليها سؤالاً يستهله بأحد حروف الاستفهام : كيف . هل . أين . مَنْ . ما الخ ... ثم يخبر الجمهور بحرف الاستفهام فقط أما بقية السؤال فيكتمهُ عنهم ويطلب اليهم ان يجاوبوه عليه كيفما شاؤوا فيدون أجوبتهم وأمامها أسماؤهم وفي النهاية يقرأ السؤال على مسمعهم ويكرر جواب كلٍّ منهم .

ساعي البريد

يجلس الجمهور حول الغرفة وتبقى الفسحة بينهم خالية من الموائد والكراسي الخ .. ويتعين أحدهم مديراً للبريد وآخر ساعياً ثم يأخذ المدير

ورقاً وقلماً ويدور مع الساعي فيدوّن اسماءهم والى جانب كلٍّ منها اسم بلد من البلدان التي يختارهـا كلٌّ لنفسهِ . ثم يعصب عيني ساعيه ويعود الى مكانه ويعلن انه يريد ان يبعث بكتاب من بلد كذا الى بـلد كذا ، وعند ذكر البَلَدَين يجب على صاحبيهما ان يتبـادلا الاماكن حالاً بكل سكون حتى لا يشعر الساعي بحركتهما ، ويجتهد الساعي في اثناء ذلك ان يستولي على مكان أحدهما فاذا فاز بسعيه يحلُّ من أسرهِ ويقف من أضاع مكانه عوضاً عنه .

اطفاء الشمعة

يضعون شمعة مضيئة على مائدة مرتفعة في احدى زوايا الغرفة ويفسحون من امامها الاثاث والأدوات ثم يطلبون من احدهم ان يقف قرب الشمعة تماماً ويضعون عصابة على عينيه ويأمرونه ان يخطو الى الوراء خمس خطوات وان يدور ثلاث دورات كاملة في مركزه ثم يتقدم خمس خطوات عائداً الى مكانه الاول ويطفىء الشمعة ، وقد يظن انها بسيطة في حد ذاتها لكن قلما ينجح من يقدم على تجربتها في الرجوع الى النقطة التي سار منها .

علم الغيب

يتفق اثنان من الحاضرين عـلى التظاهر بعلم الغيب فيخرج احدهما من الغرفة ويغلق بابها فيضع الذي في الغرفة يده على متاع يختاره له القوم ويلقي

على رفيقه بعض الاسئلة فيجيبه عليها من الخارج بالصواب كما يأتي :

س — هل تذكر جيداً كل ما في الغرفة من الامتعة ؟

ج — نعم .

س — هل تذكر لون الكراسي ؟

ج — نعم .

س — هل تذكر اشكال الصور ؟

ج — نعم .

س — اتذكر اواني الازهار ؟

ج — نعم .

س — هل تذكر الستائر جيداً ؟

ج — نعم .

س — والآن هل يمكنك ان تخبرني عن اسم الشيء الذي عليه يدي ؟

ج — آنية الازهار .

والسر في ذلك انه عندما ذكر المتاع الذي وضع يده عليه لم يقدم لفظة «هل» عليه كالبقية فادرك رفيقه حسب الاتفاق بينهما انه هو الشيء المقصود وصرّح به. وقد خفي على الباقين كيف تمّ له ذلك .

الخاتم

يخرج احد الحضور الى الخارج ويؤتى بخاتم يلبسه احدهم في اصبع من اصابعه ، ثم يعود الذي خرج ، وبواسطة الطريقة الحسابية الآتية يمكنه ان

يعلم الشخص الذي معه الخاتم وفي اية يد هو وفي اية اصبع لبسه . وطريقة ذلك هي ان تطلب من احد الحاضرين ان يعين لكل من القوم نمرة متسلسلة كما يشاء بغير ان يخبرك عنها ، ولنفرض ان نمرة الشخص الذي لبس الخاتم ٧ وانه لبسه في الاصبع الرابعة من يده اليسرى فتطلب من صاحبك ان يضرب

نمرة الشخص (٧) في	٢	= ١٤
ويجمع اليه	٣	= ١٧
ويضربه في	٥	= ٨٥
ويضيف اليه ٨ لليد اليمنى او تسعة لليد اليسرى	٩	= ٩٤
ويضربه في	١٠	= ٩٤٠
ويضيف نمرة الاصبع	٤	= ٩٤٤
ويجمع اليه	٢	= ٩٤٦

	٩٤٦
ثم اطلب المجموع واطرح منه سراً	٢٢٤
فيكون الباقي وهو الجواب	٧٢٢

اي ان الرقم الاول منه على الجهة اليمنى (الآحاد) يدل على نمرة الاصبع . والرقم الثاني (العشرات) على نمرة اليد (ويكون ١ اذا كانت اليمنى او ٢ اذا كانت اليسرى) والرقم الثالث (المئات) وما بعده على نمرة الشخص .

وهناك طريقة اخرى يعرف بها فضلاً عما سبق ذكره عقدة الاصبع التي يلبس فيها الخاتم . فلنفرض ان الشخص المذكور آنفاً وضعه في العقدة الوسطى

(اي الثانية) من خنصره ، فتطلب من احد الحضور ان يفعل ما يأتي :

اضرب نمرة الشخص (٧) في	٢	= ١٤
اجمع اليه	٥	= ١٩
اضربهُ في	٥	= ٩٥
اجمع اليه	١٠	= ١٠٥
اضف (١) لليد اليمنى او (٢) لليسرى	٢	= ١٠٧
اضربه في	١٠	= ١٠٧٠
اجمع اليه نمرة الاصبع	٤	= ١٠٧٤
اضربه في	١٠	= ١٠٧٤٠
اجمع اليه نمرة العقدة	٢	= ١٠٧٤٢
ثم اطلب المجموع واطرح منه سراً		٣٥٠٠
		٧٢٤٢

اي ان رقم الآحاد يدلُّ على نمرة العقدة والعشرات على الاصبع والمئات على اليد والالوف وما بعده على الشخص .

كم عمرك ؟

اذا اردت ان تعرف عمر أحد الحضور فاطلب اليه ان يساعدك في المسألة الحسابية الآتية ، ومتى علمت منه جوابها الأخير امكنك ان تخبره عن عدد سني حياته والشهر الذي ولد فيه . فلنفرض ان فتاة في السابعة عشرة من عمرها ولدت في الشهر الثالث (آذار) سألتك معرفة سنها فاسألها

ان تضرب عدد شهر الولادة (٣) في ٢ = ٦

وتضيف الى الحاصل ٥ = ١١

وتضرب المجموع في ٥٠ = ٥٥٠

ثم تضيف الى ذلك سني عمرها ١٧ = ٥٦٧

وتطرح من المجموع ٣٦٥ = ٢٠٢

ثم اطلب الباقي وأضف اليه سراً ١١٥

———

٣١٧

فالرقمان الاولان (الآحاد والعشرات) يدلان على عدد السنين ورقم المئات (وما بعده) على شهر الولادة .

الاعرج

خذ ورق اللعب واخلطه جيداً ووزعه على الحضور في اعداد متساوية بعد ان تسقط منه ثلاثاً من صور الاعرج (الصبي) وبذلك يصبح الاعرج دون بقية الورق مفرداً بلا نظير. واذا اضطررت الى تنقيص أكثر من ثلاث ورقات فاسقط ازواجاً متشابهة حتى لا يبقى سوى الاعرج بغير مثيل . ثم ينظر كلٌّ في ما خصه من الورق فاذا عثر فيه على ورقتين من نوع واحد (اي متماثلتين في عدد النقط او الرسم) فصلهما عن البقية ووضعهما الى جانبه . واذا كان معه ثلاث ورقات من نوعٍ واحد فلا يفصل سوى اثنتين منها ويبقي الثالثة بيدهِ حتى يعثر على نظيرتها فى اثناء اللعب. ثم يبدأ الموزع فيعرض ورقه مقلوباً الى الشخص الذي عن يمينه فيسحب هذا ورقةً بغير

ان يراها ويضيفها الى ورقه واذا شابهت احداها ضمّ المتشابهتين ووضعهما الى جانبه . ثم يقدم ورقه للشخص التالي ليسحب ورقةً منه كما فعل الاول . وهكذا يتناول كل واحدٍ ورقةً من جاره الذي عن يمينه ويعطي ورقة اخرى لجاره عن يساره . والذي في يده الاعرج يجتهد ان يصرفه عنه الى غيره، وعلى بقية الحضور ان يحذروا من وصوله اليهم ويتساءلوا عن مكان وجوده ويجتنبوا وقوعه في ايديهم ما استطاعوا، وفي خلال ذلك يتناقص عدد الورق زوجاً زوجاً بما يضعه اللاعبون جانباً حتى ينتهي جميعه ولا يبقى منه سوى الاعرج وحده في يد احدهم فيعين اللاعب الذي فرغ من تصريف ورقه قبل الجميع قاضياً والذي فرغ بعده منفذاً للحكم الذي يصدره القاضي على من بقي الاعرج في حماه .

الرقص السحري

تصلح هذه اللعبة لتسلية الصغار متى كان الهواء جافاً فيؤتى بكتابين كبيرين وبلوح مربع من الزجاج مقاسه بين ٣٠ و ٤٠ سنتيمتراً في مثلها ويوضع طرف اللوح بين اوراق الكتابين بحيث يكون مرتفعاً عن سطح المائدة بنحو اربعة سنتيمترات ثم تُقص قطع صغيرة من الورق السميك على صور شتّى من اشكال الاشخاص والحيوانات لا يزيد طول الواحدة منها على ثلاثة سنتيمترات وحينئذٍ تلقى هذه الصور تحت لوح الزجاج ثم يدلك اللوح بمنديل حرير دلكاً سريعاً رحوياً فتتولد الكهرباء في اللوح بسبب الاحتكاك، وبعد برهة ترى كأن روح الحياة دبت في تلك الصور فتهب

راقصة بحركات مضحكة للغاية . واحذر اثناء الدلك من لمس الزجاج بيدك لئلا تنصرف الكهرباء عنه فيبطل في الحال رقص الصور .

الحبيب

يبدأ الشخص الاول في هذه اللعبة بحرف الالف من حروف الهجاء ويقول للحاضرين مثلًا : ان حبيبي اسمه « انيس » واحبه لانه « اديب » واكرهه لانه « اسمر » وهو من مدينة « اسكندرية » ويحب من الحيوان «الأرنب» ومن الطير «الاوز» ومن النبات «الارز» ومن الفاكهة «الاناناس» ومن الجماد « الابنوس » ثم يأخذ الذي بعده حرف الباء وهكذا حتى تنتهي حروف الهجاء .

الاسماء

هذه اللعبة مثل السابقة الا ان صاحب المنزل يقف ويشير الى احد الحضور سائلًا : ما اسمك بحرف الالف ؟ فيجيبه مثلًا « امين » ثم يسأله : وما اسم ابيك ؟ فيقول « ابراهيم » وما اسم امك؟ فيجيب « انيسة » واسم بلدتك؟ فيقول « الاستانة » وصنعتك فيها ؟ فيقول « اسكاف » وما الطائر الذي تأكلونه فيها ؟ فيقول « اوز العراق » والحيوان « ابن آوى » والنبات « الاسبانخ » والفاكهة « الاترج » وهكذا ينتقل الى حرف الباء حتى آخر حروف الهجاء .

الاخرس

يقتضي لهذه اللعبة شخص يحسن العزف على البيانو او غيرهـا من آلات الطرب فيتبرع احد الحضور بالخروج من الغرفة ويتفقون في غيابه على امر يفرضون عليه ان يعمله او يخبئون شيئاً يطلبون منه ان يجـده فيعود الى الغرفة ويسير الهوينـا والجميع سكوت ويشرع الموسيقي باللعب على الآلة وكلما اقترب صاحبنا من الجهة المقصودة او اوشك ان يعمل الامر المفروض عليه يخفف الموسيقي الصوت فاذا رآه ابتعد عنه شدد الضرب ، وهكذا يبقى العازف بين تخفيف وتشديد واللاعب بين رواح وغدو حتى يهتـدي الى الصواب فيصفق له الحضور استحساناً . وقد يستعيضون عن الموسيقى بعصاً يضرب بهـا احدهم على كرسي او مـائدة ضرباً خفيفاً او عنيفاً حسبما تقتضيه الحال .

السلطة

يجلس اللاعبون على المقاعـد في جوانب الغرفة ويختـار كل منهم اسماً يسمي نفسه به من انواع البقول او غيرها من المواد التي تتألف منها السلطة فيختار هذا زيتاً وذاك خساً وآخر جرجيراً وآخر كرفساً ويتخذ احـدهم السلطة اسماً له ويفتتح اللعبة بذكر اسم احـد اللاعبين على ما يأتي : يقف السلطة ويقول : يوجد سلطة ولكن لا يوجد جرجير . فيقف الجرجير ويجيبه :

يوجد جرجير ولكن لا يوجد زيت. فيقف الزيت ويقول: يوجد زيت ولكن لا يوجد خس. وهكذا يسمي من يقف اسم من شاء من زملائه ثم يجلس، والذي يتأخر منهم عن الجواب في دوره فوراً او يأتي باسم لا وجود له بين اللاعبين يدفع رهناً ويعاقب.

كرسي الاعتراف

يؤتى بكرسي في الوسط ويتبرع احد الحضور بالجلوس عليه مطأطئاً رأسه الى الاسفل ومحولاً ظهره الى الجالسين فيوجه هؤلاء التهم اليه ويدور صاحب الدار عليهم فيهمس كل في اذنه التهمة التي يتهم بها الجالس على كرسي الاعتراف او الجريمة التي يكون قد اقترفها فيكتبها هذا في ورقة امام اسمائهم ثم يقف امام المذنب ويخاطبه قائلاً: ايها الخاطي انك اتهمت بكونك «كثير الكلام» وانك «قصير القامة قليل الادب» وهلم جراً فاذا عرف المذنب اسم الذي اتهمه باحدى تلك التهم جلس هذا على كرسي الاعتراف بعد ان يدفع رهناً، واذا اخطأ ذاك في قوله ثلاث مرات استمر جالساً على الكرسي ودفع رهناً عن كل خطإ يرتكبه الى ان يصيب المرمى مرةً فينجو من اسره.

العقدة

اربط ايدي شخصين بقطعتين من الحبل الرفيع واطلب منهما ان ينفصل احدهما عن الآخر بغير ان يحلاّ عقدة الرباط ولا ان يقطعا الحبل، ويحسن ان

يكون احدهما سيدة ، فيبتدئان في اعمـال التجارب العديدة والحركات المضحكة، وربما ادخلا رأسيهما في الحبلين ثم ارجلهما املاً بحل الرباط ، وقد يدخل الواحـــد منهما نفسه في حبل الآخر فيرى بعد العناء ان تعبـه ذهب سدى .

اما الطريقة في حلها فهي ان يتناول احدهما الحبل المربوط بـه بالقرب من يده ويضاعفه على هيئة عروة ثم يمرها من تحت العقدة المربوط بها الآخر في احدى يديه (متجهاً من الزند الى جهة الانامل) ويلفها حول يد زميله ثم يسحب الحبـل فيتم الانفصال بينهمـا . واذا اراد ان يرتبطا ثانيـة عكسا طريقة الحل .

الفصل الثاني عشر

أحاجي ومعميات للتسلية

١ – كان لاعرابي سبعة عشر جواداً أوصى بها لأولادهِ الثلاثة على شرط أن يرث الاكبر نصفها والثاني ثلثها والاصغر تسعها ، فاختلف بنوه بعد مماتهِ على قسمتها ورفعوا أمرهم الى شيخ حكيم فجاء وقسم الخيول بينهم حسب وصية أبيهم ، فكيف أجرى ذلك ؟

جوابها : ضمَّ الشيخ حصانه الى السبعة عشر جواداً ثم أعطى تسعة منها (أي نصفها) الى الابن الأكبر وستة (أي ثلثها) الى الاوسط واثنين (اي تسعها) الى الاصغر ثم امتطى جواده ومضى .

٢ – فلاح معه ذئب وخروف وبرسيم (اي حزمة حشيش) أراد ان يعبر النهر في قارب لا يمكنه ان يأخذ معه فيه سوى احدها فقط ، وخشي ان يترك الخروف مع البرسيم فيأكله او الذئب مع الخروف فيفترسه ، ولكنه نجح أخيراً وعبروا جميعاً سالمين . فما الحيلة التي التجأ اليها ؟

جوابها : عبر الفلاح بالخروف أولاً وتركهُ على البر الآخر ثم عاد فأخذ الذئب وربطه هناك وأرجع الخروف معه الى البر الأول ثم عبر بالبرسيم ووضعه بجانب الذئب وعاد ثالثةً فأخذ الخروف .

٣ – زيّات عنده ثلاثة أوعية يسع أحدها ثلاثة أرطال والثاني خمسة والثالث ثمانية أراد ان يكيل بها أربعة أرطال من الزيت، فكيف يتوصل الى ذلك ؟

جوابها : يكيل ثلاثة أرطال بالوعاء الاصغر ويسكبها في الوعاء الاكبر ويضيف اليه مثلها فيكون فيه ستة أرطال ثم يملأ منه الوعاء الاوسط فيبقى في الوعاء الاكبر رطل واحد يضيف اليه ثلاثة ارطال بالوعاء الاصغر فيصبح فيه أربعة أرطال .

٤ – أرسلت سيدة خاتماً من الالماس الى صائغ ليصلحه وكان على شكل صليب وأحصت حجارته من الاسفل الى الاعلى فوجدتها تسعة وكذلك من الاسفل الى كل من الجانبين . ولما أعاده الصائغ أحصت حجارتهُ ثانية فوجدتها كما كانت مع ان الصائغ أنقص منها حجرين ، فكيف تمّ ذلك ؟

جوابها : كان الخاتم قبل تصليحهِ على هذا الشكل :

```
      •
      •
      •
•  •  •  •  •  •  •
      •
      •
      •
      •
      •
```

فأصبح بعد التصليح هكذا :

```
        •
        •
    • • • • •
        •
        •
        •
        •
        •
        •
```

٥ – دعا شاب صديقين لهُ للعشاء، وبعد الفراغ من الطعام ذهب ليبتاع لهم فاكهة فلم يجد سوى بلح ولما عاد بهِ وجدهما نائمين فاكل ثلث البلح ونام. وبعد قليل استيقظ احد رفيقيه ورأى البلح امامهُ فتناول منه ثلث ما وجدهُ وعادَ الى نومهِ . ثم استيقظ الثالث وفعل كرفيقه الثاني ونام . وفي الصباح احصوا معا ما بقي فاذا بهِ اربع وعشرون بلحة اقتسموها فيما بينهم فكم كان عدد البلح الاصلي ؟

جوابها : كان عدد البلح ٨١ اكل منه المضيف ٢٧ وترك ٥٤ لضيفيهِ ثم اكل الاول ١٨ وترك ٣٦ واكل الثاني ١٢ واصبح الباقي ٢٤ بلحة .

٦ – ترافق ثلاثة رجال مع نسائهم في سفر، احدهم نصراني والثاني مسلم والثالث اسرائيلي، وكان كل منهم يغار على امرأتهِ، فوصلوا الى نهر ارادوا عبورهُ ولم يتيسر لهم سوى قارب صغير لا يسع الا شخصين فقط، فماذا يفعلون ؟

جوابها : عبرت المرأتان النصرانيـة والمسلمة اولاً الى الشاطىء الآخر ثم عادت النصرانية بمفردها وعبرت ثانية مع المرأة اليهودية فبقيت النصرانية مع المسلمة وعادت اليهودية الى زوجها ثم عبر الرجلان النصراني والمسلم الى الشاطىء الآخر وعادت المرأة المسلمة وعبرت ثانيـة مع اليهودية فبقيت المسلمة مع زوجها ورجعت اليهودية بمفردها وعبرت ثالثةً مع زوجها .

٧ — سارت اوزّة الى بركة ماء وامامها اوزتان وسارت اخرى تقصد تلك البركة وخلفها اوزتان وسارت ثالثة وعلى جانبيها اوزتان، فكم عدد الاوز كله الذاهب الى البركة ؟

جوابها : ثلاث اوزات فقط الواحدة وراء الاخرى فسارت الاولى ورفيقتاها خلفها وسارت الاخيرة ورفيقتاها امامهـا وكانت الوسطى بين رفيقتيها .

٨ — سقطت ضفدعـة في بئر عمقها ستـة عشر متراً واخذت تتسلق جدرانها فكانت تصعد في اليوم الواحد ثلاثة امتار وتهبط مترين . ففي كم يوم بلغت سطح البئر ؟

جوابها : صعدت الضفدعة الى اعلى البئر بعد ١٤ يوماً لانها تسلقت ١٣ متراً في الثلاثة عشر يوماً الاولى وثلاثة امتار في اليوم الرابع عشر .

٩ — جاء ثلاثة الى ملجإ لليتامى ليتصدقوا عليه فطلب مدير الملجإ من الاول ان يضع الاحسان بقدر ما يجد في الصندوق من النقود ثم اخذ المدير

من الصندوق اربعين جنيهاً وطلب من الثاني ان يضيف الى الصندوق بقدر ما بقي فيه ثم اخذ اربعين جنيهاً وطلب من المحسن الثالث ان يتصدق كرفيقيه ، واخيراً احصى المدير ما في الصندوق فوجدهُ اربعين جنيهاً ، فكم كان فيه اولاً ؟

جوابها : كان في صندوق الاحسان ٣٥ جنيهاً دفع المحسن الاول نظيرها فاصبح فيه ٧٠ جنيهاً اخذ منها مدير الملجإ ٤٠ جنيهاً وابقى ٣٠ فدفع المحسن الثاني نظيرها فاصبح في الصندوق ٦٠ جنيهاً . اخذ المدير ٤٠ وابقى ٢٠ دفع المحسن الثالث نظيرها فاصبح في الصندوق ٤٠ جنيهاً .

١٠ — سأل تلميذ اثنين من رفاقهِ عن مقدار ما معهما من النقود فقال لهُ الاول : اذا اعطاني رفيقي غرشاً مما معهُ اصبحت نقودي بقدر نقودهِ . واجابهُ الآخر : اذا اعطاني رفيقي غرشاً من نقوده اصبح معي ضعفا ما معهُ . فكم كان مع كلٍّ منهما ؟

جوابها : كان مع التلميذ الاول خمسة غروش ومع الثاني سبعة فمتى أخذ الاول غرشاً من الثاني أصبح مع كل منهما ستة غروش ، وإذا أخذ الثاني من الاول غرشاً أصبح مع الاول أربعة غروش ومع الثاني ثمانية .

١١ — بستان فيه ١٩٧ شجرة من الليمون والبرتقال والرمان والتفاح وكان عدد شجر الليمون موازياً لستة أضعاف شجر البرتقال ، والبرتقال

موازياً لثلث شجر الرمان ، والرمان أقل من التفاح بشجرتين ، فكم كان من كل نوع منها ؟

جوابها : اشجار البستان كانت ٤٧ من التفـاح و ٤٥ من الرمان و١٥ من البرتقال و٩٠ من الليمون مجموعها ١٩٧ شجرة .

١٢ — رجل عنده ابريقان من الفضة لهما غطاء واحد يبلغ وزنهمـا ١٢ اوقية فاذا وضع الغطاء على اكبرهما اصبح وزنه مضاعف الابريق الثاني ، واذا وضع الغطاء على الأصغر كان وزنه موازياً للابريق الاول ،فكم وزن كل منهما ؟

حلها : وزن الابريق الاول ستة ارطال والثاني اربعة والغطاء رطلان ومجموع الثلاثة ١٢ رطلاً .

١٣ — قسم غني أمواله بين اولاده الأربعة فأعطى الأكـبر سبع ماله والثاني نصف الباقي والثالث ثلثي ما تبقى والرابـع ألفي جنيه . فكم كان مجموع المال ؟

حلها : مجموع المال ١٤٠٠٠ جنيه نال الابن الاول منه ٢٠٠٠ والثاني ٦٠٠٠ والثالث ٤٠٠٠ والرابع ٢٠٠٠ .

١٤ — بائع عنده لوح من الرخام وزنه اربعون رطلاً سقط منه فانكسر الى اربع قطع فاستعملها للوزن وكان يزن بها من رطل واحد الى اربعين رطلاً ، فما وزن كل قطعة ؟

حلها : وزن القطعة الاولى من لوح الرخام رطل واحد والثانية ثلاثة ارطال والثالثة تسعة ارطال والرابعة ٢٧ رطلاً مجموعها ٤٠ رطلاً .

١٥ — فلاح ابتاع اوزة وبطتين وثلاث فراخ بثمانين غرشاً . وكان ثمن الثلاث فراخ مساوياً لثمن البطتين وثمن الثلاث فراخ والبطتين معاً موازياً لثلاثة اضعاف ثمن الاوزة ، فبكم اشترى كلاً منها ؟

حلها : ثمن الاوزة عشرون غرشاً والبطة ١٥ والفرخة عشرة غروش .

١٦ — هاجت الرياح على سفينة وكادت تغرقها فاضطر الربان الى تخفيف شحنها ثم الى القاء نصف نوتيتها في البحر وكانوا ثلاثين بحاراً نصفهم بيض والنصف الآخر سود فاوقفهم في صفٍ حولهُ وطفق يحسب من اليمين الى اليسار تسعة تسعة ويلقي كل عاشر منهم في البحر حتى اغرق جميع السود واستبقى البيض ، فكيف تم لهُ ذلك ؟

حلها : كان ترتيب النوتية هكذا : ● ● × ● ● ● × × × × × ● ●

× × ● ● ● ● × ● × × × ● × × ● ● ×

١٧ — كيف يقسم العدد ٤٥ الى اربعة اقسام اذا اضيف الى القسم الاول ٢ وطرح من القسم الثاني ٢ وضرب القسم الثالث في ٢ وقسم الرابع على ٢ كان المجموع والباقي والحاصل متساوياً ؟

حلها : يقسم العدد ٤٥ الى ٨ يضاف اليه ٢ = ١٠ (و ١٢) يطرح منه ٢ = ١٠ (و ٥) يضرب في ٢ = ١٠ (و ٢٠) تقسم على ٢ = ١٠ .

١٨ – مدرسة فيها اربع فرق . تتألف الفرقـة الاولى من ثلث عدد التلامذة . والثانية من الربع. والثالثة من الخمس . وفي الرابعة ٢٦ تلميذاً فكم تلامذة كل فرقة ؟

حلها : كان في المدرسة ٤٠ تلميذاً في الفرقـة الاولى و ٣٠ في الثانية و ٢٤ في الثالثة و ٢٦ في الرابعة . مجموعهم ١٢٠ تلميذاً .

•

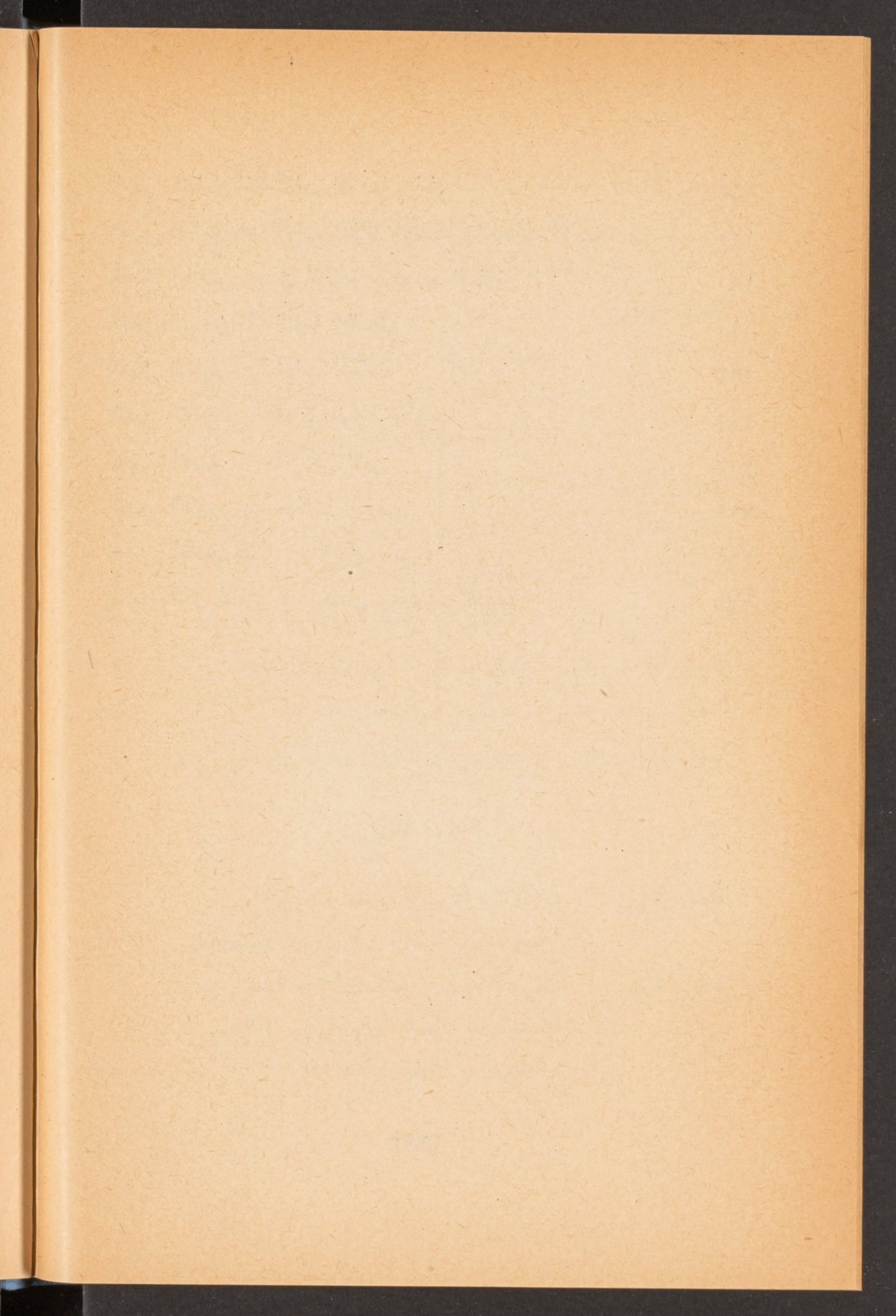
خاتمة

هذا وشلٌ من بحر وجزءٌ من كل مثّلت بـه بعض عادات واخلاق العيال اللبنانية في القرون الاخيرة الفائتة . فلعلَّ ابناء هذا الجيل يحافظون على مفاخر وفضائـل العيال التي تقدمتهم ويكون لهم من صلاح الاسرة وآدابها درسٌ يؤدي بهم الى الاعتصـام بمبادىء التمدن الحديث والآداب المطلوبة من ابن هذا الجيل العشرين، جيل الرقي والعلوم والنور والمعرفة .

العادات والاخلاق اللبنانية

الباب الاول

الباب الثاني



منشوراتنا الشعرية

ظهر منها :

ديوان ابن زيدون

ديوان ابن خفاجة

ديوان الخنساء

ديوان السموأل

ديوان الحطيئة

ديوان عمر بن أبي ربيعة

ديوان ابن هاني

لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)

سقط الزند

ديوان جميل بثينة

ديوان عروة بن الورد

ديوان النابغة الذبياني

منشوراتنا المسرحية

الحب الأخوي
دعد أميرة غسان
ثريا الأميرة الهندية
عدلا أميرة بني شيبان
ليلى ابنة الملك النعمان
حنة أميرة بريطانيا
الطبيب على الرغم منه
المثري النبيل
مريض الوهم
البخيل
الروائي
صلاح الدين الأيوبي
عثليا
عاقبة الظلم
مبادلة الجميل
الزباء ملكة جزيرة العرب
امرؤ القيس والفتاة الطائية
بشر بن عوانة
الشهامة والشرف
جنفياف
الفتاة المفقودة

مناهل الأدب العربي

١ جبران خليل جبران
٢ ميخائيل نعيمه
٣ احمد فارس الشدياق
٤ ولي الدين يكن
٥ امين الريحاني
٦ ابو العلاء المعري – رسالة الغفران ١
٧ ابو العلاء المعري – رسالة الغفران ٢
٨ ابو العلاء المعري – كتب مختلفة
٩ ابو العلاء المعري – اللزوميات ١
١٠ ابو العلاء المعري – اللزوميات ٢
١١ بطرس البستاني
١٢ ابراهيم اليازجي ١
١٣ ابراهيم اليازجي ٢
١٤ الشريف الرضي ١
١٥ الشريف الرضي ٢
١٦ الشريف الرضي ٣
١٧ كرم ملحم كرم
١٨ الموشحات الاندلسية ١
١٩ الموشحات الاندلسية ٢
٢٠ الموشحات الاندلسية ٣
٢١ ابن خلدون – المقدمة ١
٢٢ ابن خلدون – المقدمة ٢
٢٣ ابن خلدون – المقدمة ٣



back

B



